ذكريات معتقل

من جوانتانامو (كوبا)

من فضلك خمس دقائق
فأصبحت الدقائق الخمس
ستة وعشرين شهراً

حسين عبد القادر

الطبعة الثانية

العبيكان
Obeikan

ذكريات معتقـل

من جوانتانامو (كوبا)

من فضلك خمس دقائق فأصبحت الخمس دقائق
ستة وعشرون شهراً

الكاتب

حسين عبد القادر

العبيكان
Obeikan

ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبدالقادر، حسين

ذكريات معتقل./ حسين عبدالقادر.- ط٢.- الرياض، ١٤٣٤هـ

٣٦٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٨-٤٧٠-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- سجن غوانتانامو ٢- التعذيب أ. العنوان

ديوي ٢٧٣, ٩٢٣ ٢٣٨٨ / ١٤٣٤

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الطبعة الثانية

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

الناشر العبيكان للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 فاكس: 4808095 ص.ب: 67622 الرياض 11517

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: 4160018 /4654424 - فاكس: 4650129 ص. ب: 62807 الرياض 11595

جميع الحقوق محفوظة للناشر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- إلى روح الشيــخ الشهيد عبد الله عزام، أستاذ مدرسة الجهاد في العصر الحديث.
- وإلى روح ولدي عبد الله الذي وافته المنية وأنا رهن الاعتقال

أهدي هذا الكتاب

حسين عبد القادر

محتويات الكتاب

الموضوع الصفحة

المقدمة

عدل الإسلام مع أهل الكتاب

عداوة أهل الكتاب للإسلام

قصة الاعتقال في باكستان

السجن في باكستان

التحقيق في باكستان

السيرة الذاتية

الترحيل من باكستان إلى بجرام أفغانستان

الحياة في بجرام

أماكن -حظائر- الاعتقال

الطعام

التحقيق

العقاب

المتساقطون على الطريق

التعذيب

الترحيل من بجرام-إفغانستان إلى جوانتانامو- كوبا-

رحلة العذاب إلى كوبا

الوصول إلى كوبا

اليوم الأول في جوانتانامو

التحقيق
الزنازين الانفرادية
الطعام
الرياضة والمشي والاغتسال
عنابر السجن العادية
الشعائر الدينية في السجن
أول مجموعة من المعتقلين والأسرى تصل الى كوبا
إكستري (Extray) أول سجين للمعتقلين في كوبا
جنسيات المعتقلين والأسرى
تنقلات واسعة داخل المعتقل
المعتقلين العرب ضحية التآمر
دور باكستان في تسليم العرب والعجم للامريكان
طريقة اعتقال وأسر بعض المسجونين في كوبا
قصص ومآسي في سجون التحالف الشمالي الأفغاني
صورة من معاملة الأسرى في قندهار -أفغانستان
الإضرابات في السجن
فرقة مكافحة الشغب
معاهدة جنيف لأسرى الحرب
العلاج والدواء في السجن
رمضان عند الأمريكان
المعسكر الرابع في معتقل جوانتانامو
درجات المعتقلين في السجن
العقوبات في السجن
عنبر الشرطات

تضامن واحتجاجات في السجن
من قصص المعتقلين في غرفة الحب
السحر في غرف التحقيق
الكرم في غرف التحقيق
الحاجة والضرورة أم الاختراع
جهاز كشف الكذب
دروس من السجن
يعجب الأمريكان ولا يعجبهم
بشائر، إرهاصات الخروج من معتقل جوانتانامو
الثقافة والتربية
التعليم الديني والتعليم العصري
حركة طالبان
الجهاد والارهاب
لماذا وقعت أحداث ١١ سبتمبر لأمريكا دون غيرها من الدول
الانتحار في السجن
من مشاكل الحرس مع السجناء
من مشاكل السجناء مع الحرس
القانون في المفهوم الأمريكي
تعبئة معنوية ونفسية للحرس
أثر المعتقلين على الجنود والحرس
هل كل المعتقلين في جوانتانامو من تنظيم القاعدة وحركة طالبان
تغيير إدارة السجن معاملتها للمعتقلين
لماذا اللون البرتقالي لملابس المعتقلين
قصة النظارات في المعتقل

أوهام وتوجسات المسؤولين في المعتقل
التفتيش في المعتقل
عنبر المسافرين
الترحيل من جوانتانامو- كوبا إلى بجرام أفغانستان
الوصول إلى بجرام
الطعام
الحياة في بجرام
الرسائل من وإلى السجن
الصليب الأحمر
الدعوة في كوبا
الاعتدال والتطرف في فكر المعتقلين
يعجبهم- الأمريكان- يحبون- يفضلون
بشائر مغادرة بجرام
مذكرات ووثائق براءة من الإرهاب
مغادرة بجرام إلى أرض الوطن

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء: ١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

لقد أنزل الله عز وجل عشر آيات من سورة النساء ذكر فيها قصة طعمة (رجل من الأنصار- وحادثة السرقة التي أتهم بها يهودي بريء. إن الآيات تبرئ اليهودي من السرقة وتثبتها عند رجل من الأنصار ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ (النساء: ١٠٥).

هذه التبرئة لليهودي في زمن لا يدخر فيه اليهود سهماً إلا وطعنوا فيه الإسلام، وفي وقت لا يكف اليهود فيه عن التآمر والكيد للإسلام وأهله، لكنه العدل في الإسلام الذي يبرئ هذا اليهودي من السرقة، ويثبتها عند رجل من الأنصار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ (يوسف: ٨١).

لقد أرسل الرسول ﷺ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لخرص تمر خيبر الذي أعطاه الرسول ﷺ لليهود على حصة من الثمر فقدموا له نوعاً جيداً من التمر هدية خاصة له (رشوة) ليحابيهم في تقدير كمية التمر على الشجر، فقال لهم يا إخوان القردة والخنازير أترشونني لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي (يعني رسول الله ﷺ) وإنكم لأبغض خلق الله إلي، ولكن حبي لرسول الله ﷺ وبغضي لكم لا يمنعني من العدل معكم، وخرص لهم التمر وقدره كما هو دون زيادة ولا نقصان.

إذا كانت الدول والمؤسسات الآن، تعتمد على دراسات وأبحاث وإحصائيات وجمع معلومات، بشتى الطرق وكافة الأساليب، وتصدر بعد ذلك أحكامها، وتطبق مخططاتها وتنفذ توسعاتها وأطماعها، بناءً على هذه المعلومات، فإن رب العالمين الذي خلق البشر، ويعلم ما توسوس به نفوسهم وتنطوي عليه أفئدتهم، فإنه سبحانه، تعالى لا يحتاج إلى هذه الأبحاث والدراسات، وهو الذي يقول ويحكم ولا معقب لحكمه وهو أصدق القائلين.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٩).

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٩).

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ (النساء: ٨٩).

[الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا]، هذا الكلام ليس تحاملا على الغرب أو غير الغرب الواقع والحال وما يجري وما يقال ويسمعه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ينبئ عما يقال

ما تراه وما تقرؤه ربما لا يعجب الكثيرين لكنه الذي لمسته وشاهدته وفي المثل العربي (**ليس من رأى كمن سمع**).

الاعتقال في باكستان

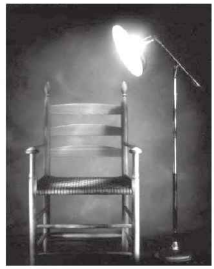

مساء يوم الأحد ٢٠٠٢/٥/٢٥ صليت العشاء ورجعت لبيتي الموجود في ضاحية حياة أباد - بيشاور - باكستان - وجدت عائلتي تنتظرني على طعام العشاء كانت الساعة العاشرة ليلاً ، الفصل صيفاً والنهار طويل، جلست على المائدة

ولم أكد أكمل اللقمة الثالثة، قرع جرس البيت، فقلت لابني إبراهيم البالغ من العمر اثني عشر عاماً، انظر من بالباب، ذهب الغلام وفتح الباب، ورجع مسرعاً يبكي ويقول البوليس، البوليس، وقبل أن ينهي الغلام كلامه، إذ بمجموعة من البوليس الباكستاني ٥-٧ يدخلون مسرعين يشهرون سلاحهم، وقفت وقلت لهم ما الأمر؟ قالوا أين أبو عبد الله البلخي؟ قلت ها أنا ذا ماذا تريدون؟ قالوا نريدك قلت لماذا؟ قال خمس دقائق إلى مركز البوليس وترجع. قلت ماذا فعلت؟ قالوا تفضل، قلت لهم أنا أعيش بشكل قانوني في باكستان، أحمل جواز سفر أردني وأحمل بطاقة من الأمم المتحدة منذ ثمان سنوات، وأخرجت لهم البطاقة، أخذها مسؤول الحملة وقرأها، ثم وضعها في جيبه، وقال: أخرج معنا إلى المركز وترجع، قلت: أين؟ قال أخرج وأمر أحد الجنود المرافقين له أن يضع القيد في يدي، ففعل الجندي، وكان معي في البيت أحد أبنائي، وأسمه محمد، أنهى الصف الثالث الثانوي، عمره ثمانية عشر عاماً، ينتظر التسجيل في الجامعة الإسلامية في إسلام أباد، قيدوه أيضا معي، واقتادونا إلى خارج البيت، خرجنا وإذا بسيارات أخرى مليئة بالبوليس، وعند الباب الخارجي للدار، يقف رجل يبدوا من ملامحه أنه غربي، يتهيأ للدخول إلى البيت مع امرأة يبدوا أنها مثله أيضا، نزلت من سيارة

Pajero باجيروا بيضاء، كانت تقف بجوار باب البيت. وتحركت السيارة التي تقلنا بعيداً عن البيت، كي لا أرى ولا أسمع ما يحدث في البيت، دخل مجموعة من البوليس الباكستاني مع الرجل والمرأة الغربيين ثم أخبرتني العائلة بعد ما خرجت من السجن، أن البوليس وضعوا ما تبقى من العائلة زوجتي وأربع بنات وإبراهيم الصغير في إحدى غرف البيت وأغلقوا عليهم الباب، ثم قاموا بتفتيش البيت دون أن يراهم أحد ثم تبين أنهم قاموا بكسر ما وجدوه مغلقاً من الغرف، وبعدما أنهوا مهمتهم أخذوا ما يريدونه وخرجوا.

أما جاري الذي يسكن معي في الطابق الثاني، فقد كسروا قفل بيته ودخلوا وأخذوا ما يريدون ومن جملة ما أخذوه، سوارة من ذهب لزوجته، كانت موجودة في خزانتها، مع أن عائلتي أخبرتهم أنه غير موجود، لا رب البيت ولا عائلته، وكانوا قد خرجوا من البيت قبل ثلاثة أيام من مداهمة البيت، بعد ذلك تحركت السيارة، سألت الشرطي الذي يقيدني أين تأخذونا؟ قال خمس دقائق إلى مركز الشرطة نسألك بعض الأسئلة وترجع، عندها قام شرطي آخر وأخرج قطعاً من القماش وربطها على عيوننا ولم نشاهد بعد ذلك شيئاً، ولا نعلم إلى أين تسير بنا السيارة لكن بعد عشرين دقيقة وصلنا إلى أحد مراكز الشرطة استجوبونا بسرعة، حاولت أن أعرف أين أنا ومن حولي لكن لم أستطع لكن لما أنزلونا من السيارة التي كنا فيها إلى سيارة أخرى، استطعت أن أرى ابني الكبير عبد الله يركب معنا، مغمض العينين، ومكبل اليدين، وكان البوليس الذي يقف عند باب بيتاً، قد اعتقله عندما رجع إلى البيت لما عرف أنه ولدي، بعد نصف ساعة من اعتقالنا، وكان هذا البوليس ينتظر الذين يفتشون داخل البيت حاول عبد الله أن يقنعهم بإطلاق سراحه، وعدم اعتقاله وأنه مريض القلب، لا يستطيع أن يعيش في السجن، إنه بحاجة إلى الدواء، وربما الطبيب أحياناً لكنهم لم يلتفتو إلى كلامه، لقد كان اعتقالي مؤثراً على مرضه لقد اصبح مسؤول العائلة الأول، هموم الأسرة كلها عليه، لقد ازداد مرضه ومراجعته للطبيب، ازدادت كمية الأدوية التي يتناولها

لقد ساءت حالته، توقف عن الدراسة الجامعية بناءً على نصيحة طبية، لقد جلس في البيت أخيراً، تضاعف مرضه كثيراً خاصة بعدما سافر إلى الأردن، حيث العلاج المرتفع، سواء ثمن الأدوية أو كشف الطبيب، وأخيراً وافته المنية وانتقل إلى جوار ربه، بعد ستة أشهر من وصوله إلى الأردن، متأثراً من هذا المرض العضال حيث أصابته نوبة (أزمة قلبية) تقبله الله في الصالحين وأسكنه فسيح جنته.

تحركت بنا السيارة نحن الثلاثة، أنا وابناي، لكن لا نعلم إلى أين، دخلنا مكاناً آخر، دخلنا إلى بوابة كبيرة، ثم أغلق الباب، رفعوا الغطاء عن عيوننا وأدخلونا إلى غرف السجن، كل واحد في غرفة، فكوا قيد اليدين أخذوا ما معنا من أغراض وأمانات،عندما دخلت غرفة السجن بدأ شريط الذكريات يمر في خاطري، لقد سمعت أن الميت إذا إحتضر وبدأ يعالج سكرات الموت، يمر في ذهنه من ذكريات حياته منذ أن أصبح واعياً حتى لحظة موته، هذا الشريط يمر في ذهن المحتضر بسرعة ليبين له قصر عمر الإنسان الذي قضاه في الحياة الدنيا، لقد حدث معي ما يشبه هذا عندما أدخلت غرفة السجن، مر شريط من الذكريات السريع في خاطري مثل هذا لقد شبهت السجن بالموت لكنه موت منه رجعة، اما الموت الحق فلا رجعة فيه إلى الحياة الدنيا، لقد شبهت السجن بالقبر لكنه قبر فيه حياة وحركة بخلاف القبر الحقيقي إن السجن [هو الموتة الصغرى]حاولت النوم بدأت أتقلب على ما وجدته من فراش في الغرفة لكن لم استطع النوم، بسبب الحر الشديد، وعدم نظافة الفراش، بعد منتصف الليل جاء البوليس، وأخذ ابناي محمد وعبد الله وقال لي إنهم سيرجعون إلى البيت الآن، وأنت تخرج غداً ودّعاني وانصرفا لكن بعد قليل جاء البوليس ومعه مجموعة من العرب، ستة معتقلين، أعرف بعضهم، أو معظمهم، وقد علمت من بعضهم أن البوليس الباكستاني قد اعتقل في هذه الليلة التي اعتقلوني فيها عشرة من العرب، كلهم أخذوهم من بيوتهم، يحملون أوراق رسمية من الحكومة الباكستانية، ويعملون في مؤسسات اغاثية معترف بها من

الحكومة الباكستانية أحضر البوليس ستة إلى المكان الذي أنا فيه ووضع الباقين في مكان آخر، كان الصيف قد بدأ في باكستان، الجو حار، غرف السجن غير نظيفة، الفراش متسخ، الماء حار، يعطونك قارورة ماء بلاستيكية مليئة بالماء من حنفية موجودة في الخارج، وفي زاوية الغرفة سطل حديدي صغير لمن أراد التبول عند الضرورة، مع أن الخروج لقضاء الحاجة ثلاث مرات يومياً فقط الساعة السابعة صباحاً، وقبيل الظهر الساعة الثانية عشر ونصف، وعند غروب الشمس، أما الطعام فرديء نوعا قليل كماً، الفطور الساعة السابعة، رغيف خبز صغير غير ناضج مقلي بالزيت مع كوب شاي مختلط بالحليب، وربما يعطيك كوبا آخر. الغداء الساعة الحادية عشرة، صحن صغير غير نظيف فيه العدس والطماطم، ورغيف خبز، العشاء الساعة السابعة مثل الغداء أما الفاكهة لا فاكهة، اللحم مرة كل أسبوع قطع صغيرة وقليلة جداً مع الأرز، الاغتسال مرة كل أسبوع، الصابون والمكان والأواني غير جيدة، مع أن تهوية غرفة السجن غير جيدة، العرق كثير من حرارة الجو، مع انقطاع التيار الكهربائي أحياناً، مكثنا في السجن الباكستاني في بيشاور أحد عشر يوماً، جرى فيها التحقيق معنا مرتين، مرة في اليوم الأول من وصولنا للسجن، عصر اليوم الأول، جاء البوليس الباكستاني وقيدونا كل اثنين مع بعض، والعيون مغطاة أركبونا في السيارات إلى مكان لا نعرفه، لم نره قبل ذلك، أنزلونا من السيارات فكوا الغطاء عن عيوننا، أدخلونا واحد بعد الآخر على غرفة كبيرة، فيها الأغراض التي صادروها من بيوتنا جميعاً، كان يجلس بها باكستانيون ورجال ونساء تبدو ملامحهم أنها غربية، قامت سيدة وأخذت البصمات لنا جميعاً، كل واحد على حدة، وقام رجل يتقن العربية باستجوابنا بأسئلة بسيطة، الاسم البلد والمكان الذي ولدت فيه تاريخ الميلاد ثم رجعنا كل واحد إلى غرفته بنفس الطريقة التي أحضرونا فيها، أما المرة الثانية التي أخذونا فيها للتحقيق فكانوا يأخذون كل يوم واحداً أو اثنين إلى نفس المكان الذي ذهبنا

إليــه المرة الأولى، وحقق معنا نفس الرجل الذي حقق معنا المرة الأولى، بعد مضي تسعــة أيام حضر البوليس الباكستاني، قيد يداي وغطى عيناي، وحملتني السيارة إلى نفــس المــكان السابق، الرجل غربي يتقــن العربية يتكلم معــي بدون مترجم، سألني عن سيرتي الذاتية.

السيرة الذاتية

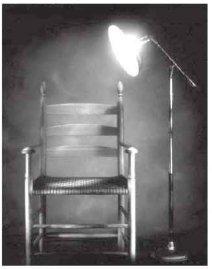

المولد، الدراسة، العمل، وعن سبب وجودي في الباكستان هذه الفترة الطويلة من سنة ١٩٨٥-٢٠٠٢م، فأخبرته بأنني فلسطيني، تاريخ ميلادي ١٩٥٣م من قرية، سيلة الحاريثة، قضاء جنين، من أب وأم فلسطينيين، وأنا رابع أخوتي

وأصغرهم، وهم ذكران وأنثى، توفيت والدتي قبل عشر سنوات تقريباً، تزوج والدي زوجة أخرى وأنجب منها بنتين وولد ذكر، وهو يعمل تاجراً متوسط الحال، أكملت دراستي الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدرسة القرية إلا الصف الثالث الثانوي أكملته في مدرسة المدينة- جنين، سنة ١٩٧٣م، نجحت في الثانوية في هذه السنة، وفي نفس السنة حصلت على منحة دراسية في المملكة العربية السعودية، وهناك أكملت دراسة البكالوريوس والماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وبين البكالوريوس والماجستير، عملت واعظاً في فلسطين لمدة سنتين، على حساب إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد السعودية وبعد التخرج من الماجستير ١٩٨٢-١٩٨٣م رجعت إلى فلسطين ومكثت سنة بدون عمل، ثم عملت مدرساً في جامعة الخليل لمدة سنة بعدها سافرت إلى باكستان سنة ١٩٨٥م ومنذ وصولي إلى باكستان ١٩٨٥م حتى سنة ٢٠٠٢م وقت اعتقالي، عملت مدرساً في التعليم للطلاب الأفغان المهاجرين والعرب وغيرهم، في الجامعات والمعاهد والمدارس والكليات ولم» أغادر باكستان طيلة هذه الفترة إلا يوم أن غادرتها عن طريقة اعتقال الأمريكان لي.

إن تردي الأوضاع الاقتصادية والسياسية والأمنية في فلسطين تضطر الإنسان للبحث عن مكان عمل خارج وطنه، لقد فصلت من العمل الذي كنت فيه من جامعة الخليل، بحثت عن عمل آخر فلم أجد، فاضطررت أن أذهب إلى باكستان، حيث اتصلت بقريب لي فقال لي: توجد هنا مدارس وجامعات كثيرة للمهاجرين الأفغان، وهم بحاجة إلى مدرسين عرب، وصلت إلى بيشاور مع عائلتي والتحقت فور وصولي بالعمل في جامعة الدعوة والجهاد وهي في حي يبعد عن بيشاور نحو عشرين كيلو متر، إنها حي للمهاجرين الأفغان، مخيم فقير به جامعة لتعليم الطلاب الأفغان، عملت بها مدروساً لتعليم العلوم الإسلامية سنة ٨٥-١٩٨٦م لكن بسبب بعدها عن مكان السكن تركت العمل بها والتحقت بمعهد المعلمين العالي التابع للجنة الدعوة الإسلامية الكويتية، قريباً من بيتي و أعلى راتباً من العمل السابق، بعد ذلك عملت في معهد الأنصار العالي، وهذا المعهد يتبع رابطة العالم الإسلامي السعودية، وفي إجازة الصيف ذهبت مدرساً لمدرسة في داخل أفغانستان، لمدة أربعة أشهر، لتعليم الطلاب الأفغان العلوم العربية والإسلامية، ثم رجعت إلى عملي في معهد لإنصار العالي، وأثناء عملي في هذا المعهد عملت متطوعاً في مكتب الخدمات لترحيل الشباب العرب، الذين كانوا يعملون متطوعين لمساعدة الشعب الأفغاني، كنت أقدم لهم اللباس والحذاء والحقيبة وغير ذلك وهذه المواد كان يقدمها مكتب الخدمات لهؤلاء الشباب.

إن هؤلاء الشباب كانوا يدخلون إلى أفغانستان أثناء الغزو الروسي لأفغانستان ويقومون بإحصاء الأيتام والمدارس والأرامل والشهداء، وتقديم ما يمكن تقديمه من العون المادي لهذا الشعب، لقد كانت هناك مؤسسات عربية وغربية وشرقية تساعد الأفغان الهاجرين أثناء الغزو الروسي لبلادهم، وهذه المؤسسات كان لها نشاط في باكستان وفي داخل أفغانستان، كانت لها المدارس والجامعات والمستشفيات والملاجئ ودور المعوقين والمجروحين.

بعد ذلك جلست فترة بلا عمل، وبدأت أعيش في باكستان بدون أوراق أو وثائق رسمية، انتهى الجهاد الأفغاني وبدأت المضايقات على العرب الذين كانوا يساعدون الشعب الأفغاني، وفي هذه الفترة انتهت مدة جواز سفري ولم أستطع تجديدة ولا تمديده، إنني أريد السفر لكن لم أستطع، وفي هذه الفترة انتهت مدة البطاقة الإسرائيلية- التصريح الإسرائيلي- الذي خرجت عليه من الضفة الغربية عام ١٩٨٥ م انتهت مدته، وإذا انتهت مدة هذه البطاقة، فإنه لا يسمح لي بدخول فلسطين، لأنها تصبح غير سارية المفعول، حاولت تجديدها عن طريق أهلي في فلسطين فلم يستطيعوا ذلك.

كاد البوليس الباكستاني أن يلقي القبض علي، لكن أفلت منه بقدر من الله عز وجل.

اضطرتني الحاجة أن أذهب إلى الأمم المتحدة، عام ١٩٩٢م وشرحت لهم وضعي، وبعد مراجعات ومقابلات لهم، قبلوني لاجئاً في باكستان تحت مظلة الأمم المتحدة إن قبولهم لي لاجئاً هذا يعني أن يقدموا لي وثيقة رسمية أعيش بها، واتنقل عليها داخل باكستان دون مشاكل، ويقدموا لي مساعدة مادية قدرها (١٥٠) دولاراً في كل شهر، ويساعدونني في رسوم المدارس، ويقدموا ثمن الملابس والحقائب والكتب والدفاتر لطلاب المدارس لقد كانت هذه الأمور بالنسبة لي أمراً مهماً وكبيراً، وبقيت معي وثيقة الأمم المتحدة منذ ذلك الوقت، حتى سنة ٢٠٠٢م وقت اعتقالي.

لقد كان بإمكان من يحمل هذه الوثيقة أن يعمل عملاً إضافيا بجانب ما تقدمه الأمم المتحدة له من مساعدة، ففي سنة ١٩٩٤-١٩٩٥م عملت في بيشاور محاضراً في الأكاديمية الإسلامية- جامعة العلوم والتقنية التابعة لهيئة الإغاثة الإسلامية السعودية، وبعدها عملت في معهد الأنصار العلمي في بيشاور، التابع للمعاهد العلمية اليمنية، والذي كانت تشرف عليه السفارة اليمنية في إسلام

أبـاد، وبقيت في هذه المدرسة حتى سنة ٢٠٠٠-٢٠٠١م ثم أغلقت المدرسة من قبل الحكومـة اليمنيـة، لأن هذه المدرسة كانت تتبع المعاهـد اليمنية، وقامت الحكومة واغلقت المعاهد كلها وكان هذا المعهد من جملة المعاهد المغلقة، لأنه تابع لها، وبعد إغـلاق المعهد بقيـت بعض الأشهر بدون عمل، أبحث عن عمـل، لكن لم أجد، وفي تاريخ ٢٠٠٢/٥/٢٥م كان يوم اعتقالي.

وهذا اليوم كان آخر العهد لي بباكستان ومعاهدها ومدارسها وجامعاتها، إن هـذه المدارس والجامعات والمعاهد، تدرس مواد كثيرة، ومن ضمنها المواد العربية والإسلاميـة، إنها تدرس اللغة الإنجليزيـة والرياضيات والعلـوم والاجتماعيات والرياضة والفن، إنها مدارس نموذجية عصرية، وليست مدراس دينية فقط.

كانـت مدة استجوابـي قصيرة لا تتعدى الساعة، وفي نهايـة التحقيق، سألت المحقـق عـن سبب اعتقالي، فقـال لي: علاقتك بالإرهاب قلت لـه أي إرهاب وأي إرهابيين الذين لي علاقة بهم؟ قال سوف تعرف فيما بعد، وانتهت الجلسة وعدت إلى غرفة السجن مغمض العينين مكبل اليدين، بسيارة بك أب كما جئت.

بعـد مـرور أحد عشـر يوما جاءنـا الشرطـة الباكستانيـون وأخبرونـا أنهم سيأخذونـا غـداً إلى إسلام أباد ليتـم التحقيق معنا هنـاك، لان التحقيق هناك، اسهـل وأوسع طلبوا منا أن نكتب رسائل لعائلاتنا نخبرهم فيها بأمر السفر هذا، وبعـد صلاة العشاء من هذا اليـوم جاءتنا أعداد كثيرة من الشرطة الباكستانية، وكبلـوا أيدينا خلف ظهورنـا، وأغمضوا عيوننا، أركبونا سيـارات البك أب وبدءوا يعانقونـا، ويطلبـون منـا أن نسامحهـم وظهـر على بعضهـم البـكاء وقالوا نحن مضطـرون، مجبـوري- علينـا ضغـوط خارجيـة لتسليمكـم- تحركـت السيارات ليسـت لاسلام أباد لكن إلى مطار بيشـاور السيارات تقترب وتمشي بنا، وأصوات الطائرات نقترب منه شيئا فشيئا، توقفت السيارات بجانب الطائرة، هكذا تشعر، أنزلونـا مـن السيـارات وأجلسونا علـى ارض المطـار، لا نرى شيئا بـدأ الشرطي

الباكستاني ينادي على الأسماء، جاء اسمي وقفت، امسكني الشرطي الذي ينادي على الأسماء، وقدمني خطوتين، قام شخص وفك غطاء عيني، استلمني مجموعة من الجنود قريبا من باب الطائرة الخلفي، إنهم يحيطون بي من كل الجهات، اليمين والشمال الأمام والخلف، ألبسوني كيسا في رأسي لا نرى منه شيئا الجنود الجدد ألبستهم وسحنتهم تختلف عن الوجوه الباكستانية، أنهم حمر أو شقر، لم يساورني شك أنهم غربيون أمريكان، فكوا يدي وربطوها خلف ظهري بقيد محكم حديدي ومؤلم. أدخلوني إلى الطائرة من الباب الخلفي بطريقة شديدة وعنيفة.

الترحيل إلى بجرام

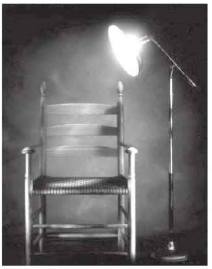

أجلسوني على أرض الطائرة بجانب بعضنا البعض، الأرجل مقيدة ومثبته في أرض الطائرة، والأيدي مقيدة خلف الظهر ثم شدوا جنزيراً غليظاً على صدورنا، وكان هذا من أشدها علينا، لقد كادت أرواحنا أن تخرج من أجسادنا، والرأس يغطيه الكيس، يمنع الرؤية، ويعيق التنفس، والجو حار .أقلعت الطائرة من بيشاور.ممنوع الكلام .ممنوع الحركة .أنت بدون أوامر لا تستطيع الحركة بسبب قيود الحديد التي تحيط بك .الجو يوحي بالخوف ،يا الهي أن هذا يعني أنهم سلمونا للأمريكان.

ماذا صنعنا ما هي جريمتنا؟ انه الظلم .إن الدنيا والظلم قرينان لا ينفصلان، ما دامت هناك دنيا فلا بد أن يوجد فيها ظلم، لقد راودني شعور صادق وأمنية صحيحة أكيدة، أن تسقط بنا الطائرة ونموت، لكن بعدما يقرب من ساعة نزلت الطائرة لا ندري أين نزلت، أنزلونا من الطائرة خلف بعضنا البعض، ربطونا بحبل، الواحد تلو الواحد، كل في ذراعه، الأصوات تعلوا من الجنود، لا تتحرك، لا تتكلم، الخوف والرعب يمتلكنا، ساقونا مقيدين نخطوا إلى الأمام بصعوبة بسبب قيد الأرجل، فقدت حذائي أثناء المشي، بدأ السير بطريق ملتوية، ذات حجارة وحصباء، مما تسبب بآلام الأرجل، بعد نصف ساعة، أدخلونا إلى بناء وأجلسونا على الأرض بعد أن حلوا الحبل الذي يربطنا ببعضنا البعض، بدأ واحد يتكلم، وآخر يترجم الكلام من خلفنا ممنوع الكلام، ممنوع الحركة، أنت

بيـد القوات الأمريكيـة المسلحة، يجب أن تحافظ على النظـام وتنفيذ التعليمات. أدركنـا الفجر ونحن على هذه الحالـة، فصلينا الفجر على حالنا كما نحن. بدأوا يأخذونا واحد تلو الآخر دون أن نعلم أو نرى إلى أين.

الحياة في بجرام

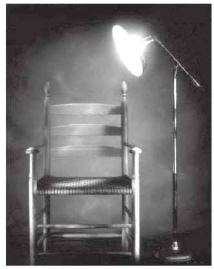

جـاء دوري، وتقدم جنـدي ساقنـي أمامـه وهـو يمسـك بـي، وأدخلـت إلى غرفة، حلوا قيد الأيدي ورفعوا الكيس عن رأسـي، حلوا قيد الأرجـل انهم يحيطون بـي مـن كل مكان ،طلبـوا منـي أن أخلع ملابسـي كلها، تلـكأت لان هـذا يحدث

للمـرة الأولى في حياتي، لكن تحت الكلام العالي، والغضب، فعلت .أخذوا مني كل شيء وأعطوني لباسا آخر - أبرهول - وحذاء خفيف وكتبوا على الابرهول الرقم الـذي تحمله ١٧١قالوا هـذا رقمك أعادوا قيـد الرجلين ثم قيـد اليدين لكن من الأمام أدخلوني إلى غرفة صغيرة، تم فيها تحقيق سريع وخفيف معي ثم أدخلوني إلى حظـيرة أرضية تحيط بها الأسلاك والأشواك المدببة، من كل جهة لكن أرض الحظـيرة خشب عليه موكيت - سجاد خفيف. .إنها ست، أو سبع حظائر، بجانب بعضهـا البعض كل حظـيرة تتسع إلى عشرين شخصـا، كل حظيرة منفصلة عن الأخـرى بأسـلاك مدببة أدخلـوني إلى حظيرة رقم ١ لقـد كان الوقت صباح يوم الجمعـة ٦ أو ٧ لعام ٢٠٠٢م يشرف على هذه الحظائر حراس من الطابق الثاني، معهـم أسلحتهـم الرشاشـة المصوبـة على الحظائر كمـا يوجد أيضـاً حراس في الطابق الأول حولنـا، يحملون أسلحة صغيرة، مسدسات أو نحوها، يحملونها على صدورهـم أو على أفخاذهـم يسيرون حولنا، أو يجلسـون أمامنا، يقومون بتقديم الخدمـات كالطعـام أو الماء.. للسجناء، عرفنا فيما بعـد أن هذا المكان هو قاعدة بجرام في أفغانستان.

الطعام ثلاث وجبات أولا الفطور، بعد صلاة الفجر مباشرة، والغداء الساعة الحادية عشرة، والعشاء الساعة الرابعة بعد الظهر، والطعام هو وجبات معلبة ليست جيدة، ولكنها ليست سيئة، متشابهة ومتكررة يومياً وهي أكياس جاهزة يحضرها الحارس لكل حظيرة في وعاء بلاستيكي، وكل سجين له وجبة مكونة من كيس، فيه معكرونة أو أرز بالدجاج المقطع صغير جدا والقليل، أو أرز مع قطع اللحم القليل والصغير أو فاصوليا سوداء مع قطع الدجاج الصغير، بالإضافة إلى قطعتين من البسكويت علبتين صغيرتين جداً فيهما صن فلكس Sunflax بسكويت خفيف وفي الأيام الأخيرة كانوا يعطون باكيت من الزبيب صغير جداً لكل سجين، أما الخبز ففي كل أسبوع مرتين، أما الفاكهة فلم نراها إلا مرات قليلة خلال الشهرين، وبعد انتهاء وجبة العشاء عصراً، يسمح لكل سجين أن يستعمل معجون الأسنان والفرشاة مرة كل يوم يحضرها الحارس يومياً ويأخذها بعد انتهاء الاستعمال، ولا يسمح ولكل ببقائها مع السجين، ولكل سجين فرشاة خاصة عليها رقمه، لا يستعملها غيره المياه ٣-٤ لترات يومياً لكل سجين، هي للشرب أو الطهارة أو الوضوء أما الاغتسال، مرة كل أسبوع لمدة خمس دقائق، والماء غير كاف وغير نظيف والذهاب للحمام مقيد اليدين والرجلين، ومغطى العينين، وربما ربطوا العشرة والعشرين شخصاً بحبل، الواحد تلو الأخر، وإذا وصلنا إلى مكان الحمام، فكوا القيود من أيدينا وأرجلنا، وأزالوا الغطاء عن العينين، والحمام ساتر من ثلاثة أوجه إلى منتصف الشخص إذا وقف، والجهة الرابعة مكشوفة.

أما التفتيش، فالسجين معرض للتفتيش في أي وقت من ليل أو نهار، وبطريقة استفزازية وعنيفة، ولا تستطيع أن تعترض على أي شيء، والصحيح أن الخوف والرعب كان يتملكنا في هذه القاعدة، وربما كان البعض لا يستطيع النوم أو الأكل والشرب من شدة الخوف، إنه بمجرد أن يقول الحارس تفتيش، يقف جميع السجناء في زاوية الحظيرة، الأيدي خلف الرأس، وممنوع الحركة، يدخل مجموعة من الجنود داخل الحظيرة ويبقى البعض في الخارج، ويقوم أحدهم

بإشهار السلاح واليد على الزناد، والتفتيش يشمل الجسم في كل ناحية منه، ويشمل تفتيش الأغراض، أما الحمام- مكان قضاء الحاجة، يوجد برميل لكل حظيرة يجلس فوقه الشخص عند قضاء الحاجة، وهو مكشوف من الجهات كلها إلا الجهة الخلفية يستره الجدار، لكن السجناء يسترون أنفسهم بالبطانية عند دخوله، ويجب أن يكون القسم العلوي من جسمك وأنت داخله ظاهراً للحارس، وإذا حاولت تغطية نفسك بالبطانية عند قضاء الحاجة، صرخ عليك الحارس، حتى تكشف رأسك المغطى بالبطانية، من اجل أن يراك.

بعد مضى ثلاثة أسابيع قاموا بحلق شعر الرأس واللحية والشوارب، اعترض البعض وطلب إعفائه من الحلق، لكن لم يسمعه أحد، وقد كرروا علينا الحلق في بجرام مرتين، بعض السجناء تأثر كثيراً، لم يستطع، الأكل لعدة أيام، أحد السجناء طلبوه للحلاقة، جلس على الكرسي مقيد اليدين والرجلين، بدأ الجندي يحلق له، لكنه أثناء حلق لحيته يبدوا أن آلة الحلاقة تسببت بإيذاء لحيته ووجهة فقام السجين وأمسك بيد الجندي الذي يمسك آله الحلاقة دون قصد، يريد أن يقول له لقد آذيتني، هذا العمل أثار غضب الحارس، وأمسك بخناق السجين ورماه على الأرض، وجلس فوقه، والسجين مقيد اليدين والرجلين، هجم مجموعة من الجنود وساعد بعضهم الجندي على السجين انتهى المشهد بانتصار الجنود على السجين المقيد، ولما رجع السجين إلى الحظيرة التي نعيش فيها سوياً، سألناه ما الذي جرى أتريد أن تمنع الحارس من الحلاقة. قال: لا إنما آذتني آله الحلاقة -أمسكت بيد الحارس دون قصد- كأنني أقول له لقد آذتني آله الحلاقة، فظن الحارس أني أريد أن امنعه من إتمام الحلاقة، لقد كان هذا الأمر شديداً علينا، نحن المسلمين، لأن اللحية عندنا في الدين لها مدلول وحكم معين، إن بعض الناس لم يحلق لحيته طيلة عمره، منذ أن نبتت على وجهه أما أنا فإنها المرة الأولى التي تحلق فيها منذ ٢٩ عاماً، لكن ربما هذا الأمر لا يعني شيئاً عند الأمريكان أو غيرهم.

التحقيق

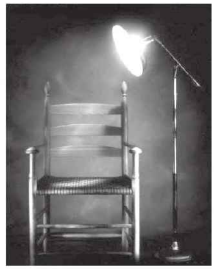

بعـد خمسة أيـام من وصـولي إلى بجرام، وعند الساعة العاشرة ليلاً نادى الحارس على رقمـي ١٧١ لا يوجد هناك أسماء أنت رقم في مسألة- قضيته- ليس إلا قمت مذعـوراً، لأنها المرة الأولى التي أمثل فيهـا أمام التحقيـق، لأن التحقيق الذي مر معنا في باكستان لم يكن بمثل هذا الجو، بهذه الرهبة، تقدمت إلى الشبك، قيد الشرطي يـداي ورجلاي ووضع الكيس في رأسي، وساقني أمامه، ثم صعد بي علـى الدرج، وأدخلني إلى غرفة، وأجلسني علـى الكرسي، عرفت أنني في الطابق الثاني، رفع الكيس عن رأسي بعد دقائق جاء رجلان يلبسان اللباس المدني، عرفت فيما بعد أن أحدهما محقق والآخر مترجم، بدأ المحقق يسأل والمترجم يتكلم معي وأنـا مقيد اليدين والرجلين المترجم عربيته مكسـرة، لكنه يفهم، فهو ليس عربياً يبـدوا من سحنته أنه غربي مثل المحقق داخلني شعور وإحساس يقول هذا المحقق لا أدري عـن أي شـيء سيسألني مـاذا صنعت في حياتي ضد الأمريـكان ليسألني عنه أول سؤال يتوجه به المترجم إلي هل تشرب البيرة؟ قلت لا، قال هل تأكل لحم الخنزير؟ قلت لا، هذه أمور محرمة في ديننا قلت في نفسي ما علاقة البيرة ولحم الخنزيـر بالإرهاب أو بتفجيرات نيويورك وواشنطن ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ (النساء: ٨١).

المترجم يسألني عن الاسم، سنة المولد، العائلة، الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانويـة، التحصيـل الجامعي العمـل بعد التخـرج، الزوجـة والأولاد، العمل في

باكستـان، ثـم بدأ يسألني عن الشبـاب العرب الذين يهربون مـن أفغانستان إلى باكستـان، عن أماكنهم ومـن يساعدهم في المال والوثائق للسفـر للخارج، قلت لا أعلم قال كيف لا تعلم إنك تعيش في باكستان؟ قلت أنا أعيش في باكستان لكن أعيش في مناطق الحكومة الباكستانية ولا يعيش في المناطق الحكومية إلا من يحمل وثائق وإقامة من الحكومة الباكستانية، وهؤلاء الذين تسألني عنهم، تقول: إنهم يحملون وثائق وجوازات غير صحيحة، هؤلاء، لا يستطيعون أن يعيشوا في مناطق الحكومة ثم تقول إنكم أمسكتم بمجموعة من هؤلاء إذاً هم موجودون عندكم فاسألهم هل يعرفونني، اسألهـم من يساعدهم بكل ما يريدون مـن الباكستان إن سألتني عن الذيـن يعيشون في مناطق الحكومة، ربما أعرفهم، أما الآخرين فلا أعرفهم، بعد ساعتين تقريباً انتهت الجلسة، ورجعت للحظيرة رقم ١ التي اسكنها، مقيد اليدين والرجلين، والكيس في رأسي، لكن عند دخول الحظيرة- على بابها- يقوم الحارس بفك قيد اليدين والرجلين ونزع الكيس من الرأس.

إن التحقيـق لا يكـون يوميـاً، وليس له برنامـج منظم، كل أسبـوع مرة مثلاً، إنما التحقيـق، حسب المحقق الذي يستلم قضيتك، يطلبك متى يريد، مضت أيام قليلـة لم أذهب إلى التحقيق في منتصف إحدى الليالي وإذ بصوت شاب - سجين في نفـس الحظيرة التي أعيش فيها يرتفع صوته، صـراخ ممزوج ببكاء، بعد ذلك عرفنا القصة، وهي أن أحد الحراس قام بمعاقبة هذا السجين، والعقاب أن يقف هذا السجين ساعة أو أكثر ويداه إلى أعلى مقيدتين معاً، ومربوطتين بشبك حديد الباب، ووضع الكيس في رأس المعاقب، هذا العقاب للشخص العادي الذي لا يوجد عنـده مرض، خاصة في رجليه محتمل، مـع وجود بعض التعب، لكن من يعاني من مرضـ في رجليه، أو في مكان آخر، هذا العقاب الـذي يبدوا خفيفاً يتعبه، إن هذا السجـين نحيـل ضعيف الجسم، متعـب ومريض، لا تحتمله قدمـاه للوقوف ساعة كاملـة، ويبدوا كما سمعـت أنه كان قد تعرض للضـرب والتعذيب في المعتقل الذي جـاء منه وعلى صراخ هذا السجين هرع الحرس ليروا المشكلة وإذا السجين معلق

بالبـاب مـدلى على الأرض لا تحمله قدماه، والعـادة أن الحرس يهرعـون إذا ما سمعـوا أي صـوت لأن الصوت دليل على وجـود مشكلة ما، خاصـة أن الجو العام لجميع الحظائر الستة الصمت والسكوت، الكلام ممنوع مع الآخرين، حتى الكلام مع نفسك غير ممسوح به قام الحارس وفك قيد السجين من حديد الباب، فسقط المسكـين على الأرض لأنه كان معلقـاً بيديه على الباب، طلب منـا الحارس رفعه وإرجاعه إلى فراشه وتقديم الماء له لكن تنفس هذا السجين وتشخيره مرتفع، كان عنده ضيق تنفس، جاء الطبيب- كانت سيدة- قدمت له بعض الكبسولات، تفرقنا عنه، لأن التجمهر ممنوع، تركناه يشخر وأسلمنا أنفسنا للنوم.

العقـاب في السجـن كثير ولأتفـه الأسبـاب وأقلهـا، وربما بـدون سبب، لأن المطلـوب القاء الرعب في قلوب المساجين، والزامهم بأنظمة السجن وقوانينه، من تكلـم مع جـاره ولو بصوت منخفض عليه العقاب، أو تكلـم مع نفسه، أو خالف أي قانـون مـن قوانين السجن أو خالـف أي أمر مـن أوامر الجنود، ولـو كانت أوامر الجنود ليست من قوانين ولوائح السجن، الآذان ممنوع، قام أحد السجناء العجم وحـاول أن يـؤذن مرة، قال له الحارس بالإنجليزية: أسكت، لكـن أنا لست أدري هـل قانون السجن يمنع الآذان أو هـو أمر من الحارس ومن أراد الآذان كان يؤذن بصوت منخفض، ويلتفت يميناً ويساراً حتى لا يراه أحد، صلاة الجماعة ممنوعة، الوضوء بالماء ولـو بالماء القليل الذي هو نصيب واستحقاق السجين ممنوع، إلا أن يكـون الوضوء خفية، وإذا رآك الحارس يصرخ عليك بأن الوضوء ممنوع، سمعت أذنـاي ذلـك من الحارس استعمال الماء ولو القليـل في دورة المياه غير مسموح به، طلب الحوائج والخدمات من الحرس لا بد أن يسبقه كلمة PLEAS -من فضلك- لا بأس بهذا، لكن لو نسيت هذه الكلمة عامداً أو ساهياً فإن هذا السهو لا يجبره أي شيء على المذهب الأمريكي، كان معنا في الحظيرة رقم ٦ أحد السجناء المعاقين، بـدون ساق، قام مرة وطلـب قارورة ماء من أحد الحراس، غضب الجندي وقال للسجـين قـل لي PLEAS من فضلك أعطنـي الماء غاب الجنـدي عشرين دقيقة

تقريباً ثم رجع وقال للسجين تريد الماء مني؟ إذا طلبت شيئاً من الحارس قل له، من فضلك لو تسمح أعطني، وكرر هذا الكلام على السجين عدة مرات.

ماء الشرب الذي يقدم للسجناء، ماء حار، غير بارد، ودرجة الحرارة مرتفعة، ومن أجل أن نبرد الماء، كنا نقوم بتغليف قارورة الماء بورق الفاين T.P منديل الحمام عدة طبقات، ونصب الماء على الفاين حتى يتشرب ورق الفاين الماء، ونتركه قليلاً في الهواء، فيبرد الماء، وهذا يتم خفية عن الحرس، وإذا رآه الحارس منعه وصادر علب الماء.

كنت أرى بعض السجناء لا يفارقه قيد اليدين والرجلين سواء في داخل الحظيرة التي ينام فيها أو عند الذهب للتحقيق، عيون الحرس ترقبه ليل نهار، أما اللباس، فقد مضى عليه شهر دون تغيير، ظهر عليه الوسخ ورائحة العرق، بسبب الغبار الكثير والحرارة المرتفعة، وإذا تمزق لسبب أو لآخر، فمن الصعوبة تغييره أو إصلاحه، تمزق لباسي -الأبرهول- لأنه لباس ليس على قياسي، إنه ضيق، لقد تمزق من أول يوم، لم يغيروه لي، حتى أخبرت الصليب الأحمر الذي كان يزورنا بين الحين والآخر، حتى اللباس الجديد تمزق وانكشف بعض جسدي، طلبت تغيير اللباس من الحرس، فأجاب بالرفض، إنني لا أستطيع النوم أو الصلاة فيه، أو حتى الجلوسي به، أخذت قطعة حديد من الأسلاك الموجودة، وبدأت أثقب القماش مكان إبرة الخياطة واربط مكان الثقب بخيط، وهكذا من هنا خيط ومن هناك خيط آخر حتى تم إصلاحه ولكن ليس بشكل جيد.

بعد مضي أسبوع على وجودي في الحظيرة قم ١ قام الحرس ونقلوني إلى الحظيرة رقم ٦، وقد بقيت فيها حتى ثم ترحيلنا إلى كوبا، وقد بقيت في بجرام مدة شهرين.

بعد مضي أيام من وصولي إلى هذه الحظيرة طلبوني للتحقيق، وسألوني إن كنت أعرف الأشخاص الذين يساعدون الهاربين المقاتلين من أفغانستان

إلى باكستان، أو إلى خارج باكستان، من يساعدهم ويقدم لهم المال، أو يقدم لهم الجوازات، ويعمل لهم التأشيرات للدخول أو الخروج، من يرشدهم ويدلهم على الأماكن والطرق، قلت له: أنا لا أعرف إلا الذين يعيشون في بيشاور، لأنهم يحملون وثائق صحيحة وإقامات من الحكومة الباكستانية، وهؤلاء الذين تسألني عنهم لا يمكنهم العيش في أماكن تسيطر عليها الحكومة، لأنهم يحتاجون إلى وثائق وجوازات صحيحة وإذن تصريح إقامة من الحكومة، وهذه لا توجد معهم، بعد ذلك سألني، هل يمكن أن يعيش هؤلاء الذين لا يحملون الجوازات والوثائق الصحيحة في مناطق القبائل التي لا تخضع لسيطرة الحكومة الباكستانية؟ قلت له:نعم، الهاربون من أفغانستان إلى باكستان، ربما يعيشون في مناطق القبائل، لأنها مناطق حرة، لا تخضع لحكومة، وهي مناطق لا تحتاج إلى تأشيرات وإذن إقامة من أحد، ثم إنكم تقولون إنكم إعتقلتم مجموعة من هؤلاء الهاربين من أفغانستان، في المناطق الحدودية والقبلية، إسألوهم عن الأشخاص الذين يساعدونهم بالمال أو بالوثائق وغيرها، لماذا تسألني أنا عنهم، ثم اسألهم أن كانوا يعرفونني، أنا لا أعرفهم ولا يعرفونني، قال لي: لقد شهد عليك البعض أنك تقدم لهم المساعدة، قلت هذا غير صحيح، قال كيف غير صحيح؟ إن الشاهد الذي شهد عليك موجود هنا، في إحدى هذه الحظائر، قلت: له إن كان ما تقوله صحيح فليحضر هذا الشاهد هنا، وليشهد علي ويقول كيف أقدم لهم المساعدة ومتى وما هي المساعدة التي قدمتها لهم، وفي أي مكان قدمت لهم ذلك، قال الشاهد عليك موجود لكن لا يريد أن يقابلك، قلت هذا الكلام إذن غير صحيح، كلام بلا بينة، لا يستحق الرد عليه، انتهت الجلسة وانصرفت كما جئت، مقيد اليدين والرجلين والكيس في رأسي، بعد يومين طلبني المحقق وكان هذا المحقق جديداً، سألني عن أقاربي الموجودين في باكستان والأردن، كان يتقن العربية سألني عن أفراد عائلتي أولادي، الذكور والإناث، ثم سألني سؤالاً محرجاً لا علاقته له بالقضية التي جمعوا الناس من أجلها، قال بناتك كبار، قلت له، نعم، قال إبنتك الكبيرة جميلة؟ قلت

لـه: أن كانت جميلـة أو غير جميلة ما علاقـة هذا الأمر بالتحقيـق أنت اعتقلتني مـن باكستان إلى هنا، حتى تسألني هـذا السؤال كانت بيده سيجارة يمصها بقوة ثـم ينفث دخانهـا من فمه علي، وينظر إلى بغرابة، قـال إني أشعر بالملل والسآمة قلـت لـه: لمـاذا؟ كل شيء متوفر لديـك الصحف والمجـلات القنـوات الفضائية، الأفلام المآكل والمشـارب- النساء قال إني أشعر بالضجر والملل أنا مسجون مثلك لا أستطيـع مغـادرة هذا المكان، إنني مقيـد الحركة، أتمنـى أن ارجع إلى زوجتي وأولادي، كما تتمنى أنت، قال الشيخ عبد الله عزام قريبك؟ قلت نعم قال ما صلة القرابـة بينكما؟ قلت عمي، قال أين عائلته، قلت له، في الأردن، سألني عن أولاده وبناتـه وأزواجهن، وأسمائهم، قلت له الكبير محمـد، قتل معه مع أخيه إبراهيم، ثـم حذيفـة ويدرس في كليـة الشريعة، ثـم حمزة ومصعـب يدرسـان في الأردن، قـال بناته قلت له الكبيرة كانـت في باكستان وسافرت مع زوجهـا إلى الأردن، ثم الأخـرى زوجها يدرس في روالبندي وسافر إلى الأردن، قال عبد الله انس، قلت له صهـر الشيخ قال أيـن هو قلت له: في بريطانيا، قال: ماذا يعمل؟ قلت لا أدري، هو لاجـيء هناك منذ عشر سنين، قال من قتل الشيخ عبد الله عزام؟ قلت: لا أعرف كان البوليـس الباكستاني يأتي ويأخذ التحقيق والمعلومـات من عائلته، ويخبرهم أن التحقيـق في قتلـه مستمـر، وسنخبركم فيما بعد عن القتلـة، فعليكم بالصبر، ثـم قلـت له إن ضياء الحق الرئيـس الباكستاني سقطت طائرتـه منذ أربعة عشر عاماً، وحتى الآن لم تعلن الحكومة الباكستانية عن سبب سقوط الطائرة، ولا يزال الشعـب الباكستاني ينتظر الجواب من حكومته خاصـة عائله الرئيس، أتريد منا أن نعـرف مـن قتل الشيخ، الحكومة الباكستانية لم تعلـن أي شيئاً عن هذا الأمر، رغم أنه قتـل على أراضيها، وكان يعمل دكتوراً مبعوثاً من رابطة العالم الإسلامي إلى الجامعـة الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامي هيئـة حكومية سعودية عالمية، فقتـل الشيخ ليس كقتل أي شخص عادي إنه شخصـ ينتسب إلى جامعة حكومية وهيئـة سعوديـة عالمية لكن غاب كل شـيء ولا يعرفون عن القتلة شيئـاً كان يبدوا

عليــه الإرهــاق والتعب، قال لي: إني متعب، قلت له، لماذا لا تستريح قال لا أستطيع الراحة والإرهابيون موجودون، كان الوقت ليلاً ، قال انتهت الجلسة الآن انصرف، وعدت إلى الحظيرة كما جئت مقيد اليدين والرجلين مع الكيس في رأسي.

إنهم يراقبون ويسجلــون، ويحاسبون السجين على كل حركة أو تصرف يقوم بــه إن الإنسان في السجن يشعر بالفراغ الكبير، إن اليوم في السجن طويل، فلا بد أن يطرد الإنسان الملل والسآمة عن نفسه أولاً، ثم لا بد أن يملأ هذا الوقت بالنافع مــن القول والعمل إن جميع الاتصالات بالعالم الخارجي غير موجودة، ليس هناك صحيفــة ولا مجلة ليس في السجين تلفون أو تلفزيــون، لا كتاب ولا شريط لا يوجد معك إلا القرآن الكريم او العبادة التي تملأ السجين بالأمن والطمأنينة والسكينة، والرضا بالقضاء والقدر، لا يوجد معك إلا الاتصال برب الأرض والسماء، والعبادة والدعــاء بأن يكون فرج الله للمظلومين قريب بقــدرة رب العالمين قال لي صاحبي لا تكــثر من العبادة والنوافل وقراءة القــرآن أمامهم إنهم -الحرس- يراقبون كل واحد، يكتبون كل صغيرة وكبيرة يعملها، وصدق صاحبي في ملاحظته بعد يومين مــن نصيحتــه لي، طلبني المحقق وقــال لي أنت جيد، أنت مسلــم ملتزم، صحيح، وأنــت كم تصلي في اليوم، كم مرة كنت تذهــب إلى المسجد؟ قلت له: كيف عرفت أني مسلم صحيح؟ قال أنت تصلي كثيراً، قلت له لا يوجد عندنا أي شيء من الكتب والمجلات والجرائد، لا يوجد شيء يؤنسنا ويخفف عنا ساعات السجن إلا الصلاة وقــراءة القــرآن انت لا يعجبك هذا لا تحبه؟ قــال: لا، لا، أنت تفعل ما تحب، هذا أمــر يخصك، قلت لصاحبــي لما رجعت: لقد سألوني عن الصــلاة والقرآن، قال: ألم أقــل لك قلت له: إذن لماذا هم يقدمون لنــا القرآن الكريم؟ قال: أنت مسكين، إنهم يقدمون القرآن الكريم لك ليعرفوا كم تقرأ منه يومياً، هل أنت متعلق به أو لا ليعرفوا مدى احترامك واجلالك للقرآن، بينما لو لم يسلموك القرآن كيف يعرفون هذا، لقــد كنت أرى بعض المسجونين يقللون صلاتهــم وقرائتهم للقرآن، يخففون عباداتهــم ونوافلهم، حتى يظهروا عامدين أمام الحرس الأمريكان بأنهم عاديين

وليسوا متطرفين متشددين، ليسوا متزمتين (حسب تفسيرهم) إنهم أرادوا أن يأخذ عنهم الأمريكان أنهم مسلمون (سكر خفيف) كما يقول بعض الناس بل إن بعضهم كما سمعت قال للمحققين إنه ترك دينه إنه تنصر ودخل في دين المسيح عليه الصلاة والسلام، ليخرج من السجن لقد ظن هذا المسكين أن المحققين سيصدقونه ويطلقوا سراحه، وقد فطن له المحققون، وأدركوا كذبة وأن الذي يفعله هذا الشخص إنما هي حيلة ورخصة يترخص بها ليخرجوه من السجن وليس جاداً فيما أظهره، لقد كان البعض يتعمد الكلام مع المجندات كلما مرت إحداهن من أمامه، بل لا يطلب ما يريده من أغراض إلا من المجندات، مع وجود الجنود والحرس، إنه يطيل الكلام مع النساء، ويضحك، وربما بدأ يغني ويظهر في لباس الشرط الرياضي في غرفته في مكان الرياضة، بل ربما يتكلم مع المجندة بكلام لا يقوله الرجل إلا لزوجته، يقول لها أعطني قبلة، إنني أحبك I LOVE YOU وغير ذلك، أنا لا أدري هل هذه هي حقيقة هؤلاء السجناء أم هو التظاهر بقلة الدين والتحلل، لأمر يقصدونه، لقد كان بعض السجناء يستلم بعض آلات التسلية مع أنه لا يعرف استعمالها، ولا يريد أن يستعملها أصلاً حتى لا يقول عنه الأمريكان إنه ليس متشدد أو إرهابي كما يسمونهم، كان البعض يستلم الشطرنج مثلاً أو أوراق الشدة- البليت- او غيرها من الألعاب، ويضعها في غرفته حتى لا يقولوا عنه إنه متزمت، حتى يقولوا عنه إنه منفتح وليس منغلق على نفسه، لقد سمعت أن بعض السجناء لبس الصليب، وترك الصلاة، ترك دينه الإسلام ودخل في دين آخر، إنه ارتد عن دينه لأمر يقصده ولحاجة دنيويه يطمع بها، ومضى عليه وقت طويل لم يحصل على هذا المقصد ولم يحقق هذا الطمع، بل تعسر حالة وساءت أحواله، وازداد بلاءه وصعبت حياته، وتسلط عليه الضنك والهم والحزن مضت أيام قليلة وحضر الحارس وقال رقم ١٧١ للتحقيق، وقفت على باب الحظيرة ليقوم الحارس بتقييد اليدين والرجلين، ثم أخذ الكيس وألبسه لرأسي وساقني كالمعتاد إلى الطابق الأعلى دخلت الغرفة، جلست على الكرسي،

رفع الكيس عن رأسي، وإذا أنا أمام محقق جديد ومعه مترجم- سيدة- جلست كان الوقت ليلاً، قلت له مساء الخير، قال أنا لست بخير قلت له لماذا؟ قال أنا لا أستطيع أن استريح حتى أقتل جميع الإرهابيين، قلت له من هم الإرهابيون؟ قال أنتم، قلت له ليس كل من جمعتموهم هنا إرهابيين إن كثيراً منهم لا يعرف أسامة بن لادن، ولم يره طيلة حياته وقسم منهم لم يدخل أفغانستان أبداً، جمعتموهم من باكستان كانوا يعملون في مؤسسات إغاثية وإنسانية يقيمون بأوراق وجوازات صحيحة وإقامات من الحكومة الباكستانية والحكومة الباكستانية، تعرف عنهم كل شيء عملهم مسكنهم تحركاتهم، قال هؤلاء الإرهابيون كيف يدخلون إلى باكستان من الحدود الأفغانية والباكستان دولة فيها حكومة وجيش وشرطة كيف تسمح لهم قلت له أنا لا أعرف، ثم أردفت قائلاً له إن علاقتكم بالحكومة الباكستان جيدة وعلى أحسن حال يمكنكم أن تسألوهم عنهم وفي أثناء الحديث مرت فراشة من أمامي وجعلت تذهب وترجع أمامي فأردت أن أقتلها برجلي، قال لي ماذا تريد منها قلت أريد أن أقتلها قال لا تقتلها أنت إرهابي؟ قلت لا، إنها أزعجتني وأزعجتك، أنت أيضا فأردت قتلها، وبعد أيام حصل مثل هذا الموقف وأنا في الحظيرة مكان النوم، رأى أحد الحراس من يريد قتل مثل هذه الفراشة فنهاه عن قتلها فسألت أحد السجناء عن سر النهي عن قتل مثل هذا الفراش، فقال لي السجين: إن أحد الجنود أخبره أنهم يحبون مثل هذا الفراش يطبخون هذا الفراش مع الزيت وهو وجبة لذيذة عندهم والله أعلم بما قاله السجين وما قاله الجندي ثم سأل المحقق سؤالاً آخر فقال: هل يمكن أن يقوم هؤلاء الإرهابيون بتقديم أموال ورشاوى للشرطة الباكستانية حتى تغض الطرق عنهم وتسمح لهم بالمرور من أراضيها أو العيش فيها؟ قلت له لا أدري قال هل قمت طيلة حياتك في باكستان بدفع رشوى للشرطة الباكستانية قلت له لا لأنني أقيم في باكستان بشكل قانوني قال هل يمكن أن تقبل الشرطة الباكستانية الرشاوى قلت له أنا لا أعرف قال هل سمعت أن أحداً قدم الرشوى ليتجاوز القانون أو يتخطاه قلت

لـه لم أسمع قـال هل يعقل هذا قلت له أنـا لم اسمع أنا ليـس لي اختلاط بالناس قـال ما هـي بارة وداره، قلت له أسمع بهما ولم أرهمـا إنها مناطق قبلية لا تخضع للحكومـة الباكستانيـة قال هل يمكن أن يكون بهما إرهابيون؟ قلت أنا لا أعرف إن كان بهمـا إرهابيـون أو لا، أنا لست مراقبـاً على الناس حتى اعـرف أين يعيشون وكيـف يتحركون وبمن يتصلون وعندكم وسائل حديثـة وأجهزة متطورة أكيد أنها أخبرتكـم عن كل شيء أو أخبرتكم عن اكـثر الأشياء ثم أخرج خارطة لحياة أباد وهـي منطقة سكنية جميلة ونظيفـة هي حي من إحياء بيشـاور، الخارطة، كبيرة طولهـا متر وعرضها متر ثم قـال أين بيتك قلت له عفواً أنا لا أستطيع أن استعمل الخارطـة العسكرية اقرأ لي أنت أسماء الأحيـاء والشوارع والمناطق عندها يمكن أن أخـبرك أين بيتي وفعـلاً قرأ اسم الشوارع والمناطق قلت له هنا بيتنا قال وبيت فـلان وفلان عن أشخاص مسجونـين معنا واعتقلوا معناً سوياً في ليلة واحدة، قرأ أسمـاء الشوارع والمناطق قلت له هنا يكون بيت فلان، وهنا يكون بيت فلان انتهت الجلسة، ورجعت إلى الحظيرة- مكان الإقامة والنوم.

مضت أيام وإذا بالحارس ينادي على رقمي ١٧١ تحقيق قلت ها أنا ذا قيدني كالمعتاد ووضـع الكيس في رأسي وساقني إلى الطابق الثاني مكان التحقيق جلست علـى الكرسـي وإذا المحقـق جديد، سألني عـن السيرة الذاتيـة أسمك، مولدك، دراستك،عملـك- حتـى ألقـي القبض علـي، ثم قـال لي: هناك معـادن نشيطة متحركـة، غير ساكنة تؤثر في غيرهـا وتنشطها، أنت عنصـر نشيط، مثل المعدن النشيط قلت له المعلومات هذه غير صحيحة قال هل تعرف الفارين من أفغانستان إلى باكستـان أيـن يسكنـون ومـن يساعدهم بعمل الجـوازات والتأشـيرات، من يرشدهـم من يقدم لهم المال؟ قلت له أنـا أعيش في بيشاور وهي منطقة حكومية، إن سألتنـي عنها أعرف وأجيبك وهؤلاء الذين تسألني عنهم لا يستطيعون السكن في مناطـق الحكومـة إنهم يسكنـون في المناطق القبلية والحدوديـة التي لا تخضع لسيطـرة الحكومـة وهذه مناطق لا تحتـاج إلى وثائق وجـوازات لا تحتاج إلى إذن

إقامــة أو تصريــح دخول وخروج، لا تحتاج إلى إذن أحد، قال بل تعرف ويوجد من يشهد بذلك عليك، قلت هذا غير صحيح وإن كان صحيحاً فاحضر لي من قال لك وليشهــد علي أمامي قال أنا متأكد أنــه يوجد من قال إنك تعرف قلت أؤكد بجميع التأكيدات أنني لا اعرف، قال انصرف الآن وفكر في الأمر عدت إلى الحظيرة رقم ٦ مــكان النوم، وفي اليوم الثاني استدعاني وقال هل فكرت؟ قلت له بماذا قال بما أخبرتــك بالأمس، قلت له أنا قلت لك أننــي لا أعرف فأجلسني على ركبتي ويداي مقيدتــان خلــف رأسي ورجلاي مقيدتان وقال أجب وأخــبرني عما سألتك قلت له ليس عندي إلا هذا الجواب، لا أعرف شيئاً عن هؤلاء الذين سألتني عنهم، أبقاني ساعــة على هذه الحالة والكيس في رأسي، الجو حــار الجمني العرق ضاق نفسي، بعــد ساعة جاء وقال انصرف الآن وفكر في الأمر وسوف نطلبك فيما بعد، رجعت وكان الوقت نهاراً وفي الليل نفس اليوم طلبني والذهاب إلى التحقيق أو الرجوع منه لا يتم إلا بتقييد اليدين والرجلين والكيس في الرأس، جلست وجدت المحقق السابق ومعــه شخص آخــر سحنته وخلقته من جنــوب شرق آسيا كأنه يابــاني أو صيني، هكــذا يبــدو إلي شكله، أجلسني على ركبتي ويداي خلــف رأسي مقيدتان ورجلاي مقيدتان أيضا، لكن لا يوجد كيس في رأسي، قال لي هذا الرجل الجديد هل فكرت فيما سألك عنه بالأمس هل تعرف أم لا تعرف قلت له أنا اخبرتك بالأمس أنني لا أعــرف، وأؤكــد لك ذلك فشد لحيتي بيده شداً عنيفاً وقــال لماذا تكذب قلت له أنا لا أكــذب قال إنكم تعتقدون أن الكذب على العدو- علينا- يجوز في دينكم. الكذب علــى العدو وفي الحرب مبــاح وجائز أليس كذلك قلت له أنا لا أكذب عليك قال إن الكثيريــن ممن يوجد معك في الحظائر كذبوا علينا ثم رجعوا وغيروا اعترافاتهم وقالــوا لنا لقد كذبنا عليكم وقالوا لنا الأخبار والمعلومات الصحيحة قلت له أنا لم أكذب عليكم حتى أبدل كلامي وأغير معلوماتي قال سوف ترى هذا الكلام كله ليس مــن المحقق القديم إنه من المحقــق الجديد- الياباني- إنه يهــدد ويتوعد أوقفني ووجهــي على الجدار قدماي مقيدتــان ويداي خلف رأسي مقيدتــان أيضاً، ووضع

الكيس في رأسي، الحر شديد التقط نفسي والجمني العرق كان العقاب ساعة تقريباً، بعد مضي الساعة قال أتعرف أم لا تعرف؟ قلت: لا أعرف،قال انصرف الآن، لنا معك عودة أخرى، نادى الحارس، أمسكني الحارس ودفعني أمامه بشدة وهو يمسكني بيديه، يد على منكبي واليد الثانية على خاصرتي، ومن شدة دفعه لي، كدت أن أسقط من أعلى الدرج، وصلت الحظيرة رقم ٦ مكان النوم، وفي اليوم التالي نادى علي الحارس رقم ١٧١ تحقيق، ذهبت، قال لي المحقق: أظن أنك غيرت رأيك وستخبرنا عما طلبناه منك، كما فعل ذلك كثير من السجناء قلت له أؤكد لك أنني لا أعرف، وبدون قصد وانتباه، بدأت أقسم له بالله العظيم أنني لا أعرف، بدأ يضحك هو وصاحبه ويقول إنكم تعتبروننا كفاراً يجوز الكذب علينا أنتم لا تحبوننا تريدون إيصال الضرر والشر إلينا لأنكم تعتقدون أننا كفاراً يجوز أن تفعلوا ضدنا كل شي هكذا أنتم تظنون قلت له إن كنت كافراً أو غير كافر هذه ليست مسؤليتي، وهذا ليس عملي هل أحضرتني من بيتي في باكستان إلى هنا لأنني أنا مسلم وأنت كافر، إن المسلمين في العالم كثيرون لماذا لم تحضرهم هنا وتحقق معهم إنك تتهمني بشيء وأنا منه بريء، لا علاقة للإسلام والمسلمين به إنكم تجمعون الناس بلا ذنب وتحققون معهم وتتهمونهم بما هم منه براء قال إذا لم تخبري بما سألتك عنه سوف نحضر زوجتك إلى هنا وبعد أيام سوف تنهض من النوم وإذا بزوجتك هنا معك في السجن قلت له ما علاقة زوجتي بما تتهمني به وأنا منه براء فكيف بزوجتي قال زوجتك تعطي المحاضرات والدروس وتحرض على القتل والإرهاب قلت له يا هذا زوجتي إمرأة أمية لا تستطيع أن تلقي المحاضرات والدروس إنها ربة بيت ومربية أطفال أنت موهوم الأخبار التي وصلتك خطأ ١٠٠٪ لم يكترث بما أقول أوقفني وأعادة علي عقاب الأمس لكن الوقوف اليوم على قدم واحدة وليس على قدمين، انتهت الساعة، أصبحت ثيابي كأنني خارج من بركة ماء من كثرة العرق، قال: انصرف الآن وسنعود إليك، جاء الحارس وارجعني إلى مكان النوم.

بعد أيام استدعاني للتحقيق وأعاد علي السؤال السابق، هل أعرف الإرهابين- كما يسمونهم ومن يساعدهم؟ قلت: لا أعرف كرر على السؤال وكررت عليه الجواب بالنفـي، لقد استدعاني- هذا الشخص الياباني أو الصيني الشكل، وسألني نفس السؤال عدة مرات، وأعيد عليه نفس الجواب- ليس عندهم أي تهمة أو شبهة إنما هـي إتهامات وافتراءات ليس لها أي نسبة من الصحة، ليس عنده إلا هذا السؤال والاتهـام، يعيده علي وأعيد عليه نفس الجواب، وفي كل مرة العقاب ساعة، الكيس في الرأس والرجلان مقيدتان اليدان خلف الرأس مقيدتـان أيضاً، وهذا العقاب يكون وأنا واقف ووجهي نحو الجدار، وهم يجلسون أو هو يجلس وحده يرقبني حتى أبقـى على نفس الحال، دائم الوقـوف لا استريح، لقد مر في ذهني وأنا على هذه الحالة قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾. (البروج: ٧).

وبعـد مرات كثيرة، وهو يطلبني للتحقيـق، ولا يوجد عندي إلا نفس الجواب، وأظنـه يرى أنني صادق فيما أقـول، ولا يوجد أي دليل ضعيف أو شبهة، تثبت علي مـا يقولـه، قلت لـه لو كان معك مسدس أو علقت لي حبل المشنقـة في سقف هذه الغرفة ثم هددتني إما أن أقول لك ما تريده أو تنفذ حكم الإعدام بي بالمسدس أو بالمشنقـة، لقلت لك أنا لا يوجد عنـدي إلا نفس الجواب الذي قلته لك نفذ الحكم الـذي تريـده لأنني متأكد ممـا أقوله لك وأنا صادق ١٠٠٪ فيمـا أقوله لك، إلا إن أحببت أن أقول لك كلاماً كاذباً أتريد مني معلومات كاذبة؟ قال لا أريد قلت له إن المعلومـات الكاذبة لا تفيدك فإن كنت غضبان علـي الآن شيئاً قليلاً لأنني صادق، فكيف لو قلت لك معلومات كاذبة، إن المعلومات الكاذبة تضر أو تؤخر التحقيق الذي تقوم به معي أو مع غيري، إنكم تريدون معلومات توصلكم إلى الحقيقة أو توصلكم إلى الإرهابيـين الذين تبحثون عنهم كما تسمونهم، والمعلومات الكاذبة لا توصلكم إلى الحقيقـة يبدوا لي أن قسمـات وجهة ارتاحت لما أقوله وصدق ما يسمعه، قال: جيـد انصرف الآن وسنعود إليـك بعد ذلك نادى الحارس وأرجعني إلى حظيرة النـوم ثم طلبنـي في اليوم التالي ليلاً وقال لي تكلم قلت: صدقني أني بريء وبدأت

أحلف له وهو يضحك، أنا جاد في يميني لأنني أظن أنه يصدقني في يميني، قلت له صدقني لا يوجد عندي إلا الصدق والكلام الصحيح، قال لي، سترى، نادى على الحارس وأرجعني إلى حظيرة النوم، رجعت نمت مباشرة من شدة التعب، ولم تمض على نومي إلا ساعتين، وإذا بالحارس يوقظني بصوته العالي فزعت من النوم، قلت له ما الأمر؟ قال ممنوع النوم وقفت مكاني، ثم أردت أن أرجع للنوم، قال: لا تنم، فعرفت إنه عقاب، لم أنم تلك الليلة، إلا ساعتين، وفي اليوم التالي طلب مني الحارس أن أنقل فراشي البسيط بطانيتين إلى غرفة صغيرة مشبكة بالحديد، أمام الحظيرة التي أسكن فيها لأن كل حظيرة من الحظائر الستة يوجد في مقدمتها غرفة صغيرة ١,٥ × ٢ متر تقريباً، هذه الغرفة يدخل ويخرج منها السجناء الموجودون داخل الحظيرة يخرجون إلى التحقيق أو إلى الحمام، أو أي غرض آخر، وتستخدم هذه الغرفة عقاباً للسجناء، لأنها صغيرة لا تتحرك فيها كثيراً، ومغلقة دائماً حتى الحمام لا تذهب إليه إلا بالإذن، بخلاف باقي السجناء، يذهبون إلى دورة المياه بدون إذن، كما يشاءون، ومن يجلس في هذه الغرفة يكون مقيد اليدين والرجلين وحتى الذهاب إلى دورة المياه يكون السجين مقيد الرجلين، واليدين ونادراً ما يفك لك الحارس قيد أحد اليدين، ليسهل عليك استعمال دورة المياه ثم يعود ويربطها لك بعد ذلك ثم إن هذه الغرفة- غرفة العقاب- أمام الحرس والجنود ٢٤ ساعة تحت المراقبة ١٠٠٪، إنك تأكل وتشرب فيها، جلست فيها أياماً لم يسمح لي بالنوم فيها إلا قليلاً، حتى النوم وأنت جالس على الأرض (متربع برجليك) بجسمك على الأرض غير مسموح به، النوم قليل، وإن نمت وأنت جالس على الأرض، قال لك الحارس، قف لا تنم، لأن الغرفة تحت المراقبة الكاملة ١٠٠٪، وأن وقفت تعبت من الوقوف، لا يسمح لك أن تتكأ على جدار الغرفة الحديدي لا بيديك ولا بجسمك، إنه إرهاق شديد، مضى على هذا العقاب أياماً ثم أدخلني إلى داخل الحظيرة- مكان النوم السابق، فرحت كثيراً لهذا التحول، لقد عافانا الله عز وجل من هذا العقاب الذي لا ناقة لي فيه ولا جمل كما يقول المثل.

إن جميع أوامـر الحرس والجنود التي يوجهونها إلى السجناء، إنما يتلقونها مـن المحققـين، إن المحققين، هـم الذين يديـرون السجن من أولـه إلى آخره عن طريـق الحرس والجنود الذين ينفذون بالدقة أوامـر وتعليمات المحققين، إنهم لا يستطيعون عصيانها أو تأخيرها أبداً.

في بجـرام كانوا يفرضون على السجنـاء المعاقبين زيادة على وضع الكيس في الرأس والتقيـد بالسلاسل، كانوا يطلبون من بعض المعاقبين تنظيف الأرض من الأوسـاخ، والأشد من ذلك كانت كل حظيرة تقوم بتنظيف حظيرتها، وكانت كثير مـن الأوساخ بين الأسلاك ذات الشوك المدبب ولا بد لك من إدخال يدك بين هذه الأشواك، مما كان يتسبب بكثير من الجروح في أيدينا، في بجرام يأمرك الحارس بما يحلوا له، ذات مرة أراد واحد من الحرس أن يأمرك بأوامر لا ندري ما الحكمة منهـا، ومـا هي الفائدة في فعلها، قال: ضع القـرآن جانباً لا تمسه، لا تقرأ فيه ولو غيبـاً، لا تتكلم حتـى مع نفسك إجلس على الأرض ولا تقـف لا تتحرك من مكانك الجميـع جلس كان كل واحد منا جماد في مكانه، بعد قليل قـال قم واقفز مكانك بعدها جلوس بعد الجلوس هرولة داخل الحظيرة خلف بعضنا البعض.

إن مشاهدة النساء- المجندات -بلباس الشرط الرياضي شيئاً عادياً عندهم ومألوفـاً في حياتهم، لكن عند السجناء هذا الأمر غير مألوف، إنه أمر يضايقهم، ربمـا تمر المجندات بالشـرط من أمام السجناء، إنه مـرور في الطريق تراه يومياً مرات كثيرة، خاصة أن الجو حار، إنه فصل الصيف، وربما جاءت المجندة بلباس الشرط وجلست مع الجندي مقابل الحظائر التي نعيش فيها يتحدثان ويضحكان، إن بإمكانهمـا أن يذهبا بعيداً عن أعين السجناء، لكن لا نستطيع الكلام معهما أو الاعتراض على فعلهما.

ذات صباح جاء الحارس وقال كل واحد يضع القرآن جانباً، لا يمسه، لا تقرأ فيـه، والمطلوب من كل واحد الوقـوف والقفز إلى أعلى، وحـركات رياضية أخرى

غـير معتـادة ومتعبة، بعد ذلك الجلوس مع عدم الـكلام أو الالتفات إلى أي جهة، باستثنـاء الجهة التي فيها الحرس لمراقبة الوضع، الكلام مع الغير ممنوع، وحتى الكلام مع نفسك غير مسموح به وللحارس أن يختار من يشاء لإيقاع العقاب عليه دون أن يسمـح للسجين أن يدافع عن نفسه والسجين يكون مقيد اليدين والقدمين والكيـس في الرأس ولما حاول أحـد السجناء بالدفاع عن نفسـه بالنقاش والكلام الهادي، شددوا عليه بالعقوبة، ربطوا يديه خلف ظهره والكيس في رأسه، وأجلسوه على الأرض دون حركة لمدة ساعة.

بعد منتصف أحد الليالي، وقبل آذان الفجر جاء أحد الحراس وقال لي، أنت تكلمت، قلت مع من، قال مع هذا الرجل، وأنت تعجب أو تسأل ما الذي يجعلنا إلى هذا الوقت من الليل دون نوم؟ إن معظم الليالي وليس هذه الليلة لا نستطيع النوم إلا آخر الليل والسبب أن الإضاءة الكهربائية علينا شديدة جداً إن الأنوار الكاشفة تحيـط بنا مـن كل جانب، كأنها إضـاءة في ملعب كرة القـدم، إن جميع السجناء في جميـع الحظائر وفي جميع حالات وجودهـم داخل الحظائر نائمين أو جالسين، واقفـين إنهم طيلة اليوم(٢٤) ساعـة، تحت الرؤيا الواضحة جـداً للحرس، وإذا حدث أن ضعفت الإضاءة أو تعطل أحد اللمبات، تجد الحرس يهرعون إلى أسلاك الحظائـر ويقتربون منها ويصرخـون على السجناء بعدم الحركـة، والبقاء نياماً علـى الأرضـ، حتى لو أردت الصـلاة أو الذهاب إلى دورة الميـاه، لا يسمحون لك بذلـك نعود إلى القصة، هذا الحارس وقبل آذان الفجر قال لي: أنت تكلمت، قلت مـع من تكلمت؟ قال مع هذا الرجل الذي يصلي، قلت إنه يصلي كيف أتكلم معه؟ قـال بـل تكلمت، أخبره أنـه سيعاقب مثلك، قل لـه فليحضر، قلت لـه إنه يصلي، انتظر حتى ينتهي.

قال أخبره وأمام إصرار الحارس، وهو يرى ويشاهد، قلت للسجين يقول لك هـذا الحارس أحضر إلى جهة الباب من أجل العقاب، لكنه يصلي، لم يجبني، لم

يقتنع الحارس، وبدأ يصرخ على المصلي، لكن المصلي أكمل صلاته وتقدم، ووقفنا بجانب بعضنا البعض مكان العقاب، ربط اليدين معاً ثم ثبتهما بباب الحظيرة الحديدي، وضع الكيس في الرأس وربط القدمين بسلسلة حديدية، هذا العقاب لمدة ساعة وأنت واقف على رجليك.

بعد يوم طلبني المحقق للتحقيق وقال لي هل تسمع بكوبا، قلت نعم إنها في أقصى الأرض قرب بلادكم، قال ماذا بها؟ قلت له قبل اعتقالنا كنا نرى فيها الشباب الذي تقولون عنهم إنهم أسرى تنظيم القاعدة وطالبان- إنكم تسمونهم الإرهابيون، إنهم يلبسون اللباس البرتقالي قال لي إذا لم تتكلم الصحيح سوف تذهب عندهم هناك بعيداً، وبدأ يضحك كالمتشفي قلت أنا لم ارتكب جرماً حتى استحق أن تكافئني بهذه الجائزة أتريد أن تكافئني أم تعاقبني؟ لا بأس أيها المحقق أن ترسلني إلى هناك- إن الدنيا مليئة بالظلم وهذا من الظلم يا سيادة المحقق، إنني أفضل أن أذهب إلى كوبا وأنا صادق خير من أذهب إليها وأنا كاذب أقدم لك معلومات غير صحيحة ظهر عليه الغضب قليلاً قلت له أنت الآن غضبان علي مع أنني أقول لك الحقيقة والصدق ولو قلت لك المعلومات الكاذبة كم سيكون غضبك علي؟

سيكون أكثر بالطبع، قال لي قد يكون كلامك صحيح، لكن لو ذهبت إلى كوبا وأثبت للمحققين هناك أنك بري فستخرج من السجن، لكن تحتاج إلى وقت طويل، بينما لو قلت لي هنا المعلومات الصحيحة وأخبرتني بالحقيقة فستمكث هنا في بجرام وقتاً قليلاً، وسترجع إلى بيتك بسرعة، قلت له ليس عندي إلا الكلام الصحيح، وهو ما قلته لك، وهو أنني لا أعرف شيئاً عن هؤلاء الذين سألتني عنهم، وليس من مصلحتك ولا مصلحة التحقيق الذي تقوم به معي أو مع غيري من المعتقلين أن أقول لك معلومات خاطئة غير صحيحة، قال أنت ستذهب إلى كوبا، ستأتي طائرة ونرسلك معها إلى كوبا قلت حسبنا الله ونعم الوكيل،، الله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أحسست أنه تفهم ما أقوله، لكن لم يخبرني بشيء مما في نفسه، قال إنصرف الآن، وسنطلبك فيما بعد، رجعت مع الحارس لمكان النوم- الحظيرة رقم ٦- كما كنا نسميها.

قبل السفر من بجرام إلى كوبا بيوم واحد استدعاني نفس المحقق.

وكان معه في الغرفة رجل يلبس الزي العسكري وامرأة أذكر أنها كانت بلباس مدني يجلسان ويسمعان فقط، دون تدخل أو دون أي سؤال أو كلام منهما، ولأول مرة أذهب إلى التحقيق بدون قيد الرجلين، كان القيد فقط باليدين مع وجود الكيس في الرأس، إنها المرة الأخيرة التي أذهب فيها إلى التحقيق في بجرام، جلست على الكرسي كالمعتاد قال لي هل ستتكلم أم تذهب إلى كوبا؟ قلت له ليس عندي أي كلام جديد، أنا صادق أنا بريء أنا مظلوم إنكم تتهمونني، ليس عندكم دليل أو إثبات على ما تقولونه- أكرر لك ما قلته لك، إنني أفضل الذهاب إلى كوبا وأنا صادق خير واحب إلى نفسي من أن أدلي بمعلومات كاذبة، لأنك الآن غضبان ومتضايق مني قليلاً ولو قلت لك معلومات واكتشفت بعد وقت أنها كاذبة سيزداد غضبكم علي كثيراً، وربما يزداد عقابكم لي.

قال في كوبا سجن جيد أفضل من هنا، لكل سجين غرفة خاصة، وفيها ماء بارد وماء حار، إنها أفضل من هنا، لكن ربما تمكث هناك وقتاً أطول حتى تستطيع إقناع المحققين أنك بريء، قلت لا بأس، قال لي انصرف وسيكون سفرك إلى كوبا قريباً جداً، نادى الحارس الذي قادني إلى مكان النوم الحظيرة رقم (٦).

قبل سفرنا إلى جزيرة كوبا- المنكوبة- بأيام وبعد أن تم اغتسال الجميع الاغتسال الأسبوعي المعروف السريع القليل الماء ثلثي سطل، الماء نظافته غير جيدة بعد الاغتسال تم توزيع اللباس البرتقالي على الجميع، بنطلون بدون شرط داخلي، فانيلا نصف كم وعلى فانيلا كل واحد رقمه مكتوب على الظهر لا يعرف إلا بهذا الرقم؟ أنت رقم في مسألة (قضية) ليس إلا.

الترحيل إلى كوبا

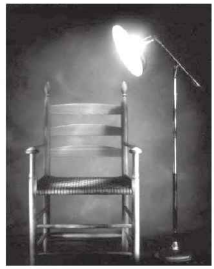

حـان وقت سفرنـا من بجـرام إلى كوبـا، عنـد منتصف النهـار وبعد تناول طعام الغـداء مرت مجموعـة كثيرة من الحراس ١٥-٢٠ حارس كلهم يصرخون بصـوت عـال: الجميـع وقـوف، ممنوع الحركـة، ممنـوع الكلام، وبـدأ أحدهم

ينـادي على الأرقام ومن سمع رقمه تقدم إلى باب الحظيرة الحديدي المشبك وأدار ظهـره للباب وقام الحارس بتقييده برجليه وتقيد يديه خلف ظهره وألبسه الكيس وأخرجه إلى الساحة خارج الحظيرة لا يعرف أحد إلى اين المصير وأين سنذهب، كان دفـع الحارس لنـا إلى الساحة بشدة لنقف في الطابـور، وربما سقط بعضهم علـى الأرض من شدة الدفع إذا لم يكن السجـين منتبها أو متوازياً في حركته نحو الطابـور، ربطـوا الجميع بحبل بذراع كل واحد، والحبـل ممتد من أول سجين إلى آخـر سجين، مشينا لا ندري إلى أين وأجلسونا علـى مقاعد خشبية طويلة بجانب بعضنـا البعض، بدأوا بفك قيد الرجلين ووضعوا مكانه قيد آخر، فكوا قيد اليدين مـن الخلف وجعلـوه أمام عند البطن، وربطوا الخاصـرة بسلسلة حديدية وربطوا هـذه السلسلـة بقيد اليديـن حتى لا ترتفع اليـدان أو تنزل، وضـع كفوف قماشية غليظـة وسميكة في اليدين بحيث أنك لا تتمكـن من فك أو ربط أي شيء، مع أنك مقيـد في جميـع أجزاء جسمك نزعـوا الكيس من الرأس ووضعـوا نظارة محكمة علـى العينين سوداء ولا ستيك مطاطي حول الرأس يمسكها من الزوال والسقوط، ثم إغلاق الأذنين إغلاقاً محكماً بقطعتين بلاستيكيتين بحيث لا تستطيع أن تسمع شيئاً، إغلاق الأنف بقطعة قماش وإغلاق الفم كذلك بحيث أنك لا تستطيع أكل أو

شـرب أي شيء مع أنك مقيد ومع أنه لا يوجـد طعام تأكله إلا ما يقدمونه لك نعم عنـد الأكل أو الشرب يأتي الجندي يرفع غطاء الفم ويقدم لك الطعام أو الشراب تمسكـه بيديك المقيدتين بعد الانتهاء يقوم الحارس ويعيـد غطاء الفم إلى مكانه نقلونا إلى شاحنة كبيرة كل سجين يمسكه الجنود ويقذفونه، يناولونه بسرعة من الأرضـ إلى داخل الشاحنـة كما يناولون الكرة ويجلسونـه في الشاحنة على مقعد طويل بجانب بعضنا البعض، كان جلوسنا في الشاحنة لمدة ساعة والحر شديد مع ضيـق النفس الفم والأنف مغلقان، تحركـت الشاحنة واقتربت من صوت الطائرة أنزلونا من الشاحنة إلى الطائرة جلسنا على مقاعد الطائرة بجانب بعضنا البعض ومـع القيـود السابقة التـي على جسمك تجلس على مقعد الطائـرة ويربطوا قيد رجليـك بقيد آخر ويربطـوه في حلقة في أرض الطائـرة ويربطوك بمقعد الطائرة بسلسلة حديدية من هذا الجانب من خاصرتك إلى الجانب الثاني لا تستطيع معه القيام أو الحركة إلا الحركة البسيطة وأنت جالس.

فـوق هذه الأربطة وقبل إقـلاع الطائرة جاء المترجم وأبعـد الغطاء عن أذنيك وقـال سـوف نعطيك بعض الأدوية، أقراص من الدواء حتـى لا تتأثر من السفر حتى لا تخـرج مـا في بطنك من الطعام بسبب الدوخان في السفر، وحتى لا تتقيأ لكن تبين فيما بعد كما سمعت من البعض أن هذه الأدوية تصيبك بشيء من الدوار والهلوسة، كما حصل معي أنا شخصاً وحصل كذلك هذا الدوار والهلوسة، مع من سألتهم ممن كانـوا معنا في هـذه الرحلة المشؤومة، بحيث أنك لا تستطيع النوم لكن لست أيضاً في حالة استيقاظ صحيح إنك تشعر بشيء يجري حولك تسمع وتعي، لكن لا تميز جيداً، ربما يقول قائل لماذا شربتم هذا الدواء لقد كان بإمكانكم أن ترفضوه، لكن الجواب أن شـرب هذا الدواء إجبـاري على الجميع وليس اختياري، لقـد استطعت أن أسمع كلام مـن كان يجلس بجانبي من المعتقلين وكان عربيـا، قال الجندي للمعتقل المقيد أتريـد أخـذ الدواء؟ قال له المعتقل، إن كان الأمر باختياري فلا أريد قال له الحارس أو الممرض الذي يقدم الدواء ليس الأمر باختيارك إنه إجباري فأجابه المعتقل المقيد

إذا كان أخـذ الدواء إجبـاري وليس اختياري فلماذا تسألني أتريد أخذ الدواء أم لا؟ وأعطـاه الدواء أو وضعه في فمـه طبعاً، يأتي الحارس ويزيل الكمامة عن الفم ويضع الدواء في الفم ويعطيك جرعة من الماء ثم يرجع الكمامة كما كانت.

أقلعـت الطائـرة بعـد العصر، والفصـل صيفاً بدايـة شهر الثامـن ٢٠٠٢م نحـن لا نـرى شيئاً لكن هذا تقديرنـا، أما الطعام في الطائـرة فإنهم يقدمون لك ساندويش من الفول السوداني يضعه الجندي بين يديك المقيدتين بالسلاسل، ومع السلاسـل، الكفوف السميكة يزيل الكمامة عن فمك تبدأ تأكل لكن لا بد أن تحني ظهـرك حتى تستطيع إيصال الطعام [الخبز] إلى فمك لأن يداك، لا تصلان إلى فمـك بسبـب السلاسل ثم تنهي الطعـام، ثم يعطيك حبة تفـاح وإذا احتجت إلى مـاء تنادي بصوت لا يسمع جيـداً ولا يستطيع أحد أن يميـزه بسبب الكمامة على فمـك، يعطيك جرعات مـاء بعد أن يزيل الكمامة عن فمك ثـم يعيد الكمامة كما كانـت، وهكـذا سارت الطائرة لكن لا ندري عن وجهتها، لا نعرف عن مرور الوقت أي شـيء وإن سألـت عن الساعـة لا يجيبك أحـد، وإن أردت الصلاة تقدر دخول الوقـت بنفسك، تجتهد وتصلي على حالك، طبعاً كيفما اتجهت بك الطائرة بدون وضـوء أو تيمـم، تصلي وأنت على مقعـد الطائرة مقيد بالسلاسـل والحديد كما ذكرنـا، بعـد وقت لا نعرف كثـير هذا الوقـت أم قليل نزلت الطائـرة في مكان ما وأنزلونا من الطائرة واركبونا في طائرة أخرى، لا نعرف أي شيء عن هذا المكان، أقلعـت الطائرة الجديـدة والقيود والسلاسل كما هي وكما كنـا في الطائرة لأولى وبعـد مرور وقـت لا نستطيع تقديره نزلت في مكان ما لا نعرفه، وطيلة الرحلة منذ أقلاعنـا من بجرام حتى أنزلونا في هذا المكان لا تكلم أحد ولا يكلمك أحد، وقفت الطائرة في هذا المكان الجديد، أنزلونا من الطائرة لكن بشيء من الشدة والعنف، أركبونا في شاحنة ليس لها مقاعد.

الوصول إلى كوبا

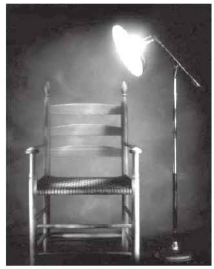

أجلسونا على أرض الشاحنة بشيء من الصراخ، رؤوسنا تكاد تلمس الأرض، والمترجم يترجم كلام رجل بالإنجليزية، ممنوع الحركة، ممنـوع الكلام، جو من الرعـب والخوف لا تملـك أن تقول شيئاً ولا تستطيع أي حركـة يقول المترجم هل تعـرف أين أنت الآن؟ طبعاً لا يجيبـه أحد لكن هو يجيب نفسه بنفسه أنت الآن في يـد القوات المسلحـة الأمريكية تحركت السيارة لكن لا نعلـم إلى أين؟ لا نعلم عن الوقت شيء لا نعرف أي شيء يدور حولنا وقفت السيارة أنزلونا منها أجلسونا على الأرض مقيدين كمـا كنا الحر شديد، والعرق الجمنا وغطـاء الفم والأنف ضيق علينـا عملية التنفـس بعد قليل فكوا غطاء الأذن عنا ثم فكـوا كمامة الفم والأنف بـدأوا يأخذونـا واحد تلـو الآخر لا ندري أيـن يقودوننا، دخلنـا إلى مبنى فكوا عنا بعض القيود قاموا بخلع ملابسنا لأن أيدينا مقيدة، ثم أدخلونا إلى حمام اغتسال عـراة تماماً، كما ولدتنا أمهاتنا، باب الحمام مفتوح، والجنود يشاهدون منك كل شيء تغتسل أمامهم وهم يرقبونك تنهي الإغتسال تخرج عارياً ثم يعطونك حذاء خفيف -شبشب- ولباس برتقالي بنطلون وقميص نصف كم وشرط قصير أعادوا علينا القيـد، اليدان معاً جهة البطن وهذا القيد مشدود بسلسلة تحيط بالخصر تتدلى مـن هذه السلسلة سلسلـة إلى الأسفل تتصل بسلسلـة تربط القدمين معاً، ويمسـك بك جنديان يقودانـك إلى الطبيب للكشف عليك ثم إلى التصوير ثم إلى التحقيـق السريع إسمك بلـدك عمرك أين كان اعتقالك مذهبـك سني أم شيعي كان هـذا المحقـق يكتب على الكمبيوتـر وآخر يكتب على الورق ثـم أحضر المحقق

كرتـاً صغـيراً بطاقة- وطلب منـي أن أكتب رسالة إلى أهلـي أخبرهم بها أنني في مـكان -كوبا- ووصلت بسلام وكتبت عليها العنـوان وسلمتها له كان عنده إصرار لكتابـة الرسالـة، لكن هنا لا يوجد غطـاء للرأس- الكيس- العيـون مكشوفة ترى حولك، كان هذا الوقت قبيل المغرب من اليوم الأول لوصولنا إلى كوبا لأن الشمس كانـت تجمـع أشعتها لتختفي وتغيب خلـف المباني المجاورة العيـادة التي دخلناها كانت مكتظة بالسجناء الجـدد وبالحرس والجنود والمحققين والمترجمين خضعنا لعملية تفتيش بعد خروجنا من العيادة ثم أدخلنا الحرس إلى أماكن تحقيق أخرى خـارج العيادة الطبية كان الوقت بعد المغرب وبـدأ الظلام ينتشر في المكان دخلت على المحقق وكان يلبس اللباس العسكري ومعه.

التحقيق

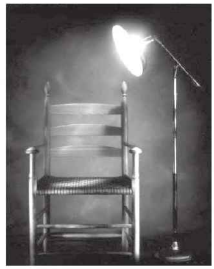

مترجم يظهر من كلامه أنه عراقي وهناك شخص ثالث يلبس اللباس المدني يكتب كل شيء يسمعه، كان هذا في اليوم الأول لوصولنا إلى كوبا، الغرفة هنا نظيفة وواسعة وفيها أجهزة تكييف حديثة وأجهزه أخرى أنا لا أعرفها ،س

أجلسني الحرس على الكرسي فكوا قيد اليدين فقط وربطوا قيد القدمين بحلقة مثبتة في أرض الغرفة بحيث لا يستطيع السجين أن يتحرك إلا حركة بسيطة، لا يستطيع أن يقف، ولو فكر أن يقوم ويحاول الاعتداء على المحقق أو المترجم مثلاً لا يستطيع، بدأت الأسئلة عن السيرة الذاتية من المولد حتى وقت الاعتقال، فأجبته كما اجبت غيره كما هي السيرة الذاتية في بداية هذا البحث، قال ما هي آخر أعمالك؟ قلت: آخر عملي كان في معهد الأنصار العلمي في حياة آباد بيشاور باكستان، قال هل تظن أن هذا المعهد أغلق بدون سبب؟ قلت له إن هذه المدرسة أغلقتها الحكومة الباكستانية لأنها كانت تريد أن تنهي الوجود العربي في باكستان، لقد قررت هذا وتريد أن تطبقه سواء كان هذا القرار برغبتها وإرادتها أم بسبب ضغوط خارجية عليها ثم إن هذه المدرسة كانت تتبع المعاهد اليمنية في اليمن وكانت تعمل تحت إشراف ومعرفة السفارة اليمنية في إسلام أباد، والمدرسة مناهجها مثل مناهج أي مدرسة حكومية في اليمن، فيها الرياضيات والعلوم والاجتماعيات واللغة الإنجليزية وغيرها، لكن يضاف إلى هذه المواد مواد إسلامية وعربية، ولما قامت الحكومة اليمنية وأغلقت معاهدها، أغلقت معهد بيشاور، لأنه كان يتبع لها، وسواء كان هذا الإغلاق برغبتها وإرادتها أم بسبب ضغوط خارجية مع ترجيح الرأي الثاني كما سمعنا.

كان المحقق لا يناديني بإسمي الحقيقي -حسين- كان يناديني بكنيتي- أو عبد الله- في كل سؤال يقول أبو عبد الله كذا...

فأجبته ثم قال لي إن اسمك أبو عبد الله على إسم أسامة بن لادن فإن إسمه أبو عبد الله، قلت له إن إسمي أبو عبد الله منذ أكثر من ثلاثين سنة وقبل أن أتزوج قبل أن أسمع بأسامة بن لادن بعشرات السنين كانت كنيتي أبو عبد الله، قبل أن يخلق عبد الله بن أسامة بن لادن، تبسم المحقق وغير الحديث استمرت الجلسة أكثر من ساعة وفي آخرها قال لي أنت الآن متعب وقادم من سفر بعيد، ترجع الآن إلى غرفتك وتستريح وعندما نحتاجك سوف نطلبك، قلت جيد جاء الحرس فكوا قيد الأرض الذي يمسك بسلسلة القدمين وأعادوا قيد اليدين، خرجت من مكان التحقيق وهي غرف طويلة بجانب بعضها البعض يقابلها غرف مثلها بينهما (بهو) كرادور، الغرف ليس لها نوافذ أو فتحات من الخارج، أركبني الحرس في سيارة صغيرة تستعمل داخل المعتقل مكشوفة، أحدهم يجلس بجانبي ويسمك بسلسلة الخصر الحديدية التي تقيدني والآخر يقود السيارة، وصلنا إلى عنابر النوم والإقامة عبر أبواب وحواجز أمنية مشددة، وصلنا العنبر وصوت المؤذن يسمع لصلاة العشاء، أدخلاني إلى الغرفة وكانت في طرف العنبر من جهة الباب، المطلوب الآن حل القيود والسلاسل، قال الحارس لي تجلس على ركبتيك وجهك إلى الحائط المقابل لباب الزنزانة، أي ظهرك لبابها أحد الحارسين يمسك بك بيديه الأولى يمسك بها كتفك ويده الثانية على رأسك الحارس الآخر الذي يوجد معه مفتاح السلسلة يفك أولاً قيد الرجلين والسلسلة متصلة بسلسلة تحيط بخصرك وسلسلة الخصر تشد على جسمك-خصرك يقوم بفكه، فتصبح حركة اليدين الآن سهلة لكنهما مقيدتان مع بعضهما البعض، ترفعهما من الأمام من جهة صدرك ووجهك بمستوى رأسك بعد أن يسحب الحارس السلسلة من بين رجليك جهة الأمام، يقوم الحارس المكلف بفك السلسلة بفك إحدى يديك من الحلقة ويضعها خلف رأسك، فيمسك بها الحارس الآخر ويجعلها ملتصقة برأسك، ثم

يفـك الحلقة الثانية ويضعها على اليد الأولى ويمسك بهما معاً ويلصقهما برأسك فتصبـح الآن بدون قيود لكن يداك خلف رأسـك أنت الآن كأنك تجلس بين رجليه والآخـر يقـف بجانبك يده الأولى على يديك الموجودتان خلـف رأسك ويده الثانية يمسك بكتفك الآن ممنوع أن تتحرك أي حركة وممنوع أن تتكلم أي كلام، الحارس المكلف بفك السلاسل يقف خلف ظهرك وظهره إلى جهة باب الزنزانة يخرج هذا الحارس متراجعاً القهقـري إلى الوراء خطوة خطوة ووجهه إلى السجين الجالس حتـى يخرج من باب الزنزانـة، الآن الحارس الذي يمسك بك يرجع القهقري إلى الـوراء ينظر إليك وظهره إلى بـاب الزنزانة خطوة خطوة ثم يرفع يده الثانية عن يديـك الموجودتـان على رأسك، يرجـع بسرعة، ويغلـق باب الزنزانـة بسرعة ولا يسمح لك الجنود بأي حركة مهما كانت قبل أن يغلق الباب بالقيد، فإذا أغلق باب الزنزانة بالقيد -بالقفل- يقول لك إنتهى يمكنك أن تقوم الآن.

إن أي حركـة تقوم بها أثناء فك القيـود أو ربطها، سوف يعرضك إلى عقوبة معينـة، يكتـب الحارس الذي يحرسـك سواء حين أخـذك من الزنزانـة أو حين إرجاعك، لها يكتب عنك تقريراً عما جرى إلى المسؤول عنه فيقرر عليك العقوبة، أولاً تسجل في ملفك في السجن بأنك صاحب مشاكل واعتداءات، وربما يفتح معك المحقـق جلسة بهذا الأمـر، وربما تفسر هذه الحركة التي قمـت بها بأنها محاولة للإعتـداء علـى الحارس بالضرب مثلاً، أو محاولة هـروب أو مخالفة القوانين في السجن، أو أي تفسيرات وتعليلات أخرى عندهم.

الزنزانة الانفرادية

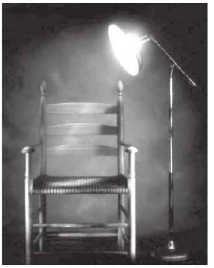

دخلنا إلى الزنزانة التي يسمونها بيتك Your home إنك تجد في الغرفة قطعة من الإسفنج، تصلي عليها أو تنام أو تجلس أو تأكل عليها، أو تستتر بها عند قضاء الحاجة، يوجد فيها بطانيتين متوسطتين واحدة تضعها تحت رأسك

-مخدة- والثانية تتغطى بها، منشفة صغيرة وأخرى كبيرة، صابونة صغيرة، وفرشاة أسنان صغيرة بدون يد تضعها في رأس إصبعك حين الاستعمال لتنظيف الأسنان جيداً، تجد في الغرفة كوب ماء بلاستيكي صغير للشرب، أو الوضوء أو لقضاء الحاجة، مصحف شريف- طبعة المدينة المنورة- معجون أسنان، شرشف أبيض متوسط يسمونه- شيت-أما بناء وتكوين الغرفة كل ما في الغرفة حديد، الجدران والسقف والأرض، يوجد في الغرفة دورة مياه- حفرة- ومغسلة صغيرة، حنفية ماء، وسرير عبارة عن قطعة حديد طويلة من أول الغرفة إلى آخرها طولاً، وهو أطول من الإنسان بقليل، السرير مثبت بالجدار، ويرتفع عن الأرض أكثر من متر، في سقف الغرفة فتحة صغيرة يأتي منها الهواء البارد، لأن الجو حار والزنزانة حديد تمتص الحرارة في النهار، لكن البرد في الليل يؤذيك ولا يسمح لك الجنود بخفض الهواء البارد ولا إغلاقه، ولا يسمح لك الجنود باستلام غطاء آخر زيادة عما عندك لتتقي به برد الليل.

الغرفة مغلقة من كافة الجهات، إلا فتحة صغيرة بالباب، يأتيك منها الطعام والشراب أو الدواء، يوجد في الغرفة مروحة صغيرة لسحب الهواء إلى الخارج من

داخل الزنزانة، هذه الغرفة أو هذا العنبر يسمونه بالإنفرادي، طول الغرفة متران ونصف تقريباً وعرضها متر ونصف إلى مترين تقريباً.

الطعام

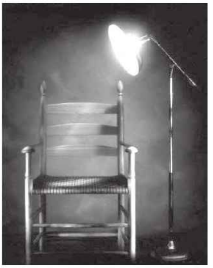

كان التاريخ هو الشهر الثامن من عام ٢٠٠٢ م بداية الشهر كما أذكر، بعد قليل من وصولنا أحضر الحارس وجبة طعام أكياس جاهزة، داخل هذه الوجبة كيس فيه معكرونة، وكيس فيه قطعتين من البسكويت، مع معجون فول سوداني،

وقطعة كيك وكيس فيه عصير ومعلقة تأكل فيها لكن وقت الطعام ثلاثون دقيقة من وقت تسليمه، ولا يسمح لك أن تبقي الطعام عندك أكثر من هذا الوقت، إما أن تأكل الطعام وإما أن ترده إلى الحارس، هذه الوجبات ليس فها لحم أو دجاج أو سمك أو أي شيء من البروتينات الحيوانية، نمت تلك الليلة وفي منتصف الليل أيقظني البرد لأن الغطاء ليس كافياً، ولأن ما يوجد تحتنا- قطعة الإسفنج لا يقينا برد السرير المصنوع من الحديد، طلبت من الحارس غطاء آخر، كنت أظن أن هذا ممكن أو مسموح به، فقال الحارس، لا أستطيع، فعرفت بعد ذلك أنه لا يمكن أن يصرف لك غطاء زيادة عما عندك، بقيت أتقلب على السرير دون نوم من شدة البرد حتى الصياح، سمعت الآذان قمت توضأت وصليت الفجر، كل واحد يصلي في غرفته، بعد الصلاة مباشرة يأتي الفطور وقته ثلاثون دقيقة كوب شاي وكوب حليب صغيرين، بيضة واحدة مسلوقة، قطعتين صغيرتين من الخبز، حبة فاكهة واحدة، كمية قليلة من الدقيق أو الأرز المطحون المطبوخ، كمية الطعام قليلة لا تكفي الإنسان ولا يسمح لك باستلام طعام زائد، في الساعة التاسعة صباحاً جاء جندي ومعه بطاقات -كرتان- صغيرة يعرض فيها على السجناء كتابه رسائل إلى

أهاليهم إن أرادوا، يستلم السجين البطاقة وقلم بسيط جداً من الحبر الجاف، بعد كتابة الرسائل لا يسمح لك بامتلاك القلم أو إبقائه عندك إنه يسجل عليك كل شيء حتى ترده إليه بعد الانتهاء من الكتابة، بعد ذلك بساعة جاء جندي ومعه بعض الكتب البسيطة باللغة العربية وبالإنجليزية بالفارسية،- باللغات التي يتكلم بها السجناء، تختار الكتاب الذي تريده من هذه الكتب تقرؤه ثم تعيده بعد أسبوع، تستبدل هذا الكتاب بكتاب آخر بعد أسبوع أو يمكنك أن تجدده عندك أسبوعاً آخر.

جاء وقت الغداء وكان الغداء، قليل من الأرز، وخضراوات قليلة وقطعة خبز، وحبة فاكهة، أما اللحم والدجاج والسمك فاذكروا أنهم كانوا يقدمون لنا نوعاً واحداً مرة واحدة في الأسبوع والكمية قليلة طبعاً، أذن الظهر والغداء قبل الصلاة، جلس كل واحد بعد الغداء إلى العصر، وبعد العصر إلى المغرب البعض يقرأ أو ينام، أو يتكلم مع جيرانه داخل العنبر من خلال النافذة الصغيرة الموجودة في باب الزنزانة، أذن المغرب صلى كل واحد في غرفته، ثم جاء طعام العشاء وهو مثل الغداء مع اختلاف قليل، والكمية قليلة، وهذه ليست ملاحظتي بل ملاحظة الكثيرين، وأذكر أنني أخبرت المشرف الاجتماعي كما يسمونه بكمية الطعام القليلة التي تقدم لنا وذلك في أول مرة آراه، قلت للجيران من هذا؟ قالوا: هذا المشرف الاجتماعي قلت له إن كمية الطعام التي تقدمونها قليلة وإن لم تصدقني فإسأل الآخرين: قال: أصدقك قلت: له إسألهم قال قلت لك أصدقك، لكن لم يحدث تحول أو زيادة في كمية الطعام بقيت كما هي وللأسف، أما وقت الطعام، ثلاثون دقيقة، ثم عليك أن ترجع الصحن والملعقة، وحتى قشر الفاكهة أو بقية حبة التفاح، أو حتى قشر الموز، ويسألك عنها الحارس إن لم يجدها في الطبق عند إرجاع الطعام، وأخطر شيء عندهم أن تحتفظ بالمعلقة ولا ترجعها لهم لأنهم يعتبرونها آلة حادة كالسكين، شيئاً خطيراً وتعاقب عليه وتتعرض للتفتيش الدقيق في جسمك وملابسك وغرفتك وأغراضك، بعد طعام العشاء أذن المؤذن لصلاة العشاء، والأذان هذا كنا نسمعه بمكبرات الصوت في كل عنبر وفي جميع الأوقات

وبعد شهور وقف الأذان عن بعض الأوقات، وبقي في بعضها وأخيراً أوقفوا الأذان تماماً في جميع الأوقات ولم نكد نسمع أي أذان وكنا نعرف أوقات الصلاة عن طريق الشمس والظل، وكان بعض الجنود يخبرنا بالوقت

إنتهى اليوم الأول بسلام، كان بعض المعتقلين يذهب للتحقيق والبعض يذهب للعلاج وهذا العنبر يسمونه بالإنفرادي- لأن كل سجين في غرفة لا يرى أحداً ولا يراه أحد، الجدران غير مشبكة بل مغلقة، ألواح حديدية لا ترى عن يمينك ولا عن يسارك ولا من خلفك ولا من أمامك ولا من فوقك ولا من تحتك، نافذتك على العالم هي الفتحة الموجودة في باب الزنزانة، ترى منها وتتكلم مع جيرانك منها وياتيك الطعام والشراب أو الدواء منها، قضيت في هذا العنبر سبعة أيام أو ثمانية كانت غرفتي في طرف العنبر من جهة باب الدخول وأحياناً أقف على نافذة الباب، أشاهد الجنود يلعبون الورق، أو يتحدثون، أو يقرأون الجرائد والمجلات، وهذا غير مسموح به للجنود، لأنهم كانوا يخفونها حين يحضر المسؤول، كانت معاملتهم لنا في الأسبوع الأول هادئة كان يتناوب على حراستنا في كل يوم (٢٤) ساعة ثلاث مجموعات، كل مجموعة ثمان ساعات، وهذه المجموعات لا تأتي عندنا كل يوم في وقت معين، بل ربما يمر الأسبوع والأسبوعين حتى يرجع بعضها إلينا،كان الخروج إلى المشي والرياضة والاستحمام مرتين كل أسبوع،تخرج مقيداً إلى ساحتين في مؤخرة العنبر المقابل لباب الدخول هما ساحتان لكل عنبر بجانب بعضهما البعض،كل ساحة من هاتين الساحتين المتجاورتين،محاطة بالأسلاك المشبكة من كل الجهات،وحتى السقف وبجانب هذه الساحة حمام اغتسال،سعة الساحة ١٠-١٥ متراً طولها،والعرض مثل ذلك تدخلها الشمس والهواء من كل الجهات لك الحرية في أن تمشي بها أو تهرول أو تركض أو تلعب التمارين الرياضية أو تجلس، وقد مرت أوقات يقدمون كرة قدم لأصحاب الدرجات الأولى عندما استحدثت الدرجات في عنابر السجين، وربما يسمح لك بالكلام من هذه الساحة مع العنبر

المجاور، الساحة الواحدة لا يوضع فيها إلا سجين واحد، بعض الحرس لا يسمح لك بالكلام مع العنبر المجاور ويقول لك الكلام مع الآخرين مخالف لقوانين السجن.

الخروج إلى هذه الساحة من غرف السجن، تكون مقيداً في اليدين والرجلين والخصر، أما كيس الرأس فمن حسنات معسكر جوانتناموا- كوبا- أن لا غطاء للرأس والعينين فيها.

الرياضة والاغتسال

إن الذهاب إلى الساحة الرياضية مرتين في الأسبوع أمر متعب للسجين، مع أن السجين يحب هذا الخروج، ولو كان هذا الخروج فيه تعب، الخروج كل ثلاثة أيام مرة، لأن العنبر فيه ٤٨ سجين وكل يوم يخرج الحرس ١٦ سجينا، ثمانية

في الصباح وثمانية في المساء، يبدأ الخروج صباحاً من الساحة ٨-١٢ أي حتى وقت الغداء، يأتي الشفت الثاني- الوردية الثانية الساعة ٢ بعد الظهر، يخرجون السجناء الثمانية، من الساعة ٢ -غروب الشمس نادراً جداً أن تغرب الشمس قبل الانتهاء منهم، عندما تأتي نوبتك للخروج إلى الرياضة يدق عليك الحارس، فتستعد، والحارس ينظر إليك من نافذة الباب الصغيرة، ولا يمكن أن يفتح عليك الباب حتى تستعد والاستعداد يكون بالجلوس على ركبتيك على الأرض ويداك خلف رأسك فوق بعضهما البعض، فظهرك يقابل باب الزنزانة وأنت في هذا الوضع يفتح الحارسان عليك الغرفة، ويدخلان بسرعة احدهم يمسك بمنكبك باليد الأولى، ويمسك باليد الثانية على يديك، أما الحارس الثاني فيقوم بتقييد رجليك من الكعبين بسلسلة تصل بين كعبيك طولها نصف متر أو يزيد قليلاً كل كعب يقيد بحلقة ليست ضيقة كثيراً على رجليك لكنها لا تخرج من رجلك تتحرك داخل الرجل قليلاً ويقفل الحلقة بمفتاح صغير السلسلة التي تصل بين كعبيك من منتصفها تخرج سلسلة وتتصل بسلسلة يربط بها الحارس خصرك بقفل من جهة ظهرك ثم تمتد السلسلة ويسحبها الحارس من بين رجليك وأنت جالس على

ركبتيك على الأرض إلى جهة الأمام نحو السرة تقريباً، طرف هذه السلسلة الآن فيه حلقتان على شكل T بالإنجليزية، كل حلقة تبعد عن أختها ١٠-١٥ سم يأخذ الحارس إحدى يديك ويضعها في الحلقة الأولى ويغلق الحلقة بمفتاح صغير، ثم يأخذ اليد الثانية ويضعها في الحلقة الثانية ويقفل عليها بمفتاح صغير أيضاً داخل اليد، حلقة اليد مثل حلقة الكعب تتحرك- الرسغ- لكن ليست مشدودة تماماً على اليد لكنها لا تخرج من اليد طبعاً، الآن أنت مقيد لا تستطيع النهوض لوحدك يقوم الحارسان بمساعدتك في الوقوف ويكون الحذاء الحفيف- الشبشب- في رجلك مسبقاً، كل حارس يقف من جهة، واحد جهة اليمين وآخر عن الشمال الواحد منهم يمسك بك بكلتا يديه، اليد الأولى يمسك بها كتفك، واليد الثانية يمسك بالسلسلة الموجودة على خصرك، وتمشي إلى خارج غرفتك ويقوم الحارسان بتفتيشك وكل حارس يفتش الجهة التي يقف فيها الواحد بعد الآخر يفتش ثيابك وجسدك حتى أماكن العورة، من الأمام والخلف بعض الجنود ربما يفعل هذا والبعض يفتش بعيداً دون أن يقترب من العورة ويقوم الحارس بنفض وتحريك قميصك أو بنطالك الذي تلبسه، ويفتش حتى الحذاء- الشبشب الذي تلبسه يقوم- بطيه والتدقيق والتحسس عليه- إنه يفتش حتى شعر رأسك وشعر لحيتك إنه يفتش طيات القميص أو البنطال يهزه يرفعه وينزله تنتهي عملية التفتيش بسلام وكم أثار تفتيش أماكن العورة من مشاكل بين السجناء والحرس، وإذا وجد بين الحرس مجندات وكان المكلف بنقلك إلى التحقيق أو إلى الرياضة رجل وإمرأة يقوم الرجل بالتفتيش من الجانبين دون تدخل من المرأة وكثير من السجناء لا يوافق على الخروج إلى التحقيق أو الرياضة مع المراة ويخسر المشي والخروج للشمس أو الاغتسال، تنتهي عملية التفتيش ويمشي السجين بين الحارسين إلى ساحة المشي التي سبق ذكرها، يجلس السجين على ركبتيه لفك القيود كما جلس في غرفته عندما قيدوه يقوم أحد الحارسين بالإمساك بإحدى يديه على كتفك واليد الأخرى على رأسك، يقوم الحارس الآخر الآن بفك القيود عن جسمك، بفك

أولاً قيد الرجلين ويحمل السلسلة بيده إلى جهة ظهرك حيث توجد سلسلة على خصرك، ومقفلة من جهة الظهر بقفل يفكه ثم يسحب السلسلة من بين رجليك إلى جهة الأمام، جهة يديك المقيدتان لكن حركتهما الآن إلى أعلى أو أسفل سهلة فيرفع يداك المقيدتان فوق رأسك فيفك اليد الأولى من الحلقة ويضعها لك على رأسك، يقوم الحارس الأول الذي يمسك بكتفك ورأسك، بوضع يده على يدك الموجودة على رأسك ثم يقوم الحارس المكلف بالفك بفك اليد الثانية، ويضعها لك على يدك الأولى الموجودة فوق رأسك، فيقوم الحارس الأول بوضع يده على كلتا يديك والموجودتان على رأسك، الحارس المكلف بالفك يحمل السلسلة بيده ويرجع إلى الخلف إلى جهة باب الشبك الذي يحيط بمكان الرياضة، الآن الحارس الذي يمسك بكتفك ويديك يرجع القهقري إلى الوراء خطوة خطوة بعد أن يترك كتفك ويديك، يرجع إلى باب الساحة الرياضية وجهه جهة السجين وظهره جهة الباب، لا يسمح لك الآن بعد فك القيود بأي حركة حتى يغلق الحارسان باب الساحة الرياضية المشبك، وعندها يطلبان من السجين أن يقف ويمشي أو يهرول كما يشاء، ولو تحرك السجين بعد فك القيود وقبل أن يخرج الحارسان من الساحة الرياضية ربما تعرض للضرب منهما أو يمسكان به أو يجلسان عليه، لأن هذا يعد محاولة لضربهما والاعتداء عليهما، أو يعتبر هذا محاولة للهرب، إن هذه المحاولة تعرض السجين للعقوبة، يسمح للسجين بعشرين دقيقة مشي وهرولة، قد تزيد قليلاً أحياناً، إذا انتهى وقت المشي يجلس السجين كما جلس عند أخذه من غرفته للمشي ويقيدونه هنا كما قيدوه هناك يخرجانه من ساحة المشي إلى حمام الاغتسال، الذي يبعد خمسة أمتار تقريباً عن باب الساحة الرياضية، إذا أدخل إلى الحمام يجلس كما جلس في ساحة الرياضة، ويقوم الحرس بفكه هنا كما فكوه هناك، يغلق عليه الحرس باب حمام الاغتسال، المكان للاغتسال فقط وليس لقضاء الحاجة، باب الحمام مشبك ربما يضع السجين منشفة أو بنطاله على الشبك إن أراد وقت الاغتسال حتى لا يراه أحد، أما مدة الاغتسال خمس دقائق

قـد يزيدها بعض الحرس لكن المدة القانونيـة هي خمس دقائق- يحدث أن بعض الحرسـ يشدد علـى السجين، وربما أغلـق عليه الماء قبل الانتهـاء من الاغتسال، والصابـون على جسم السجين، لأن التحكم بالمـاء فتحاً وإغلاقاً من الخارج وبيد الحرسـ وليس بيـد السجين، بعض الحرس قـد يفتح لك الماء دقيقـة أو دقيقتين ليكمـل السجين الاغتسال وبعض الحرس لا يوافق على فتح الماء، يقول لك القانون خمس دقائق، ولو لم تكمل اغتسالك، الحارس يقدم لك الصابون- قطعة صغيرة- والشامبـو كمية قليلة وبعضهم يعطيك أحيانـاً العلبة تستعمل منها ما تشاء، يقدم لـك الحارس شفـرة الحلاقـة كل أسبوع مرة لإزالـة ما تريده مـن الشعر، بعض السجنـاء يحلق لحيته وهم قلة جداً . حـدث أكثر من مرة أن تأخر تقديم الشفرة للسجنـاء فنسأل عن السبب فتجـد أن بعض السجناء استعمـل الشفرة استعمالاً غـير جيـد أراد أن يمثل على إدارة السجـن أو أراد أن يخوفهم، يظهر أنه يريد أن ينتحر فيجرح يديه أو رجليه، بهذه الشفرة فيخرج الدم من جسمه بعض السجناء حالتـه النفسيـة صعبة لا يدرك ما يفعل عندما يجرح نفسـه، ربما يريد أن ينتحر فعـلاً والبعض يريد طلبـات معينة من إدارة السجن والبعض عليه ضغوط معينة مـن إدارة السجـن، أو من التحقيق، فيقـوم بتجريح نفسه، ليرفـع هذه الضغوط عـن نفسه ليقابل هـذه المشاكل والضغط الواقع عليه ليهرب منها أو. . . إذا انتهى الحمـام أغلـق الحارس عليك المـاء، ثم تجلس علـى أرض الحمام علـى ركبتيك للربـط والتقييد، كما جلست في غرفتك عندما خرجـت للمشي، أو كما جلست في مـكان المشي تخرج من الحمام لكي ترجـع إلى غرفتك، تصل الغرفة، تجلس على ركبتيـك في الغرفة في آخرها مقابل الباب، قريباً من مكان (قضاء الحاجة) لفك القيود والسلاسل عن جسمك، ثم يخرج الحارسان كما ذكرت من قبل.

إن هـذه العمليـة مـن الربـط بالسلاسل ثـم فكها تحـدث في كل مرة يخرج السجين فيها للاغتسال والمشي والرياضة، ثلاث مرات ربط وتقييد، وثلاث مرات فك وحل لهذه السلاسل مع أن الخروج للاغتسال والمشي مرتين في كل أسبوع.

انتهى الأسبوع الأول من وصولنا إلى كوبا، وبعد ثمانية أيام من وصولنا إلى كوبا، جاء الحارس وقال إجمع أغراضك ستنتقل، ثم سلمني كيساً بلاستيكياً وضعت فيه جميع أغراضي إلا المصحف وضعته داخل المنشفة لحمله بيدي، عملية النقل لا تتم إلا بالتقييد والسلاسل، تجلس في غرفتك على ركبتيك وتقيد بالسلاسل كما تقدم، حملت المصحف بيدي وسرت إلى العنبر الجديد مشياً على الأقدام، وحارس عن يميني يمسكني بيديه إحدى يديه على منكبي والأخرى يمسك بها السلسلة الحديد الملتفة على خاصرتي، والحارس الآخر على الجانب الآخر يفعل مثله، كان العنبر الذي انتقلت إليه قريباً، وصلت إلى العنبر الجديد، إنه يختلف عن العنبر الذي كنت فيه، العنبر الجديد مستطيل الشكل، وهي عنابر بجانب بعضها البعض ٤-٥ عنابر كل عنبر يتكون من ٤٨ أو ٣٦ أو ٢٤ غرفة، نصف هذه الغرف في جانب ونصف الغرف الآخر في الجانب الآخر مقابلها يفصل بينهما (بهو) كرادور كل صف من هذه الغرف ملتصق ببعضه البعض والكرادور من أول الغرف إلى آخرها يمشي فيه الحرس والجنود لمراقبة السجناء ولتقديم الخدمات لهم يفصل بين العنبر والعنبر الآخر مسافة ٣-٥ أمتار، ويوجد شبك بين كل عنبرين، يرتفع ٣ أمتار تقريباً مغطى بالقماش أو الشادر جدران الغرف من جميع الجهات الأربعة مشبكة بشبك صغير كل شبك ٣-٤ سم طول × عرض، إلا الجهة الخلفية، نصفها الأسفل مغلق وليس شبكاً لستر مكان قضاء الحاجة أما سقف الغرفة فمغلق تماماً بسبب الشمس أو المطر شبك الغرفة من الجهات الأربعة يسمح بالرؤية ودخول الشمس والهواء ومرور بعض الحاجات الصغيرة بين كل غرفتين ينقلها السجناء سراً بين بعضهم البعض طعاماً أو غيره.

باب الزنزانة من جهة الكرادور- بهو- مشبك أيضاً، وفيه نافذة صغيرة لتقديم الطعام أو الدواء أو. . . منها للسجين، كل غرفة فيها متطلبات واحتياجات السجين الضرورية، سرير مثبت بين جدران الغرفة ويرتفع السرير من الأرض متر وربع تقريباً، وفي الغرفة مكان لقضاء الحاجة ومغسلة صغيرة وحنفية ماء للشرب

أو الوضوء، وطبعاً جميع أغراضك التي كانت معك في العنبر السابق انتقلت معك إلى هذا العنبر، كان رقم غرفتي ٢٥ أي آخر غرفة من العنبر، يقابلني غرفة رقم ٢٤ وهذه الغرف، والغرف رقم ١ أو رقم ٤٨ لا يرغب فيها السجناء، لأنها منعزلة جانبيه، ليست مثل الغرف الموجودة في وسط العنبر، لأنها غرف حولها غرف، وأمامها غرف، فيستطيع السجين أن يتكلم مع المسجونين عن يمينه أو يساره أو أمامه، لكن الغرفة التي سكنت فيها تشرف على مكان الرياضة والمشي وأماكن الاغتسال، وهي غرفة تقع طرف العنبر تدخلها الشمس صباحاً لأنها جهة المشرق، كنت أرى البحر الذي يبعد مئات الأمتار عن العنبر، عندما دخلت هذا العنبر بدأ السجناء يرحبون بالقادم الجديد ويشجعونه ويسمعونه كلمات المدح والثناء والتثبيت، وهي كلمات تقال عندما يأتي سجين جديد على العنبر، أو كلما غادر سجين عنبره إلى عنبر آخر.

بعد يوم من وصولي إلى هذا العنبر، وبعد أن خرجت إلى المشي والاغتسال ورجعت إلى غرفتي، جاء الحرس لأخذي إلى التحقيق، لا بد من التقييد بالسلاسل والتفتيش كلما خرجت من غرفتك، سواء للتحقيق أو الاغتسال والمشي، وقد ذكرنا قبل ذلك كيف تكون عملية التقييد والتفتيش، لا بد أيضاً من تفتيش غرفة السجين وأغراضه كلما خرج السجين من غرفته، أماكن التحقيق عادة قريبة من غرف النوم، تذهب إليها ماشياً، وبعض العنابر البعيدة يذهبون إلى مكان التحقيق بالسيارة الصغيرة، دخلنا إلى غرفة التحقيق، والأسئلة بدأت عن السيرة الذاتية منذ ولادتك حتى تم إلقاء القبض عليك، وتطرق المحقق لبعض الأسئلة الأخرى فيما إذا كنت أعرف تنظيم القاعدة أو أحد من أعضائها، قلت له أنا أعيش في باكستان وهؤلاء الذين تسألني عنهم في أفغانستان سألني عن بعض أسماء عائلتي وعملهم وسكنهم، قال هل تريد أن تسأل شيئاً؟ قلت له، لماذا أنا هنا وكم سأبقى؟ قال ستبقى فترة طويلة لأن التحقيق يتطلب هذا، والقضية كبيرة ولا بد من التأكد والتثبت من كل معلومة يقولها المسجون، قال: جيرانك في العنبر من أين هم؟ قلت

حـولي أشخاص مـن العجم وأمامي أشخاص عرب من اليمـن والسعودية والعنبر فيـه جنسيـات مختلفة. قـال عن أي شيء يتكلمـون؟ قلت: أنا بعيـد عنهم، أنا في آخر العنبر، إنهم يتكلمون كثيراً وفي موضوعات شتى، يتسامرون، ينشدون يقرأون القـرآن، يصلون، يتكلمون عن عادات وحـوادث في بلادهم، ماذا سوف يتكلمون، قال هل تتكلم مع جارك؟ قلت إنه أعجمي لا يعرف اللغة العربية كيف سأكلمه قال إذا سمعتهـم في العنـبر يتكلمون عن أمور مهمة تضر بالسجـين أو بإدارة السجن تخبرنـا عنـه، قلت حسناً أقـول سمعت أنه يوجد فيهم مـن يخبركم بما يجري في العنابـر، لا حاجـة لكم بـي وسمعـت أن العنابر يوجـد بها أجهـزة للتصنت على السجناء ولا أدري عن صحة هذا الخبر، انتهت الجلسة ورجعت إلى الغرفة.

أمـا الكلام في كل عنبر أو صوت الآذان فكل عنبر فيه مؤذن يختاره السجناء يؤذن لكل وقت، أما الكلام، فالكلام داخل العنبر الواحد مسموح به بين السجناء، تكلـم مـن تشاء في داخل العنبر الذي تسكن فيه، وبصـوت مرتفع، أما الكلام من عنبر إلى آخر، فغير مسموح به، وربما يعرضك للعقاب غالباً، لكن بعض السجناء يتكلمـون من عنبر لآخر ولا يلتفتون إلى العقـاب، أما الصلاة جماعة، كما هي في المساجد، فغير ممكنة في داخل السجن، بسبب طبيعة بناء السجن، لأن كل سجين في غرفـة منفصلة عـن غيره لكن كنا نصلي جماعـة وكل سجين في غرفته يتوجه إلى القبلة والإمام يكون في مقدمة العنبر متوجهاً إلى القبلة في غرفته ويرفع صوته كما يشاء حتى يسمع أكبر قدر من السجناء.

أول الأسرى وصولاً إلى كوبا

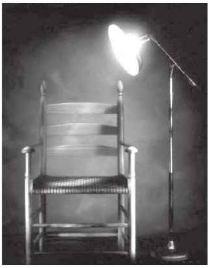

إن الكلام في السجن في بداية فترة السجن وكذالك الأذان، أو حتى الوقوف في داخل الزنزانة كان غير مسموح به، هذه الأمور كانت ممنوعة في بداية السجن الذي كانوا يسمونه إكستري(extray) وهو أول سجن بني في قاعدة جوانتنامو العسكرية في جزيرة كوبا لمن يطلقون عليهم اسم الإرهابيين من أسرى تنظيم القاعدة وطالبان، سمعت من بعض من دخل هذا السجن (اكسترى) وهي أول مجموعة من الأسرى تصل إلى كوبا؟ قال: كانت رحلة شاقة مليئة بالعذاب، بعضهم جلس شهراً كاملاً حيث تم نقلهم في سفينة، وبعضهم وصل في الطائرة حيث تعرضوا للضرب عند وصولهم إلى جزيرة كوبا، سمعت من بعضهم أن هذا السجن لم يكن مجهزاً بكل ما يلزم السجين، كان كل سجين في غرفة منفصلة، وفي داخل غرفته(سطل) وعاء بلاستيكي فيه ماء للشرب أو الوضوء أو . . .ووعاء آخر (سطل) لقضاء الحاجة الخفيفة أو الثقيلة، وهم يسمونها نمبر ون ونمبر تو number one and number two كان لا يسمح لهم بالوقوف أبداً، طيلة الوقت جلوساً، الحارس يأمرهم بالجلوس وعدم الوقوف وعدم الكلام وعدم الأذان ما كان أحد منهم يجرؤ أن يصلي واقفاً إلا خلسة وبسرعة حتى لا يراه الحارس، لكن بدأ السجناء يخالفون نظام السجن شيئاً قليلاً دون أن يستجيبوا لأوامر الحرس، بدأوا يقفون ويتحركون داخل الزنزانة بدأوا يصلون واقفين، بدأوا يتكلمون مع بعضهم البعض، وهكذا تغيرت الأحوال عندهم إلى الأحسن.

بعد أيام جاء الحرس وقالوا لي: عندك تحقيق: قلت: جاهز تم التقييد بالسلاسل كما سبق، وصلت إلى غرفة التحقيق، وجدت فيها شخصاً واحداً، جلست على الكرسي بجانبي طاولة، عليها بعض الشوكلاته الصغيرة والبسكويت والتمر والحلوى الصغيرة قال تفضل كل، قلت له شكراً، أخذت شيئاً قليلاً، هذه الحلوى لا توجد في السجن نادراً جداً أن تراها إنه يتكلم اللغة العربية بطلاقة إنه عربي، وليس غربي قال لي أنا باحث اجتماعي زرت مصر وكثيراً من البلاد الإسلامية، أكتب عن الإرهاب والتطرف قلت له جيد قال لو تسمح لي أن أسأل بعض الأسئلة قلت له تفضل كان بجانبه حقيبة متوسطة وأمامه مصحف شريف كبير الحجم طبعة المدينة المنورة، سألني عن سيرتي الذاتية ودراستي والأماكن التي اشتغلت بها مدرساً وسألني عن التطرف والإرهاب وهل يجبر الإسلام غير المسلمين على اعتناقه أو الدخول فيه. قلت له إن الإسلام ما جاء ليجبر الناس على الدخول فيه ومن كان له رغبة في الإسلام دخل فيه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، والإسلام يحبب الناس فيه بالدعوة الحسنة والكلمة الطيبة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥). المسلم يعرض الإسلام على غير المسلم، إن أحب وأراد، ويناقشه بأحسن الأساليب وألينها وأسهلها، ولا يرفع عليه السيف ويهدده ويخبره إما أن تسلم وإما أن أقتلك قال هذه آية في القرآن قلت له نعم قال أين قلت له في سورة النحل في مكان كذا فتح المصحف وسجل رقم الآية والسورة إن الإرهاب أو التطرف مسميات وأوصاف ألصقها الناس بالإسلام، لكن الإسلام منها براء إن أزهى وأحسن عصور الإسلام هي التي كان يعيش فيها الكثير من غير المسلمين وكانت حقوقهم ودور عبادتهم محفوظة ومحترمة، لا يستطيع أحد أن يعتدي عليهم، كان هذا الباحث يكتب ويسجل كل ما يسمعه أنهى الجلسة وشكرني وانصرف وجاء الحرس وأرجعوني إلى غرفتي.

بعـد أيام جاء الحرس وقالوا لي عندك تحقيـق، ربطوني بالسلاسل، وسرت معهـم إلى غرفة التحقيق في غرفـة التحقيق يفك الحرس قيد اليدين، لكن يربط سلسلـة القدمـين بحلقة مثبتة في أرض الغرفة، هـذا دائماً في كل مرة ذهبت فيها إلى غرفة التحقيق جاء المحقق شخص واحد يلبس اللباس المدني لا يعرف العربية قلت له لو تحضر مترجماً قال لي هل تعرف الإنجليزية؟ قلت قليلاً قال هذا يكفي أنـا أفهـم عليك قلت لكـن أنا لا أستطيـع أن افهمك جيداً أولا أستطيـع أن أوصل إليـك ما في نفسي لأنني لا أعرف الإنجليزية جيداً معرفتي بالإنجليزية قليلة منذ أيـام المدرسة قال هذا يكفي سـوف أفهم بدأ يسألني عن حياتـي وبعض أقربائي عـن دراستي حتى خرجت من فلسطين وهـل لي أصحاب خارج فلسطين في أوروبا وغيرهـا سألني هـل تعلم أسماء أغنياء خارج فلسطـين يرسلون أموال إلى الناس في فلسطـين قلـت له أنا غادرت فلسطين منـذ عشرين عاماً تقريبـاً، قبل أن تبدأ الانتفاضة، وقبل أن تبدأ التفجيرات والمصادمات بين العرب واسرائيل، يبدوا أنه كان يريـد أن يعرف هل لي صلة بما يجـري الآن في فلسطين قال: هل يعيش أهلك في فلسطـين الآن هو يعبر عن فلسطـين بإسرائيل يقول داخل اسرائيل يعني داخل فلسطين قلت له نعم يعيش أهلي في فلسطين الآن قال هل ترسل لهم أموالاً؟ قلت له أنـا لسـت غنياً أنا لا أستطيع أن أرسل لهم أموالاً إلى الداخل ثم هم ليسوا بحاجة إلى الأموال كانت الجلسة قصيرة، رجعت بعدها إلى غرفتي.

بعـد أيام قليلـة طلبوني للتحقيق، ذهبـت، لا أذكر الأيـام، ولا التواريخ لهذه الأيام لأنه لا يوجد داخل السجن أي شيء تعرف به الأيام ولا التواريخ ولا الشهور، الورقة و القلم ممنوعان، أي كتابة يعثرون عليها في غرفتك سواء على ورقة أو على أرض الغرفة أو جدرانها أو على السرير، يصورنها ويترجمونها ويحللونها ثم تكون أنـت المسؤول عنها يستجوبونك عنها وربما يفتحون لك عنها تحقيقاً، دخلت غرفة التحقيق جلست دخل المترجم وأظنه لبناني عرفته بلهجته يلبس اللباس العسكري أمـا المحقق فكان المحقق القديم، أعاد علي بعض أسئلة الجلسة السابقة، وأسئلته

كلهـا تدور حول فلسطين، وما يجري فيها أنـا لا أدري أن كان هذا المحقق أمريكياً مهتـم بالشـؤون الفلسطينيـة، أم هو إسرائيلـي يحقق معي باعتبـاري من مواليد فلسطـين وعشت نصف عمري تقريبـاً في فلسطين الكل جائز سألني هل يمكن أن يعيش العرب واسرائيل في أرض واحدة متجاورين بدون قتال أو بدون مشاكل كما تعيش الكثير من الأديان المختلفة في أرض واحدة قلت له يمكن إذا ضمن كل طرف حقـوق الطرف الآخر، قال لو زرتك في بيتك هـل يمكن أن تستقبلني؟ قلت له نعم إن الإسـلام لا يمنـع ذلك، قال أنا أمريكي غير مسلم دينـي مسيحي، ولي صديق مسلـم هل تصدق أنني عندما أسافر خارج أمريكا لا أجد أحد أأتمنه على زوجتي وأولادي غـير هذا الصديـق المسلم، إن لي أصدقاء وأقارب كثـيرون لكن أرسلهم إلى بيـت هـذا الصديق ليحافظ لي عليهـم، أثناء غيابي قلت لـه إن والدي تاجر متوسـط الحال يشـتري بضاعة في بعض الأحوال من تجار يهـود إسرائيليين، من حيفـا ومن تل أبيـب، ولقد إتصل بي بالتلفون من عند هؤلاء التجار أكثر من مرة، لـه أصحاب تجار كثـيرون يتاجر معهم، يشتري منهم ويبيـع لهم الحياة والمبادلة التجارية بينهم عادية، انتهت الجلسة ورجعت إلى زنزانتي.

اقـترب موعد شهـر رمضان لعـام ٢٠٠٢م قامـت إدارة السجـن قبيل شهر رمضـان بعملية نقل وتغيير لأماكـن المسجونين، شمل النقل جميع المسجونين وكان النقـل من عنـبر إلى آخر، بحيث أنهـم كانوا يجمعون كل جنسيـة من الجنسيات الموجـودة في السجن بجانب بعضها البعض عرباً كانت هذه الجنسية أم عجماً أما الجنسيات الموجودة في السجن، فهي كثيرة، سمعت من بعضهم أنها ثلاثة وأربعون (٤٣) جنسية من جنسيات العرب والعجم من دول عربية إسلامية وإسلامية غير عربية ومـن دول غير عربية وغير إسلامية. توجد جنسيـات من دول أوروبية،من استراليـا روسيـا والصين وأكثر الجنسيـات وجوداً هي المملكـة العربية السعودية واليمـن والباكستان وأفغانستان، هذه الجنسيـات الأربعة تشكل نصف المسجونين في جزيرة كوبا.

استبشر المساجين خيراً بهذا النقل وهذا التجميع، كل جنسية بجانب بعضها البعض لأن البعض نقل أخباراً مفادها: إن إدارة السجن ستجمع كل جنسية مع بعضها البعض، ثم تقوم بتصفية المعتقلين الذين لا علاقة لهم بتنظيم القاعدة وطالبان، وبعد ذلك سيتم الإفراج عن أكبر عدد من المسجونين في هذه الجزيرة، ولن يبقى في هذه الجزيرة إلا عدد قليل من المعتقلين ١٠٠-٢٠٠ شخص تقريباً، والبقية سينقلون إلى مكان آخر قريباً من هذه الجزيرة - كوبا-، يجلسون فيه مدة من الزمن قبل أن ينقلوهم إلى بلادهم.

إن السجين ينتظر أي خبر يتعلق بالإفراج عنه، فإن كان الخبر صحيحاً حمد الله عز وجل، وإن كان غير ذلك حاول أن يفسره التفسير الذي يفرح به ويزرع الأمل في نفسه، لكن مرت الأيام دون أن يروا تجسيداً وتطبيقاً لما سمعوه، صحيح أن أناساً خرجوا من السجن لكن بأعداد قليلة، ولما خرجت أنا من رهن الاعتقال والأسر، بعد ٢٦ شهراً، مع أحد عشر سجيناً فيهم العرب وفيهم العجم كنت أنا الرقم الحادي عشر أو الثاني عشر من العرب المفرج عنهم، لأن العرب المفرج عنهم أقل بكثير من أعداد العجم،. . .من الباكستان أو الأفغان.. أو غيرهم، لقد كان أول المعتقلين المفرج عنهم من جزيرة كوبا بعض الأفغان، ثم جاء بعدهم بعض العرب لكن ليس بأعداد كثيرة مثل غيرهم.

لقد سمعت من بعض المسجونين أن أحد المحققين قال له إن الذين ثبتت عليهم تهمة الانتماء إلى تنظيم القاعدة وطالبان من كل العرب والعجم الموجودين في جزيرة كوبا حتى الآن خمسة فقط والله أعلم بما قال، ثم قال له إن العرب ليسوا كغيرهم ولا يجرؤ أحد من المسؤولين الأمريكان أن يوقع على إخراجهم، وذلك لأن العرب هم أصل هذه القضية والحملة وأساسها إنهم العمود الفقري في الأحداث التي وقعت سواء التي وقعت في أفغانستان أو التي وقعت، في أمريكا أو في اليمن أو إفريقيا أو غيرها، حيث الاعتداء على السفارات والمصالح الأمريكية،

إنهـم يخشون أن يطلقوا سراح بعض هـؤلاء الأسرى فيعود هؤلاء الأسرى ويعملون عمليـات عدائية للولايات المتحدة الأمريكية، إن قسمـاً كبيراً من السجناء العرب بريئون ولا علاقة لهـم بتنظيم القاعدة وحركة طالبان، حتى اللذين ألقي القبض عليهـم في أفغانستـان أو على الحـدود في باكستـان، كثير منهم سمعـوا بالجهاد الأفغاني وبالإمارة الإسلامية في أفغانستان فتحمسوا ليروا بأم أعينهم ما سمعوا، أو ليشاركوا في هذه الإمارة دون أن يخطر ببالهم أسامة بن لادن أو تنظيم القاعدة الـذي يرأسه، ما كان يخطر ببالهم أن يقوم أسامة بن لادن كما هو منتشر ومشاع بين الناس بضرب مبنى التجارة العالمي المكون من عمارتين في نيويورك، أو بضرب وزارة الدفاع في واشنطن، ما كان هؤلاء الشباب الذين وفدوا على أفغانستان يظنون ولو ظناً ١٪ أن تاني أمريكا في يوم من الأيام لتضرب أفغانستان، وتطالب باستلام أسامـة بن لادن، ثم تقوم هذه الحرب الضروس الغـير متساوية وغير متكافئة في كافة المجالات، ثم يقع هؤلاء الشباب بيد قوات التحالف الأفغاني الشمالي، أو بيد الحكومة الباكستانية ثم يقوم هؤلاء بتسليمهم أو بالأحرى والأصح ببيعهم للقوات الأمريكية، ثم يتهم هؤلاء الأسرى بأنهم أعداء الأمريكان ويريدوا تدميرها وإحلال الإسلام مكانها، ما كانوا يظنون أن تقوم البلد- أفغانستان التي استقبلتهم وآوتهم بـل وسكـب الكثير منهـم دمه علـى أرضها وسقطـوا مجندلين شهـداء لحمايتها وضمـت أرضهـا لقبور الكثيرين منهـم ولا تزال قبورهم شاهدة وبـارزة فيها، ما كان يظن هؤلاء أن يقوم هذا الشعب بقتلهم ومطاردتهم والبحث عنهم وتسليمهم وبيعهـم بثمن بخس ليصبحوا عبيداً يباعون في سوق النخاسة العالمية، وليصبحوا أسـرى بيـد أناس ما كانوا يظنـون أنهم يرونهم في يوم من الأيام بـأم أعينهم، أو يلتقـوا بهم في أي مـكان في الأرض، ما كان يخطر ببال هؤلاء الشباب أن يصبحوا أسـرى بيد القوات الأمريكية، ربما كان يخطـر ببالهم أن يقعوا أسرى بيد القوات الأفغانيـة الحكوميـة الشيوعية، أو بأيدي القوات المسلحـة الروسية أو أن يسقطوا صرعـى شهـداء بيد هذه القوات، أما أن تقوم هذه الـدول التي آوتهم ودافعوا عن

أرضهـا وشعبهـا وأعراضها ودينها، مثـل باكستان وأفغانستـان فما كان يمر هذا ببالهم أبداً، إن لسان حال هؤلاء الأسرى يقول:

وظلـم ذوي القربـى أشـد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

إن حـال هؤلاء الذين يعيشون في أقفاص وصناديق معتقل جوانتناموا في كوبا والتي تبعد عن مكة المكرمة أكثر من ثلاثة عشر ألف كيلو متر، إن حالهم يقول:

ولـو كـان سـهماً واحـداً لاتقيته ولـكـنـه سـهـم وثـلاثـة وثـالـث

إنهـم يعيشون في أرض الأعـداء والبعداء، أرض الغرباء، لا يعرف أحد عنهم شيئـاً، ولا يسمح لأي وسيلة إعلامية أن تنقل ما يجري في هذه الجزيرة النائية إلا ما يمر من تحت سمع وبصر الأمريكان.

قصص إعتقال الأسرى

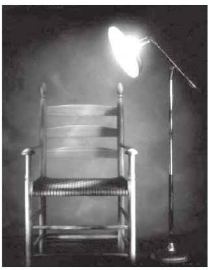

سمعت من بعضهم كيف كانت عملية اعتقاله وأسره، لما قامت الحرب في أفغانستان فر قسم من هؤلاء من أفغانستان إلى باكستان، كانت الحدود الباكستانية مشحونة بالحرس والجنود الباكستانيين، وكنا نشاهد هذا على شاشات التلفزيون قبل اعتقالنا. لقد أسرتهم القوات الباكستانية وأودعتهم معتقلاتها، والذي نجى من الحرس والجنود أسرتهم القبائل الباكستانية الحدودية، لقد خدعتهم هذه القبائل، رحبت بهم في البداية وأكرمتهم بالمبيت والطعام وطمأنتهم بالأمن والحماية وأنهم سيقدمون لهم ما يستطيعونه لإيصالهم إلى بلادهم، سمعت أن بعض القبائل ذبحت لهم الذبائح، أدخلتهم إلى مضاقاتها التي زينوها بصور المجاهدين وقاداتهم وصور الآليات والدبابات المدمرة، لكن بعد يومين استيقظ هؤلاء الشباب فوجدوا أنفسهم محاطين بقوات باكستانية، قيدتهم وأودعتهم السجن، ثم بدأت تأخذ استبيانات ومعلومات عنهم، وأخبرتهم أنهم سوف يسلمونهم إلى سفارات بلادهم في إسلام آباد، أحضرت لهم بعض رجال الصليب الأحمر الذي أخبرهم إن أرادو أن يكتبوا رسائل لأهاليهم يخبرونهم أنهم سوف يعودون إلى بلادهم قريباً، وأخذ منهم مختصر عن السيرة الذاتية لكل واحد من هؤلاء، قسم من الفارين من أفغانستان إلى الباكستان استطاع أن يصل إلى لاهور وكراتشي وغيرها من المدن الباكستانية، لكن البوليس الباكستاني لايستطيع أن يجمع هؤلاء كلهم بهذه الطريقة السهلة والسريعة، إنما كانت هنالك

إغـراءات مادية لكل من يقبض على عربي ويسلمه إلى البوليس الباكستاني الذي سيسلمه إلى الأمريكان، لقد طالت عملية الاعتقال من كان في أفغانستان وفر إلى باكستان، بالإضافة إلى عدد من العرب الذين كانوا يقيمون في باكستان، باقامات وجـوازات صحيحـة وعندهم أعمـال بمؤسسات إغاثية رسمية تعمـل في باكستان لا علاقـة لهـا أبداً من قريـب أو بعيد بما جرى في نيويـورك وواشنطن، لقد كانت الطائـرة التي حملتنا من بيشاور إلى بجرام وهي طائـرة أمريكية طبعاً كان فيها مجموعة من العرب تعرفنـا على بعضنا البعض لما نزلنا في بجرام، (أفغانستان) قـال بعضهـم لقد كنا في كراتشي وقال بعضهم كنا في لاهـور وقال بعضهم كنا في إسـلام آبـاد، فالطائرة حملت مجموعة من كراتشي ثـم هبطت في لاهور وحملت مجموعة منها ثم أقلعت وهبطت في إسلام أباد وحملت مجموعة منها ثم هبطت في بيشـاور وحملتنا منها ثم أقلعت وهبطت في بجرام، لقد كانت حملة شعواء شديدة ويـل للعرب منها، لقد خضع هـؤلاء (معظمهم) المعتقلين لعملية تفتيش دقيقة من قبل البوليس الباكستاني الذي صادر كل ما وجده معهم من أموال أو ساعات يدوية أو حاجـات ثمينة، حتـى النظارات الطبية أخذها منهم كمـا سمعت من بعضهم، أمـا الذين داهـم البوليس الباكستـاني، بيوتهم فقد صادر منهـا أجهزة كمبيوتر وأجهزة تلفون ذهب وأموال كل شيء ثمين طالته أيديهم صادروه ولم يرجع البوليس الباكستـاني منه شـيء إلى أصحابه وهذه حـوادث سمعتها مـن أصحابها الذين حدثت معهم لما داهمهم البوليس الباكستاني في ببيوتهم في بيشاور وغيرها، والله المستعان وحده على ما جرى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سمعـت من بعضهـم قصـة اعتقاله، مجموعة مـن العرب كانـوا جرحى في مستشفى كويته عاصمة إقليم بلوشستان الباكستاني، المحاذي لأفغانستان وإيران، أدخلوهـم المستشفـى، احترموهـم، رحبوا بهـم أي طلب لهم ينفذونـه ويقدمونه لهـم حتى أن أحـد الجرحى قال طلبنا مـرة أكلة سمك فقـال: لم يمضي إلا وقت قليـل وإذا بجميع أنواع السمـك أمامنا، المقلي والمطهي والمشـوي، أخذ المستشفى

منهم استبيانات، الإسم، الدولة، تاريخ الولادة، الحالة الاجتماعية، الأسرة عدد الأولاد... زارهم بعض الدبلوماسيين العرب العاملين في سفارات بلادهم في اسلام أباد طمأنوهم أنهم سيرجعون إلى بلادهم، لكن بين يوم وليلة قلب القوم لهؤلاء الجرحى ظهر المجن استيقظوا في ليلة ظلماء وكما يقول المثل [الليلة ليس فيها قمر] على قوات الأمن الباكستانية تحيط بهم، قيدتهم مع أنهم جرحى لا يستطيعون الهرب، وبعضهم بقدم واحدة، قيدوهم بالأيدي والأرجل بالسلاسل، ثم حملوهم إلى المطار، حملتهم الطائرة من مطار كويته الباكستاني، وهبطت بهم في مطار قندهار الأفغاني الذي يوجد فيه معتقل للقوات الأمريكية إن كل من اعتقل أو ألقى القبض عليه عربياً كان أو عجمياً من باكستان أو من أفغانستان وما حولهما كان يحمل وينقل في الطائرات أما إلى قاعدة ومعتقل قندهار أو إلى معتقل بجرام وفي هاتين القاعدتين يتم الاستجواب والتحقيق مع المعتقلين ومن ثم يتم تصفية هؤلاء والتحقيق معهم والفصل في قضاياهم فإما يكون العفو وإطلاق سراحهم وإما نقلهم إلى معتقل جوانتنامو- كوبا- لكن المفرج عنهم من بجرام أو من قندهار لم يكن فيهم عربي واحد حتى لو كان هذا العربي يقرأ القرآن أو يصلي فقط وليس له علاقة بالتدريب ولا بالمعسكرات ولا بتنظيم القاعدة ولا بحركة طالبان، إن كل عربي وصل إلى بجرام أو إلى قندهار نقل إلى (جوانتنامو) كوبا وحصل على شرف الاستضافة الأمريكية، ونال وسام الزيارة لتلك القاعدة المشؤومة والجزيرة المنكوبة المنحوسة، لقد كان بعض المعتقلين الذين نقلوا من أفغانستان إلى كوبا موجودين أصلاً عند حركة طالبان وفي سجونهم ومعتقلاتهم، كان الطالبان يتهمونهم بالتجسس عليهم لم يكن الطالبان راضين عنهم فكيف اعتقلهم الأمريكان؟ إن الأمريكان يعتقلون كل من له علاقة وتعاون مع الطالبان وهؤلاء كانوا على علاقة سيئة مع الطالبان فيكف إعتقلتموهم ونسبتم التهم إليهم؟؟ سمعت من أحدهم قصة إعتقال إنه عراقي يعيش في بريطانيا منذ سبعة عشر عاماً، لم تطأ قدماه أرض أفغانستان لم ير أفغانستان حتى في المنام

والأحـلام كان يعمل في التجارة والأعمـال الحرة وقبل اعتقاله بأسبوع تقريباً قرر السفـر في مهمـة تجارية، مع مجموعة مكونـة من أربعة أفـراد إلى دولة في غرب افريقيـا، تسمى جامبيا، مشهورة بزراعة الفستق(الفـول السوداني) إنهم ذهبوا إلى هذه الدولة لإقامة مصنع لهم لإنتاج الزيت من الفول السوداني بسبب رخص سعـره هنـاك وبسبب الأيدي العاملـة الرخيصة، إنها مهمـة تجارية لا علاقة لها بالحـرب ولا بالارهـاب، لا علاقة لها بتنظيم القاعـدة ولا بحركة طالبان إنها بلد تبعـد أكثر من عشـرة آلاف كيلو متر عن أفغانستان، إنهـا في قارة وأفغانستان في قـارة أخرى، يقول هذا المعتقل: عندما قررنـا السفر إلى جامبيا عبر مطار لندن قامت قوات الأمن البريطانية باعتقالنا الأربعة، مباشرة كلفنا محامياً بالدفاع عن قضينا واستطعنا الخروج من المعتقل بعد بضعة أيام ثم السفر مباشرة خلال اسبوع مرة ثانية، خرجنا من لندن وصلنا إلى جامبيا، لما نزلنا من الطائرة المدينة ودخلنا مبنى المطار جاء البوليس واستلم جوازاتنا الأربعة، وقال تمهلوا نريدكم قليلاً، كان هذا القليل احتجازنا اسبوع في مكان جيد نحن الأربعة، بعد أسبوع تم إطلاق سراح اثنين منا يحملان الجنسية البريطانية، وتم تجديد اعتقال اثنين آخرين أنا أحدهم لا يحمـلان الجنسية البريطانية وتم نقلنا إلى مـكان آخر غير جيد لمدة عشرة أيام ثـم تم تسفيرنا في طائرة صغيرة لوحدنا من جامبيا إلى أفغانستان لقد قيدونا على مقاعـد الطائـرة تقييداً محكماً لا نستطيـع معه الحركة أما الأعـين مغطاة والأذن مغلقـة والفم والأنف مغطيان وحتـى لا نحتاج إلى استعمال الحمـام Tiolet قاموا يوضـع حفاظات كبيرة لنـا كالأولاد الصغار لاستعمالها للبـول والغائط إذا احتجنا إليهـا، وكما يسمونها هـم number one and nomber two، وصلنا إلى مكان بعد رحلة طويلة عرفنا فيما بعد أنها كابل التي لم أزرها وأدخلها بإختياري فدخلتها ومشيـت على أرضها بغـير إختياري، قال أدخونـا إلى سراديب تحت الأرض لا نرى شيئاً، الدنيا ظلام طيلة اليوم والأربع وعشرين ساعة سواد دامس، غرفة لا ترى فيها شيئـاً ليس بها حمام لقضاء الحاجـة Tiolet لكن عندك في الغرفة وعاء (سطل)

تستعملـه لقضـاء الحاجة، يعطونك بعض قوارير الماء البلاستيكيـة للشرب، أما الطعـام فكان مرة واحد كل ٢٤ ساعة، كمية قليلـة من الأرز والخبز، يدخل عليك الحارس الملثـم يحمل بيده فانوسـاً صغيراً لـيرى موقع قدميـه، يسلمك الطعام والشـراب ثـم ينصرف الكلام معه أو مـع غيره من السجناء ممنـوع، أما الشاي أو الحليـب والفاكهة فغير موجـود أقاموا هنـاك ما يقارب ثلاثة أسابيع ثم نقلوهم إلى جوانتنامـو- كوبا- بالطريقة التي يرحلون بهـا بقية المعتقلين تم استجوابه في التحقيق كثيراً أهله يقيمون في بريطانيا، يأمل أن يرجع إليهم قريباً.

قصـة معتقل آخر أصله من إفريقيا، نسيت اسم هذا البلد، خرج مع أمه إلى بريطانيا وهو صغير، كانت حياته كحياة الجاهليين الذين يعيشون في بريطانيا لكن قبل اعتقاله بسنين قليلة رجع إلى الله وبدأ يستقيم في حياته، سمع بأفغانستان وإن بها إمارة إسلامية يحكمها الطالبان، فقرر أن يزور ويرى هذه الامارة وأثناء هذه الزيـارة وقعت أحداث نيويـورك وواشنطن وقامت الحـرب في أفغانستان، فخرج ورجـع إلى إفريقيا، وفي دولـة إفريقية وهي مسقط رأسـه تم اعتقاله، ثم تسفيره إلى كوبا، هو رجل رياضي يهتم بتقوية جسمه يتدرب يومياً حتى في السجن لما كان خارج السجن قبل اعتقاله كان مدرباً يكتسب رزقه من تدريبه لبعض الناس، عنده إحساس شاعري، ينظم الشعر سمعت منه بعض الشعر في اللغة الإنجليزية، يتكلم فيها عن السجن، وما يعاينه السجين، وما يقوم به السجان، الأمريكان- ترجم لي هذا الشعر إلى العربية بلغة مفهومة، وإن كانت صعبة عليه يقول له في هذا الشعر: إن أمريـكا مرتاحة متنعمة تقوم بالحرب تـرى الدماء والدمار والأشلاء، وغيرها فقـير مظلـوم بائس، ولأن هذا الشعر لا يعجـب إدارة السجن، لأنه كان ينشد هذا الشعر، على مسامع الجنود، الذين ينقلون ما يسمعونه في العنابر إلى إدارة السجن قامت إدارة السجن وصادرت هذا الشعر ولقد شهدته مرة ينشد هذا الشعر وكان في عنـبري، بل جار لي، وقد تجمع الحرس في العنبر أمام غرفته ورأيتهم معجبين بشعره ينظـر بعضهم إلى بعض يضحكون ويتمايلون بسبب دقة وصفه وتشخيصه

للسجـن والسجـان والسجـين، لقد كان أسـود اللون- ولا اعتراض على خلق الله وسبحـان الله العظيم حتى الأمريكان الجنـود ذكورهم وأناثهم وهم نصارى على غـير دينه، كان يظهر منهم التعاطف والحنو عليـه والكلام والنقاش معه، خاصة السـود الذين يشاركونـه البشرة. كانوا يقضون الوقـت الطويل على شبك غرفته، يتجاذبـون أطـراف الحديث ليلاً ونهـاراً وخاصة ليلاً، يتناقشـون في شتى الأمور والمشاكل، لقد كان لونـه الأسود يجذبهم اليه، إنك ترى التوافق والانسجام بينهم لكـن كنت تحس أن لسان حال الجنـود يقول له كلامك صحيح لكن نحن في جيش لا نستطيـع أن نفعـل شيئاً، إننا نطبق الأوامر فقط لقـد كان مؤدباً لم أر منه طيلة وجـوده في عنـبري أي مخالفة لقوانين السجن والسجـان، لكن أظن أن شعره هذا كان سبباً في تأخر الإفراج عنه، لأنه تم الإفراج عن أربعة بريطانيين وعن غيرهم، عربـاً وعجماً، ومنهم سجناء من دول أوروبية قبل أن أخرج من (جوانتنامو) لكن خرجت من كوبا وهو لا يزال هنـاك.

قصـة رجـل آخـر أهلـه هاجـروا مـن إفريقيـا إلى دولـة في أمريـكا الجنوبيـة (جامايـكا) ثم رحلوا من جامايكا إلى بريطانيا، صاحب القصة ولد في مانشيستر إحـدى المدن البريطانية أهله يدينون بغير دين الإسلام، إنهم نصارى لكـن الله عـز وجل تفضل عليه وهداه للإسلام، فهو مسلـم وزوجته وأولاده كذلك مسلمون دون بقية العائلة الآخرين كما فهمت من قصته، سمع بالإمارة الإسلامية في أفغانستـان فـأراد أن يعرف عن قـرب هذه الإمارة ذهـب إلى أفغانستان، لكن الطالبـان اعتقلـوه وأودعوه السجـن وأتهموه أنه جاسوس، وبقـي في السجن حتى قامـت الحرب في أفغانستان وسقطت حكومة الطالبان وجاء الأمريكان، فاعتقلوه ورحلـوه إلى معتقل (جوانتنامو) ومكث في هذا المعتقل ما يقارب الثلاث سنين، إن هذا المسكين ما كان له حظ مع حكومة الطالبان وما سلم من الاعتقال من حكومة الأمريكان سمعت أنه خرج من كوبا قبل خروجنا بشهر.

قصة سجين آخر اعتقلته الباكستان عمل في مؤسسة إغاثية ثم تركها وانتقل إلى تجارة العسل لمدة سنين ثم تركها وعمل مع مؤسسة إغاثية يتاجر معها، يترزق ويعيش من هـذه التجارة، يشتري لهم الطحين والأرز والزيت ومواد غذائية، رجل هـاديء معتدل صاحب خلق ودين، ليس متطرفاً حسـب المفهوم الغربي، لما وقعت الحرب في أفغانستان بعد أحداث ١١ سبتمبر وحل بالعرب ما حل نوى الخروج من باكستان لكن قبل أن يغادر المطار اعتقلته الباكستان اسكنوه الفندق لأيام قليلة ثم سلمـوه للأمريكان الذين نقلـوه إلى قندهار، حيث عانى هناك، الكثير وبعد شهور نقلوه إلى كوبا حيث لا يزال هناك إلى هذا الوقت.

قصـة باكستـاني رأيته في السجـن وكان في العنبر الذي اسكنـه، يقول هذا المعتقـل لما وقعت الحرب في أفغانستان كان أخي هناك تأخر ولم يرجع، افتقدناه، فـأردت أن أذهـب بنفسـي أبحث عنه فحصلـت على تأشيرة دخول مـن السفارة الأفغانيـة في إسـلام أباد، لم يكن لي أي هدف إلا أن أبحـث عن أخي وأرجعه إلى أبيه (والدي)، ما كان لي هدف آخر، ما كان عندي نية أن أقاتل مع الطالبان ضد الأمريكان، لما وصلت إلى شمال أفغانستان وبدأت أبحث عن أخي اعتقلني تحالف الشمـال وظن أننـي من المقاتلـين الباكستانيين الذيـن كانوا يقاتلـون مع حكومة الطالبـان ضـد تحالف الشمال أو قاتـل مع الطالبان ضد تدخـل الأمريكان، قلت لهـم أنا جئت أبحث عن أخي في الشمال لأن معظم الأسرى الباكستانيين كانوا في الشمال الأفغاني فظننت أن أخي هنا معهم وهذه تأشيرة دخول رسمية من سفارة أفغانستان في إسلام أباد أنا لم أدخل تهريباً وخفية أو بدون تصريح منكم لكن لم يعيروه أي اهتمام وأودعوه السجن في منطقة مزار شريف ولاية بلخ التي توجد.

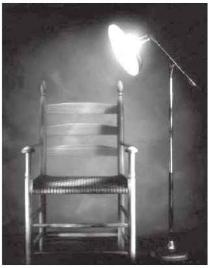

على الحدود الروسية، قال الشاهد أو الراوي أدخلونا داخل كونتينر- السيارة التي تحمل صندوق حديدي كبير محكم وهذه المنطقة تخضع لسيطرة تحالف الشمال ومسؤول المنطقة يطلقون عليه الجنرال الحاج عبد الرشيد دوستم،

وضعونا في هذا الصندوق بإعداد كبيرة كأنك ترتب صناديق ببيسي كولا، أو كراتين حليب نيدو، كنا ملتصقين ببعضنا البعض، لا يستطيع أحدنا أن يتحرك من مكانه، امتلأ الكونتينر بالبشر أغلقوه علينا، تحركت السيارة التي تجر هذا الصندوق الحديدي المحكم لكن لا أحد يعلم إلى أين تتحرك، مشت لساعات طويلة، تعالى صراخ الموجودين في هذه العلبة المحكمة، بالتكبير والتهليل، والدعاء إلى رب الأرض والسماء أن يفرج عنهم هذا البلاء الأصوات التي بدأت عالية بدأت تخبوا وتضعف شيئاً فشيئاً، ضاق التنفس انقطع الصوت خمدت الأنفاس الموت يقترب من بعضهم كل واحد منهم لا يستطيع أن يقدم لنفسه فضلاً عن أن يقدم لغيره أية مساعدة، يا إلهي سنموت جميعاً في هذا المكان ولعل هذا المكان يكون قبرنا لعلهم يحفرون لهذا الكونتينرحفرة كبيرة ويضعوه فيها فيكون هذا الكونتينر هو الكفن وهو القبر، بعد ساعات طويلة قدرها من في الكونتينر من ٨-١٠ ساعات توقف هذا القبر المتحرك -الكونتينر-، فتحوا الباب الحديدي المحكم لهذا الصندوق- غرفة الموت فإذا بعض من فيه قد قضى نحبه (وخرجت روحه إلى بارئها)، غريباً بعيداً بأرض ليس له فيها ولد ولا والد، الذين في هذا

الصندوق الحديدي منهم من قضى نحبه -مات- ومنهم من ينتظر أو أنه في حالة خطيرة، أو أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة، وبعضهم خرج من غرفة الموت، ولا زالت الروح فيه قوية ليروي المأساة، ويحدث عن بشاعة ما جرى هذا السجين الذي نجى من الموت بقدر من الله عز وجل يستمر يحدث عن بقية المأساة قال من قدر الله عز وجل له النجاة لقد أدخلونا إلى سجن في غرف ضيقة غير نظيفة، والغرفة التي تتسع لخمسة وضعوا فيها عشرين، أما الدواء والعلاج ففير موجود مع العلم أن بعض من كان في الكونتينر جريحاً قد تعفن جرحه ولم يقدموا له حتى المطهر. قالوا له لا بد أن تقطع يدك فقال لهم اتركوها كما هي وليحدث لها ما يحدث وأنا أتحمله، وتركت يده كما هي دون علاج، وشاء الله الذي على كل شيء قدير، أن يبرأ جرح يده العميق التي رفض قطعها ويده الآن مثل يده الأخرى السليمة أما الطعام في هذا السجن- عند تحالف الشمال، فرديء جداً وقليل جداً إذ أن كل أربعة وعشرين ساعة يقدمون للسجين كمية من الأرز، أو قطعة من الخبز صغيرة وقديمة، أما الفاكهة فلم يروها حتى في المنام والأحلام، أما مياه الشرب فغير صالحة للشرب.

ومع أن كمية الأرز التي كانت تقدم للسجين في معتقل جوانتانامو أيضاً قليلة إلا أن الذين كانوا في سجن تحالف الشمال لما رأوا كمية الأرز التي تقدم للفرد الواحد في جوانتانامو قالوا هذه الكمية التي نأكلها الآن في كوبا، كانت تقدم لأربعة سجناء في سجن التحالف الشمالي الأفغاني، ومع أن وجبات الطعام في معتقل جوانتانامو ليست رديئة، ولكنها في نفس الوقت أيضاً ليست جيدة وكافية لمعظم السجناء، ومع ذلك الذين دخلوا سجن تحالف الشمال الأفغاني عندما رأوا الطعام في كوبا قالوا، هذا السجين -كوبا- يعتبر فندق خمس نجوم بالنسبة للطعام الذي كنا نأكله في سجن التحالف الشمالي الأفغاني.

قال الراوي، وهو شاهد عيان على المأساة -لما كان الجوع والبرد هو رفيقنا طيلة مدة وجودنا في سجن تحالف الشمال، كنا نخرج إلى الشمس مرة كل أسبوع،

وأحياناً مرتين فكنا إذ خرجنا نأكل كل ما نجده على الأرض من عشب أخضر دون أن نعرف ماذا نأكل من شدة الجوع، حتى أن ساحة السجن التي كنا نخرج إليها كانت مليئة بالعشب الأخضر عادت بعد مدة نظيفة من أي عشب، لقد أكلنا كل ما كان عليها من العشب.

أما الحمام- الاغتسال- فكان في كل شهر مرة لمن أراد لكن بالماء البارد مع أن درجة الحرارة منخفضة جداً والمنطقة معرضة لموجات من البرد الشديد ومعرضة لنزول الثلج عليها باستمرار طيلة فترة الشتاء يقول الراوي لقد ظهر علينا القمل واتسخت ملابسنا لدرجة كبيرة لكن لا أحد يستطيع التكلم.

أما حمام قضاء الحاجة (Tiolet) فحدث عنه ولا حرج الحمام لا يوجد فيه ماء ولا ورق حمام (فاين) (tiolet paper) ولا حجارة قلت له كيف كنتم تعملون عند قضاء الحاجة؟ قال: كنا إذا خرجنا إلى الشمس نأخذ معنا حجراً صغيراً ونخفيه في جيوبنا عن الحرس ثم ننظف به مكان النجاسة عند قضاء الحاجة، ولا نلقيه بل نضعه في جيوبنا ونبقى نستعمله كلما دخلنا إلى الحمام وهكذا. حتى نجد حجراً آخر مكانه. . لقد كان وضع السجن مأساوياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى لقد كان الحرس في السجن يستغلون السجناء أبشع استغلال يبتزون الأموال القليلة التي معهم حتى أن الحرس كانوا يأجرون جهاز راديو إلى المساجين، ليسمعوا الأخبار لمدة ليلة مثلاً، بمبلغ كبير من المال.

ولقد قام الحرس والضباط في هذا السجن وكلهم من الأفغان- تحالف الشمال- بعمليات احتيال كبيرة على المساجين، خاصة الأغنياء منهم، إذ أن الضباط طلبوا فدية من المال، مقابل إطلاق سراح السجين الذي سيدفع هذه الفدية، وبما أن المساجين لا يملكون مثل هذه المبالغ، فقد قام المساجين بكتابة رسائل إلى أهاليهم يعرفونهم بأنهم موجودون في السجن، عند تحالف الشمال، وإن إطلاق سراحهم متوقف على دفع مبلغ من المال للمسؤولين في السجن، ولقد

سمعت أن أحدهم دفع عنه أهله مئتا ألف روبية باكستانية، حتى يتم الإفراج عنه لكن إدارة السجن أخذت الأموال من أهل هذا السجين ولم تطلق سراحه، أما مصير هؤلاء السجناء فقد قامت قوات التحالف الشمالي بتسليم أو ببيع هؤلاء السجناء للقوات الأمريكية في أفغانستان، حيث تم نقلهم إلى معتقل جوانتنامو-كوبا-.

ولقد حدثنا بعض المعتقلين، أنه سمع من رأى بأم عينه، جرافة(حفارة) تقوم بحفر حفرة كبيرة ثم يؤتي بأناس مكبلين بالسلاسل يقودهم رجال، ويلقونهم (يقذفونهم) بتلك الحفرة وتعود الجرافة مرة ثانية لتلقي عليهم التراب وهم أحياء، لقد قامت قوات التحالف بخداع الكثير من المعتقلين العرب والعجم في الشمال الأفغاني، حيث تجمع الكثير منهم في مكان واحد، وطلبت منهم الإستسلام لكن رفض الجميع هذا الطلب، إلا بشرط ضمان السلامة وإطلاق سراح الجميع، واستسلموا، لكن قوات التحالف لم تلتزم بتعهدها لقد نقضت العهد معهم، وخدعتهم فبعد استسلامهم تم الإفراج عن بعض الأفغان، أما بقية الجنسيات ومنهم العرب، فقد قيدوهم بالسلاسل وساقوهم إلى السجن، ثم بعد ذلك تم تسليمهم ببيعهم- للأمريكان، الذين نقلوهم بعد ذلك إلى معتقل كوبا.

لقد قامت القبائل الباكستانية الموجودة على الحدود الباكستانية الأفغانية باستقبال الفارين والهاربين من جحيم الحرب في أفغانستان، وهؤلاء الفارين من جنسيات مختلفة عرباً وعجماً لكن نسبة العرب فيهم أكثر من النصف، هذه القبائل أظهرت لهؤلاء الفارين الأمان والاطمئنان لكن الأمان ولاطمئنان هذا كان لغير الله بل كان لزيادة المكر والغدر ولزيادة التمكن من جمعهم واستدعاء قوات الأمن الباكستانية لاستلامهم وتقييدهم بالسلاسل، مقابل دراهم معدودة لقد حملوا هذه المجموعة في سيارتين (باصين) كبيرين سار الباصين لكن شعر هؤلاء الشباب أن العملية غدر وخيانة، وأنهم يسيرون نحو المجهول والنهاية المؤلمة إنه السجن وما بعد السجن كان البوليس الباكستاني داخل الباصين وخارجهما

علـى السطح فقرر هـؤلاء الشباب أن يقوموا بعملية ومغامـرة، لعلهم ينجحون في تحريـر أنفسهـم من هذا الـرق والقيد الذي يعيشـون فيه، فاستطـاع بعضهم أن يفـك قيد يديـه وأن يهجموا على البوليس الباكستـاني ويستولوا على البنادق التي يحملونهـا وأطلقوا النـار عليهم وقامت داخل الباصين معركـة بين هؤلاء الشباب والبوليـس الباكستاني سائق أحد الباصـين وهو من البوليس ركبة الذعر والخوف فترك القيادة، للباص وفتح الباب وقفز، وترك الباص يسير بدون سائق مما أدى إلى انقلابـه بمن فيه كان هنا القتلى والجرحـى من الطرفين نتيجة تبادل إطلاق النـار بين الطرفين أولاً ونتيجة انقلاب الباص بمـن فيه ثانياً هذا الحادث سمعنا بـه وشاهدناه قبل اعتقالنا بعده شهور، وسمعنا أن البوليس الباكستاني قام ودفن القتلـى من هـؤلاء الشباب، بعضـ الناس الصالحين من سكان تلـك المناطق قام وحفـر عن هـؤلاء الشباب قبورهم، وقـام بإصلاح أكفانهـم وتعطيرهم بالطيب، وعمل اللازم نحوهم من الصلاة عليهم ودفنهم في أماكن أخرى، وبدأ سكان تلك المنطقـة بزيارتهم والدعاء لهم والتبرك بقبورهم، أما بقية الأحياء والجرحى من الباصـين فاستمر الغدر والخيانة معهم أودعوهم أحـد سجون المناطق الحدودية بين باكستان وأفغانستان وما هي إلا أيام قليلة حتى تم بيعهم وتسليمهم للأمريكان الذيـن لم تمضـ ساعـات على استلامهـم حتى كانـوا داخل الطائـرة التي كانت تنتظرهم في أقرب مطار والتي نقلتهم إلى معتقل أمريكي في قندهار أفغانستان

حيـث أمضوا عـدة شهور في قندهار، ثم تم ترحيلهـم إلى معتقل جوانتنامو، ومن صور معاملة الجنود للإسرى في قندهار :

١- جندي يضع القرآن الكريم في سطل (الخلاء) مكان قضاء الحاجة الذي يستعمله المساجين لفضلاتهم الآدمية

٢- حبـس الأسـرى أحيانـاً في كونتينر مغلق حديـدي، مـع أن الفصل صيفاً ودرجة الحرارة مرتفعة جداً.

٣-الجلوس لفترة طويلة ساعة، ساعتين أحياناً على الركب والأيدي خلف الرأس مع أن أرضى المعتقل التي يكون فيها العقاب حصباء مدببة تجرح وتدمي الركب.

٤- عند الذهاب للتحقيق يطلب من المعتقل أن ينبطح (ينام) على بطنه على الأرض والأيدي خلف الظهر، ثم يتم تقييده بالسلاسل بطريقة شديدة وعنيفة.

العرب الذين كانوا في البوسنة هؤلاء موجودون في البوسنة منذ الحرب بين البوسنة والصرب.

هؤلاء العرب متزوجون من بنات البلد، لهم أولاد، يحملون جنسيات تلك البلد، ألقت الحكومة القبض عليهم بتحريض خارجي بتهمة الإرهاب (المزعوم) لكن حتى يكون هنالك مخرج وحيلة لتسليمهم للأمريكان تم الضغط على حكومة البوسنة لسحب جنسياتهم ثم تم تسليمهم للأمريكان، الذين نقلوهم إلى معتقل جوانتانامو، مع أن المحكمة في البوسنة حكمت لهم بالبراءة من أي تهمة أو علاقة بالقتل والإرهاب.

مضت الأيام وجاء الحرس لأخذي إلى التحقيق، خرجت معهم وقادوني إلى غرفة التحقيق، جلست وحولي الصور، صورة المسجد صورة أسرى في لباسهم البرتقالي، صور لبعض المهاجرين الأفغان، صور الجرحى، أطفال وغير أطفال، صور بيوت مهدمة صور إغاثية ومساعدات صور مقاتلين ومجاهدين يحملون السلاح، صور مختلفة، وهي أمامك وأنت جالس لا تستطيع أن تترك مقعدك أو تغير جلستك، لأنك مقيد بسلسلة في قدميك، والسلسلة مقيدة بحلقة ثابتة في أرض الغرفة، وعن يمينك نافذة من الزجاج، وعن يسارك نافذة أخرى مثلها، هذه النوافذ زجاجها أسود، وفي داخل غرفة التحقيق شيء أسود مستدير متصل بأنبوب سمعت أن هذا الشيء الأسود المستدير كاميرا للتصوير تقوم بتصويرك

وتنقل جميع تحركاتك وإشاراتك إلى شاشة في غرفة مجاورة، وسمعت أن هذا الزجاج الذي عن يمينك وعن يسارك صاحب اللون الأسود، سمعت أنه زجاج يراك من خلاله أشخاص يوجدون في الغرفة التي عن يمينك أو عن يسارك، يروا مدى تأثرك بكل صورة تنظر إليها، تفرح لها وتنفرج أسارير وجهك لها تحزن أو تتضايق أو تعبس لها هذا تحليل البعض لمن جلس في مثل هذه الغرف ومما يؤكد ويؤيد هذا التحليل أنني كنت في أحد غرف التحقيق ذات مرة، انتهى التحقيق وخرج المحقق وقال لي أو وقالت لي (على الصحيح) لأنها كانت سيدة بعد دقائق يأتي الحرس ويأخذوك إلى غرفتك كنت مصاباً بالرشح وأصابني العطاس كثيراً بسبب برودة المكيف فخرج المخاط من فمي وأنفي، وبما أنه لا يسمح للمعتقل أن يحمل في جيبه أي شيء من محارم الفاين في جيبه، يفتش ويأخذ منه كل شيء في جيبه، أقول أصابني شيء من الحرج والارتباك بسبب هذا المخاط أو البصاق وبدأت التفتت عن يميني وعن يساري، وبسرعة فتح الحرس الباب على، وقدموا لي الفاين، دهشت وذهلت، قلت في نفسي ما الذي جعلهم يعرفون ويحسون بما حصل لي؟ قلت لا بد أنهم يراقبون تصرفاتي وأنا جالس داخل غرفة التحقيق نعود إلى غرفة التحقيق جاء المحقق بلباسه العسكري ومعه مترجمة مثله بلباس عسكري تترجم إلى العربية ببطء إنها ترجمة مكسرة لكنها ترجمة مفهومة كانت الأسئلة عن حياتي في باكستان أسماء المعاهد والمدارس والجامعات التي عملت فيها، أسماء المدرسين الذين كانوا معي في هذه المعاهد والمدارس الكتب والمناهج التي كانت تدرس فيها سألني عن المؤسسات والهيئات التي تشرف على هذه المدارس والجامعات سألني عن الجهات الحكومية أو الدول التي تتبنى هذه المؤسسات أو الهيئات وتنفق عليها التاريخ والوقت الذي عملت فيه في كل هذه الأماكن، والتاريخ الذي تركتها فيه سألني عن مؤسسات إغاثية وإنسانية عربية وإسلامية في باكستان، وعن أشخاص عرب يعملون فيها وعن نشاط هذه المؤسسات في باكستان، وفي داخل أفغانستان، عن مجالات عملها في المدارس،

الأيتـام، الإغاثـة الغذائية المساجد المساعـدات المالية هذا ما أذكـره لأنني أكتب بعـد مرور سنتين تقريبـاً عن هذه الأحداث وهذه الأحـداث سمعتها كلها، وسألت عنهـا، وأجبـت عليها، لكن ربمـا قدمت شيئـاً أو أخرته عن وقتـه ومكانه، أو كان السـؤال هـذا مثلاً من محقق ما ووضعته لمحقق آخر وذلك لطول العهد بينها وبين تدوينهـا، ولعدم وجود أوراق وأقلام معنا، لانعـدام وجود أي وسيلة أخرى لتدوين هذه الأحداث.

انتهت الجلسة وانصرفت راجعاً إلى غرفتي برفقة الحرس.

هـذا المحقـق كان مؤدباً معـي لم يستفزني، ما حاول أن يطـرح على أسئلة لا علاقة لها بعملي، وبمكان وجودي في باكستان، في نهاية الجلسة طلب مني أن أخبره عمـا يجري في العنابر، قلت لـه إن السجناء يتكلمون مع بعضهم البعض في أحوال السجـن وعن بلادهـم وعن حياتهم، قصصـ وأحداث حصلت لهـم، يتسامرون ويتكلمون بها أنهم يصلون ويقرءون القرآن عن أي شيء سيتكلمون ؟؟ هل تخافون منهـم إن كلامهم عادي قال إذا سمعت شيئاً يريـدون فعله يخل ويعارض القانون والنظـام والأمن ويـؤدي إلى الفوضى فلا تسكت وتخبرنا به، هـذه الجلسة كانت قبيـل رمضان من عام ٢٠٠٢ م وأذكر في هذه الفترة أن الأخبار تسربت من بعض الجهات المسؤولة في السجن عن وجود عاصفة أو رياح شديدة، تهب هذه العاصفة علـى أمـواج البحـر الذي يوجد علـى مقربة من عنابـر السجن والأبنيـة الأخرى الملحقة بالسجن فتصل أمواج البحر أو المد البحري إلى هذه العنابر والأبنية وربما تكون هذه العواصـف أو الرياح الشديدة مصحوبة بالأمطار الغزيرة هكذا سمعنا الأخبار والله أعلم بصحتها لكن بعد أيام من تسرب هذه الأخبار، بدأت تظهر بعض الأعمـال التي تؤيد وترجح صحة ما سمعناه من أخبار بدأت السيارات والجرارات الطويلة، تحمل معدات وأغراض كثيرة كانت توجد على الأرض بين عنابر السجن وتنقلها إلى أماكن أخرى، بـدأت إدارة السجن تزيل الستائر والجدران القماشية

التـي تحيط بالعنابر والتي توجـد على الجدران والأسـلاك المشبكة الموجودة بين كل عنـبر وآخر وذلك خوفاً مـن أن تمزقها أو تدمرها الرياح والعواصف الشديدة بـدأ الحراس بإغلاق نوافذ السجـن ذات الشبك بأغطية قماشيـة أو بلاستيكية خوفـاً من الريـاح والعواصف أو خوفاً من الأمطار التـي تكون مصاحبة للعواصف هـذه احتياطـات رأيناهـا قامت بهـا إدارة السجن، لكن مـر الوقت ومـا رأينا أو سمعنـا بشيء خطـير أو مخيف التوقعـات والنتائج لهذه العاصفـة ما كانت بقدر الاستعدادات والمخاوف، جاءت الأمور أبسط وأيسر مما كنا نتوقع.

دخـل رمضـان ٢٠٠٢ م وكان قـد سبق شهـر رمضان إضراب عـن الطعام، وإضـراب عن الخروج للتحقيق أو للرياضـة والاستحمام وإضراب كذلك عن أخذ واستـلام أو طلـب الصابون وفرشـاة ومعجون الأسنـان أو ورق الحمام. . . وحتى الـكلام مع الحرس بأي شـكل من الأشكال وربما يسأل سائـل كيف يحصل هؤلاء المضربون على أغراضهم واحتياجاتهم الضرورية؟ فالجواب.

إن هؤلاء المضربون يكونون قـد تزودوا بما يلزمهم من حاجاتهم الضرورية؟ مـن الحرس، طلبوها من الحرس قبل بدايـة إضرابهم بأيام وخزنوها في غرفهم وعند بداية الإضراب تكون كافة متطلباتهم وحاجاتهم الضرورية متوفرة وموجودة عندهـم، لكن هذا الأمـر كان ثم تغير، حيث أصبح الخـروج للتحقيق أو الرياضة والاستحمـام إجباري وليس اختياري، وكل من يرفض الخروج من غرفته للتحقيق أو الرياضـة أو لأي أمر آخر كتفتيش الغرفـة مثلاً، الذي يتم مرتين أسبوعيا، كما هـو دارج ومعمول به في نظام السجـن، عدا التفتيش الفجائي الذي يتعرض له كل سجين إذا طلب منه الحرس ذلك، في أي وقت من ليل أو نهار، إذن كل من يرفض الخروج من الغرفة يخرج رغم أنفه وذلك عن طريق قوات مكافحة الشغب، قوات الشغـب هذه دائماً علـى أهبة الاستعداد، وهي مجهزة بـكل ما يلزمها، ومحصنة ضـد أي اعتداء يقع عليها من السجين مثلاً والتجهيز في جميع أجزاء الجسم من

الرأس إلى القدمين وقبل الدخول على السجين يأتي المسؤول تلو المسؤول لإقناع السجين بالخروج وتنفيذ الأوامر وتطبيق القانون فإذا رفض السجين ذلك جاء مسؤول كبير معه علبة الغاز المسيل للدموع أو غاز آخر لا أعرف اسمه وهذا الغاز مؤثر على الجسم خاصة العينين يقوم المسؤول برش السجين على جسمه أو رأسه وعينيه مما يضطر السجين أن ينشغل بأبعاد الغاز عن نفسه أو ينشغل بألم عينيه فيطلب المسؤول من السجين أن ينام على الأرض، يستلقي على الأرض على بطنه ويضع يديه خلف ظهره، يقوم الحارس بفتح باب الزانزانة لأن الفتح من الخارج، ويدخل عليه خمسة من قوات مكافحة الشغب ويقيدوه برجليه ويديه خلف ظهره ثم يحملوه. ويخرجوه من غرفته إلى التحقيق أو إلى مكان المشي والرياضة ثم يقوم حراس آخرون بتفتيش غرفته ومصادرة ما يريدونه وربما يضعون عليه عقوبة معينة حسب أنظمة السجن وقد شاءت الأقدار أن يجاورني أحد هؤلاء المضربين عن الطعام، لقد كان الحارس يضع له الطعام والفاكهة، الشاي والحليب والخبز على نافذة الغرفة ليأكلها، وبعد مرور ثلاثين دقيقة، يأتي الحارس لجمع الأطباق الفارغة أو بقايا الطعام لكنه يجد الطعام كما هو، فيسأل الحارس السجين لماذا لا تأكل؟ فلا يجيبه السجين بأي كلام، لأن بعض السجناء لا يأكل لأنه مريض، أو غير جائع مثلا، أو انه صائم، فيخبر الحارس عن سبب عدم تناوله للطعام، فلا يقوم الحارس بتسجيل رقم غرفته، أو إن كان الشخص مريضاً يريد الطبيب أو يوجد طعام خاص يصرفه الطبيب للمريض غير هذا الطعام، لأن الحارس يسجل كل شيء يفعله السجين فإن تكرر عدم استلام السجين للطعام فهذا يعني أنه مضرب عن الأكل، فيسجل الحارس رقم غرفته، ويبلغ المسؤول عن الأمر. وربما لا يريد السجين الأكل لكنه يأخذه ويعطيه إلى سجين آخر، إما عن طريق الحارس ينقله بنفسه إلى سجين آخر، وإن رفض الحارس نقله ربما يعطيه السجين لجاره عن طريق شبك الغرفة عن يمينه أو عن يساره، بعض السجناء والمجاورين قام وسأل هذا المضرب عن الطعام عن سبب هذا الإضراب ما هي دواعي الإضراب،

مـا هـي مطالب المضربين حتـى يوقفوا إضرابهـم، وبحكم جـواري لهذا السجين كنـت اسمع ما يجيبهم به قـال هذا السجين المضرب نحن هنـا سجناء، ويعتبرنا الأمريـكان أسـرى حرب لتنظيم القاعدة وتنظيم حركـة طالبان، وأسرى الحرب لهـم حقـوق، لكن لم تقدم لنـا إدارة السجن هذه الحقوق، نريـد أن يطبقوا علينا بنـود ومحتويات معاهدة جنيف لأسرى الحـرب، إن معاهدة جنيف تسمح لأسرى الحرب أن يكون عندهم وسائل إعلام كثيرة ومختلفة من مجلات وجرائد ومذياع وتلفزيـون، تسمح معاهـدة جنيف أن يكون لكل أسير محام وأن لا يتكلم المعتقل في التحقيق إلا بحضـور محامية تسمح بزيارة الأهل للأسير، المعاهدة تنص على أن أسـير الحرب بإمكانـه أن لا يجيب عن أي سؤال من المحقـق إلا عن اسمه ورتبته وفرقته إن كان في جيش نظامي، المعاهدة تنص على أنه لا يجوز أن يتعرض الأسير لأي شكل من أشكال الضغط أو التعذيب إذا رفض الكلام أو الإجابة عن أي سؤال مـن الجهة التي أسرتـه، المعاهدة لا تسمح بالاعتقال الطويـل الأمد دون محاكمة الأسير إن الأسير، لـه حقوق أخرى ذكرتها المعاهدة ووافقت عليها أمريكا ووقعت عليها لكنها الآن تخالف هذه القوانين.

لقـد بقي هذا السجين المضـرب عن الطعام لا يأكل لفترة طويلة، حتى أصبح لا يقوى على الصلاة قائماً وفي النهاية سقط على الأرض، قام السجناء بالصراخ على الحرس حضر الحرس ومعهم الحمالة ونقلوه إلى العيادة.

العلاج

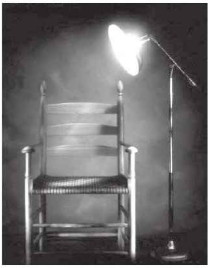

بدأ أصحاب الأضراب يتناقصون شيئاً فشيئاً وثبتت مجموعة على الإضراب، نقلوها إلى المستشفى، ولأن المضربين لا يستطيعون القيام أو الحركة، عاشت هذه المجموعة على الجلوكوز في الفم والأنف، ومن رفض منهم أخذ

الجلوكوز أو السائل الذي يغذيهم، وضعوا له إبره هذا السائل في أي مكان في جسمه رغم أنفه لأنه مقيد على سريره لا يستطيع المقاومة، وبعد مرور فترة من الزمن، ثلاثة أشهر كما أظن، أنهى هؤلاء المضربون إضرابهم عندما لم تستجب إدارة السجن لمطالبهم إن العلاج وتناول الدواء في المعتقل إجباري وليس اختياري، إنك لا تملك أن ترفض تناول الدواء، سواء كان أقراصاً أم شراباً أم إبرة، صحيح أنك إذا مرضت حضر الطبيب إلى غرفتك وعالجك على السريع إن كان مرضك سهلاً وبسيطاً، وإن دعت الحاجة حملوك إلى العيادة، وإن استدعى الأمر نقلوك إلى مستشفى تطوراً خارج المعتقل إلى المدينة لكن داخل القاعدة أو الجزيرة، ورأيت بعضهم نقلوا إلى واشنطن للعلاج حين استدعى الأمر ذلك لكن هناك علاج تناوله إجباري، فبين حين وآخر يتم تطعيم جميع المعتقلين بهذا الدواء، أقراص أو جرعات أو إبر وإذا سألت لماذا هذا العلاج؟ كان الجواب هناك مرض منتشر مثلاً أو وقاية وخوف جرثومة أو فايروس قادم، أو هو دواء وعلاج دوري تعطيه إدارة السجن للمعتقلين للحفاظ على صحتهم.

رمضان في كوبا

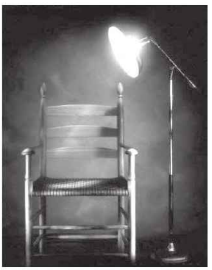

دخل رمضان ٢٠٠٢ م، وهو أول رمضان يمر علي في السجن، سواء كان في سجن الأمريكان أو غيرهم، لقد قلت للمحقق الأمريكي ولغيره من الجنود والحرس، عندما كانوا يقيدونني بالسلاسل في يداي ورجلاي، ويقودونني

كالمجرم، يمسكان بي كأنهم يخافون أن أهرب منهم، قلت لهم أن عمري الآن، يقارب الخمسين سنة، وهي أول مرة في حياتي توضع فيها السلاسل على جسمي، بل هي أول مرة أدخل فيها السجن، إن السجن ليس عيباً ولا عاراً، إنه شرف وفخر لنا إنكم تقودننا إلى سجونكم زوراً وبهتاناً وظلماً وعدواناً، إنكم لا تقودننا إلى سجونكم لأننا مجرمون، أو لسبب أخلاقي، أو غيره من الأسباب المشينة، التي تلحق العار والشنار بصاحبها، إننا لسنا قتله ولا معتدين ولا مهربين للحشيش أو الهروين، إننا لسنا محتالين ولا نصابين إننا .لا نهاجم الشعوب ونقتلها ونعتقل خيرة رجالها وننهب ثرواتها إننا لا نرفع شعارات براقة ليس لها في واقع الحياة شيء، فتجعل أفعالنا تخالف أقوالنا، نضحك في وجوه الناس لكننا نغمس الخنجر في ظهورهم، نقدم لهم باقة الورد بيد، ونخفي لهم السم في اليد الأخرى نعطيهم لقمة الخبز وجرعة الدواء في اليوم الأول، ونسقط آلاف القنابل والصواريخ على رؤوسهم في اليوم الثاني، أين تمثال الحرية الذي وضعته أمريكا ونصبته في أكبر مدنها؟ وماذا يعني هذا التمثال بالنسبة لها، إنه هراء وعبث، وضحك على الشعوب إنه تضييع وتضليل للبشر، إن أمريكا تعطي الحرية وتقدمها لنفسها

فقط أما الآخرين فلتنزل عليهم كل المصائب والويلات، ولتحصدهم كل الأمراض والنكبات.

دخل رمضان ٢٠٠٢ م، وكل إنسان يتمنى أن يكون في هذا الشهر بين أهله وذويه، يتمنى أن يصوم هذا الشهر الكريم في بلاد المسلمين يؤدي صومه وصلاته مع الصائمين والمصلين، الذين تعمر بهم بيوت الله في هذا الشهر الكريم، كان السجناء يتوقعون أن يكون هنالك تغيير في السجن إذا دخل رمضان، إن بداية الصوم في السجن ودخول شهر رمضان لم يكن بخبر من إدارة السجن أو بفتوى من أي جهة إسلامية، لقد كان السجناء يرقبون الهلال في اليوم الأول من رمضان، ويمكن رؤية الهلال إن كانت السماء صافية، ولقد يسر الله عز وجل في أول ليلة إن كانت السماء صافية خالية من السحب فشاهد الكثير من السجناء الهلال، وبدأوا يكبرون وينادون بأصواتهم العالية لبقية العنابر التي لم تشاهد الهلال، بأن غداً هو أول أيام شهر رمضان، وطلب السجناء مسؤولاً كبيراً في أول يوم من رمضان، وأخبروه أن غداً أول يوم من أيام رمضان ولا بد من توفير وجبة السحور لجميع السجناء، وفعلاً عند وقت السحور وقبل دخول آذان الفجر بنصف ساعة تقريباً، وصل السحور إلى العنابر، وكان السحور وجبات جاهزة في أكياس بلاستيكية كل كيس يحتوي على وجبة، إما معكرونة بأشكال مختلفة، أو أرز بالفاصولياء السوداء، ثم كيس فيه قطعتين بسكويت، مع ظرف بلاستيكي صغير فيه معجون فول سوداني، ثم كيس عصير تفاح أو أناناس، ثم قطعة كيك صغيرة، وهذه الوجبات وجبات خالية من اللحوم أو السمك أو الدواجن أو أي نوع من البروتين، أما الماء فمن الحنفية الموجودة في الزنزانة وهي حنفية للشرب والوضوء أو الاستنجاء والاغتسال أما ورق الحمام فيوزعونه عادة ثلاث مرات يومياً، أما وجبة الغداء فلا يحضرونها إلا لمن لم يستلم السحور إن كان مريضاً، أو نحو ذلك فيقدم له الفطور والغداء أما العشاء فيأكله مع السجناء في وقت العشاء أما العشاء في رمضان (الفطور) فقد تأخر في العشر الأيام الأولى من

رمضان ما بين ساعتين إلى ثلاثة ساعات كل يوم، حسب وقت وزمن نظام السجن في تقديم الوجبات، لأن تقديم الوجبات في السجن لا يتقيد بساعة معينة، سواء تقدمت الصلاة أو تأخرت وسواء كان الوقت رمضان، أو غير رمضان كان وقت تقديم وجبة العشاء قبل دخول رمضان بعد صلاة العشاء ففي الثلث الأول من رمضان تأثر السجناء وتعبوا (جاعوا) بسبب هذا التأخر شق عليهم ذلك لطول فترة الصيام التي كانت حوالي ثمانية عشر ساعة تقريباً، ومن المعلوم إن السجناء لا يوجد عندهم أي طعام أو شراب يمكن أن يأكلوه فيما لو تأخر طعامهم، اللهم إلا الماء فقط، لكن بعد رفع الشكاوى إلى إدارة السجن أصبح طعام العشاء (الإفطار) بعد الثلث الأول من رمضان يقدم بعد صلاة المغرب مباشرة أما كمية الطعام ونوعها فهي كالتالي خمس حبات من التمر الصغير مع ملعقة عسل صغيرة عفواً إنه ليس عسلاً إنه سكر محروق في علبة صغيرة جداً حبة فاكهة واحدة، كمية من الأرز كمية خضار قليلة مع قطع سمك صغيرة قطعتين صغيرتين من الخبز، هذه الكمية قليلة جداً بالنسبة لرجل سجين وصائم، وقد قمت مرة بتقدير كمية الأرز والسمك والخضار التي تصرف للسجين فوضعتها كلها في كأس بلاستيكي صغير فوسعتها دون زيادة.

وقد عانى الكثير من السجناء من الجوع لقلة الطعام، ويدلك على هذا حالة السجناء الجسمية، حيث يوجد ضعف جسمي ونحول الأعضاء، الوجه واليدين وغيرها عند معظم المعتقلين، وأي زائر للسجن يلاحظ البنية الجسمية النحيلة والضعيفة لكثير من السجناء، إنني أكاد أحصر الوجبات التي كانت تشبع السجين وأقوم بعدها عداً طيلة بقائي في السجن لكانت مرات قليلة بالنسبة لأيام السجن الطويلة، ويمكن أن أضع نسبة تقريبية لهذه الوجبات المشبعة، فلا أبالغ إن قلت إنها ٥٪ أي من كل مائة وجبة خمس وجبات، ومتى تكون هذه الوجبات المشبعة؟ إنها تكون عندما يأتي حارس إلى العنبر الذي نسكنه، ويقدم الطعام للسجناء، وتكون عنده وجبات زائدة عن عدد السجناء، ولديه إنسانية أو في قلبه شيء من

الشفقة لهؤلاء المعتقلين، والوجبات الزائدة تكون بسبب خلو بعض الغرف من أصحابها فنطلب منه أن يوزع على المساجين ما زاد عنده من الطعام لمن يريد أفضل من أن يلقي الطعام الزائد في سلة المهملات -الزبالة-، أو أفضل من أن يرجعها إلى المطبخ الذي سيتخلص منها بأي طريقة، لأن المطبخ لن يعيدها مرة ثانية ويقدمها للمعتقلين، هذا إن كان الحارس كما قلنا عنده شيء من الإنسانية كما يسمونها هم، بالإضافة إلى أن هذا الحارس يقوم بهذا الأمر وهو توزيع الطعام الزائد مع مخالفة القانون، لأن الحارس يقول بأن القانون يقول إنه لا يسمح للمعتقل إلا وجبة واحدة فقط وبعض الحرس يمكن أن يعطيك وجبة زائدة ثانية لكن بعد استئذان مسؤول العنبر، حتى لا يكتب عنه المسؤول تقريراً إلى إدارة السجن أنه يصرف طعاماً زائداً للمعتقلين، وأنه يخالف قانون السجن، أو قانون الجيش، فيضعون عليه عقوبة شديدة، وقد سمعت أن في قاعدة جوانتانامو -كوبا- سجن خاص للجيش، يسجن فيه من يستحق العقوبة منهم.

بعض الحرس لا يتعب نفسه بسؤال مسؤوله ولا بتقديم وجبة طعام زائدة للمعتقل، يقول لك القانون لا يسمح بصرف الطعام الزائد ويستريح منك، ثم يمضي لحالة، وللحق إن قسماً منهم وهم قليل يعطيك وجبة زائدة لكن خفية من مسؤوله مع علمه أن هذا العمل يخالف القانون، وعندما تتكلم مع هذا الصنف من الحرس يقتنع بما تقوله له بأن كمية الطعام التي يقدمها السجن لكل معتقل لا تكفي، فيعطيك إن كان معه طعام زائد وهنالك حالة أخرى يمكن أن يحصل فيها السجين على وجبة زائدة وهي فيما إذا كان أحد جيرانك في العنبر، عن يمينك أو عن يسارك صائم أو لا يريد أكل الطعام كله أو بعضه بسبب صيام أو غيره، فهؤلاء يأخذون وجباتهم من الحرس ويهربونها لجيرانهم عن طريق الشبك بينهم، ملعقة ملعقة والخبز والفاكهة يقطعونها قطعاً صغيرة ويدخلونها من خلال الشبك، أما السوائل كالشاي والحليب فيصنعون خرطوم أو أنبوب من الورق أو من البلاستيك من أكواب الشاي والحليب البلاستيكية وينقلون هذه السوائل بواسطة

هذه الأنابيب من خلال الشبك ولكن دون أن يراهم الحرس لأن القانون يقول يمنع تقديم أو تهريب الطعام للغير حتى ولو لا تريد هذا الطعام عليك أن ترجع الوجبة للحرس ليلقيها في الزبالة ولا يسمح له أن يعطيها لغيره، وبعض الصائمين لا يريد أن يتعب نفسه بتصريف الطعام وإدخاله في الشبك لغيره ولا يريد أن يقع تحت المسؤولية والعقاب، لأنه يخشى أن يراه الحرس أثناء عملية التهريب للجيران، هذا إن كان صيام هؤلاء المعتقلين دون إخبار إدارة السجن بصيامهم، فهؤلاء تقدم لهم الوجبات على ظن أنهم مفطرون، فيأخذون الطعام ويعطونه لغيرهم، إما أن كان صيامهم عن طريق إدارة السجن ففي هذه الحالة لا تقدم لهم إدارة السجن إلا وجبة السحور ووجبة الإفطار (العشاء) ولا تقدم لهم وجبة الغداء.

في كل يوم جمعة يأتي الحارس معه قائمة يسجل فيها (أرقام غرف) من يريد الصيام، وترفع هذه القوائم لإدارة السجن، وتنزل أسماؤهم في الكمبيوتر للأسبوع القادم، لأن كل عنبر فيه كمبيوتر فيه أرقام السجناء، وأرقام غرفهم وفيه كل الملاحظات الإيجابية أو السلبية لكل سجين، وفي ليلة الإثنين وليلة الخميس يأتي الحارس ويقدم لكل صائم وجبة السحور، وجبة جاهزة تقدم الكلام عليها يسمونها وجبة عسكرية لمدة ثلاثين دقيقة، ويوم الاثنين والخميس لا يقدم لك وجبة فطور ولا غداء، لكن يقدم لك وجبة عشاء كبقية السجناء، بعض الصائمين ربما يطالب وجبة فطور أو غداء من الحارس مع أنه صائم لكن لا ليأكلها بل ليعطيها لجيرانه المفطرين أو يحتفظوا بها إلى وقت العشاء، لكن كثيراً ما يرفض الحارس ذلك لأن معه قائمة فيها (أرقام) الصائمين، والتسجيل للصيام ليس ليوم الاثنين والخميس من كل اسبوع فقط، بل لكل مناسبة فيها صيام عند المسلمين مثل العشر الأوائل من ذي الحجة أو صوم يوم عاشوراء وهكذا.

في بداية رمضان ٢٠٠٢ م طلبوني للتحقيق وذهبت كالعادة مقيد بالسلاسل،دخلت الغرفة، بعد دقائق جاء المحقق لكنه محقق جديد، عرفني

باسمه ولا أدري إن كان هذا الاسم هو اسمه الصحيح أو اسم مستعار والرأي الثاني أرجح، لأنك تجد أكثر من محقق لهم نفس الإسم وهذا في أغلب الأحيان، لكن ربما يكون الاسم صحيحاً، بدأ هذا المحقق معي عن سيرتي الذاتية باختصار وفتح معي أسئلة وموضوعات سبقه بها محقق آخر قبله كان المحقق الأول قد سألني عنها بدون توسع، لكن المحقق الجديد، بحثها معي بتوسع كان بيني وبينه مترجم، سألني عن أشخاص في بيشاور، بعضهم ترك باكستان وبعضهم لا يزال فيها يعمل في مؤسسات إغاثية وإنسانية سألني عن أسمائهم ومكان عملهم ونوع العمل، وهل يدخلون إلى أفغانستان أم أن عملهم في باكستان بين المهاجرين وهل تعتقد أن المال الذي بيد هذه المؤسسات كاف أو يزيد عن حاجتها وإن زاد عن حاجتها هل يمكن أن يقدموه للجهاد، أو المقاتلين في أفغانستان، ومن هي هذه الجهة التي يقدم لها المال وأين مكانها، وكم في تقديرك هذا المال المتوفر، وهل هو دوري أو سنوي، أو نادراً، سألني عن أسماء أولاد هؤلاء العاملين في المؤسسات، الذكور والإناث، إن كانوا صغاراً أين يدرسون وإن كانوا كباراً أين يعملون، كيف تعرفت على هؤلاء الأشخاص وأين التقيت بهم، سألني عن زوجات هؤلاء من أين هذه الزوجة وما اسمها وهل هي متعلمة وتعمل أم لا؟

سألني عن رواتب هؤلاء العاملين وهل هي كافية لهم أم غير كافية هل يوفرون منها أم لا، وإن كانت غير كافية هل لهم طرق أخرى يسدون بها نقص حاجياتهم، وإن كانت كافية يوفرون منها هل تعتقد أنهم يقدمونها أو يتبرعون بها إلى جهات، وما اسم هذه الجهات، وأين هي، هؤلاء العاملين في باكستان الآن سألني عن طولهم وعرضهم ولونهم، علامات فارقة لكل واحد منهم إن وجدت هل اللحية طويلة أم قصيرة بيضاء أم سوداء، شعر الرأس، لونه وطوله، يلبس على رأسه عادة أم لا يلبس وإن كان يلبس هل يلبس طاقية أم غتره أم. . . شيء آخر، ومن خرج من هؤلاء الأشخاص من باكستان، متى خرج، وكيف خرج، ولماذا خرج، ومن ساعده في الخروج إن كان فقيراً، وأين ذهب بعد خروجه، وهل كان هؤلاء يقيمون

في باكستان بطريقة شرعية ورسمية أم كانوا مخالفين لقوانين البلد؟ كنت صادقاً في إجابتي له عن هذه الأسئلة وكان هادئاً وهذا الهدوء يتناسب مع عمره لأني شاهدت الشيب في رأسه، فقدرت أنه في العقد السادس من عمره، لكنه أحرجني في سؤاله عن أسماء زوجات هؤلاء الناس أو صلة القرابة بين الرجل وزوجته، قلت له عندنا في الإسلام أو عند الملتزمين من المسلمين، يرون أنه من العيب أن يعرف الناس اسم زوجته أو بناته، مع أن هذا الأمر غير حرام في الدين، وأسماء زوجات الرسول ﷺ، وأسماء بناته، وأسماء زوجات كثير من الصحابة وبناتهم رضي الله عنهم أجمعين معروفة ومشهورة في كتب التفسير والفقه والحديث والتاريخ وغيرها، وكذلك أسماء زوجات التابعين وتابعيهم ومن بعدهم حتى الآن ولما كنت اعتذر له عن معرفة أسماء النساء، كان يتقبل هذا الأمر بهدوء ويبتسم. أما عن طريقة معرفتي بهؤلاء العرب الذين كانو في باكستان، سواء الذين كانوا يقيمون فيها أثناء وجودي هناك، وقبل اعتقالي في ٢٠٠٢/٥/٢٥م، أو الذين خرجوا منها فقلت له، إن مكان سكني في حياة أباد بيشاور منعزل عن العرب، وبعيد عن تجمعاتهم، ولا يوجد حولي أي أخ عربي، ولا يصلي في مسجد الحي الذي أسكنه أي عربي غيري وغير أولادي، وأنا طبيعتي وعادتي أنني لا أحب أن أذهب إلى تجمعات العرب أو مهرجاناتهم أو محاضراتهم، وأحب أن أعيش منعزلاً ومنفرداً عن الناس، وزياراتي للعرب في بيشاور شكاد تكون معدومة، إلا من زيارة بعض الأرحام والأقارب، حتى الذين يشتركون معي في العمل لا أذكر أني زرت بعضهم أبداً طيلة فترة العمل التي استمرت سنوات، وبعضهم ما زرته إلا في مناسبة العيد أو مناسبة عقيقة أو مولود أو نحو ذلك، وأماكن معرفتي بهؤلاء الناس كان في يوم الجمعة، بعد صلاة الجمعة أو في أيام العيد بعد صلاة العيد أو أثناء زيارات العيد البيتية، والبعض الآخر نلتقي به في الأفراح والأعراس أو المآتم عند موت أحد العرب، أو ربما عرفت بعضهم بحكم وجودي في معهد الأنصار العلمي، يأتي بعضهم وهم أولياء طلاب في المدرسة، للسؤال والاستفسار عن أحوال أولادهم

الدراسية أو لدفع أقساط أولادهم الشهرية، أو لأي مناسبة أخرى تقيمها المدرسة لكنه قال في نهاية الجلسة أشكرك على هذه الإجابات، إن كان لديك أي سؤال أو طلب تفضل به؟ قلت لا يوجد عندي أي سؤال ولا أي طلب.

قال: إن كنت تريد أن تقرأ من هذه المجلات والجرائد الموجودة على الطاولة فلا مانع ؟ قلت لا أستطيع أن أقرأ إلا بنظارتي، وقد نسيتها في الغرفة سأحضرها في المرة القادمة لأتمكن من القراءة، لكن سأحاول أن أقرأ بدون نظارة مهما استطعت، قال إقرأ حتى يأتي الحرس لإرجاعك إلى غرفتك، ثم أنصرف كانت هناك عشر دقائق قرأت فيها، لكن المجلات والجرائد كانت قديمة وأخبارها لا تهمني من قريب ولا من بعيد وأكثرها يصدر من خارج العالم العربي. حضر الحرس وأرجعوني إلى الزنزانة، مضى أسبوعان تقريباً، وجاء الحرس وقالوا تحقيق، قلت حاضر تم التقييد بالسلاسل بالأيدي والأرجل والوسط، وأحب إن أذكر هنا أن إدارة السجن بدأت بتغيير طريقة تقييد السجين وقامت بفتح نافذة صغيرة أخرى في أسفل باب الزنزانة ليتم تقييد الرجلين من هذه النافذة والسجين واقف، وقد سمعت من بعضهم أن هذا الأمر الجديد حفاظاً على الحراس، حتى لا يقوم أحد المعتقلين بضرب الحارس مثلاً أثناء تقييده، لأن طريقة التقييد القديمة يمكن للسجين أثناء تقييده أو فكه أن يضرب الحارس، هذا من جهة ومن جهة أخرى حتى تكون طريقة التقييد الجديدة أكثر أماناً وضبطاً للسجين، لقد سبق الكلام عن طريقة التقييد القديمة وذلك عندما تكلمنا عن السجن الانفرادي في الأسبوع الأول من وصولنا إلى كوبا، وعندما تكلمنا عن الخروج للمشي والحمام في تلك الفترة، أما الطريقة الجديدة وإن كانت إدارة السجن قد غيرتها للجوانب الإيجابية والأمنية التي تعود عليها وعلى الحرس، فإنها أكثر راحة وأقل تعباً من الطريقة القديمة، كما أنها أحسن وأفضل من الناحية النفسية للسجين، لأنه ليس فيها جلوس على الركب على الأرض، وليس فيها وضع اليدين خلف الرأس، كلما أرادوا أن يخرجوك من الزنزانة لأي سبب من الأسباب أو عندما يرجعوك إليها.

الآن وقف الحارسان بباب الزنزانة ينتظرانك للاستعداد لتقييدك، ثم إلى التحقيق وبيان ذلك كالتالي: تقف على باب الزنزانة من الداخل ملتصقاً بالباب ووجهك نحو الحارسان، تمد يداك من نافذة الباب للحارسين، يقيدان يداك ثم تستدير لهما، وظهرك، ملتصق بالباب من الداخل، أحدهم يمسك السلسلة التي يربط فيها لأنها كلها قطعة واحدة متصلة ببعضها البعض والحارس الآخر يقوم بربط وسطك بالسلسلة وقفل السلسلة بقفل حديدي من جهة ظهرك، أنت الآن مقيد اليدان ويداك مشدودتان من الأمام على خاصرتك لا تستطيع رفعهما أو خفضهما إلا قليلاً، يقوم الحارس الذي قيد يداك وخصرك بإنزال طرف السلسلة إلى الأسفل نحو قدميك، ويفتح النافذة السفلى يمد يداه ويربط قدميك من الكعبين ويغلق النافذة أما الحارس الآخر فلا يزال يمسك بالسلسلة التي تحيط بخصرك لا يفلتها من يده، يقوم الحارس بفتح باب الزنزانة حتى تخرج، يمسك بك الحارسان الأول والثاني أحدهم عن يمينك والآخر عن يسارك، الآن عملية التفتيش تفتيش جسماني دقيق، وهز وتحريك لملابسك حتى لا يكون فيها أي شيء عالق تفتيش الشعر والرأس واللحية، تفتيش الحذاء -الشبشب- الذي تلبسه طي الحذاء والتدقيق فيه، وهذا التفتيش إما أن يكون داخل الزنزانة ووجهك نحو جدارها، وإما أن يكون التفتيش على باب الزنزانة من الخارج، في الكرادور- البهو- الذي يوجد على طول العنبر بين غرف العنبر - كل حارس يفتش الجهة التي يوجد فيها، تمشي بينهما، وكل حارس إحدى يديه على كتفك واليد الثانية يمسك بالسلسلة التي تحيط بوسطك، وصلنا إلى باب غرفة التحقيق أحد الحراس مسؤول عن الآخر، والمسؤول عادة هو الذي يحمل جهاز الاتصال، قبل دخول غرفة التحقيق، يتصل الحارس المسؤول بالمحقق لقد وصل السجين إلى باب غرفة التحقيق نحن نسمع الكلام يكون الجواب كما هو ظاهر من الكلام إما أن تدخل مباشرة وإما أن تنتظر قليلاً على الباب، وهذا الاتصال يقوم به هذا الحارس عندما يأخذك من الغرفة، وعندما تعود إليها، وهذا يكون في كل مرة أذهب فيها إلى التحقيق أو يذهب بها كل سجين.

تدخـل غرفة التحقيق أحد الحارسين يفك يداك يـداً يداً، اليد الأولى يفكها ثـم يضعها لك علـى رأسك ويمسك بك الحارس الآخر بإحـدى يديه على منكبك والثانية على يدك التي توجد على رأسك، يفك لك الحارس اليد الثانية ويضعها لك علـى رأسك فوق يدك الأولى، لكن ممنـوع رفعها عن رأسك، يقوم الحارس بربط السلسلـة التي تصـل بين قدميك بحلقة مثبتـة في الأرض، يبتعـد الآن الحارسان عنـك قليلاً الآن بإمكانك إنزال يداك عن رأسك لأن الحارسان الآن في أمان أنت الآن لا تستطيع أن تقوم بعيداً عن كرسيك بسبب تقييدك بالحلقة المثبتة بالأرض، دقائـق ويأتـي المحقق، وبعض المحققـين تجده ينتظرك لكن بعضـ المحققين ربما يتعـب السجين نفسياً وعصبياً، قد يتركه ينتظـر على الكرسي في غرفة التحقيق، ساعـات طويلـة دون أن يحضر إلى غرفة التحقيق وربمـا يفتح عليه المكيف البارد لساعات طويلة، ثـم يتصل هذا المحقق بالحرس ليرجعوا السجين إلى غرفته، قد يكرر هذا مرات.

دخلـت إلى غرفة التحقيق بعد ٥-١٠ دقائق حضـر المحقق، فإذا هو صاحب الجلسـة الماضية لكـن المترجم جديد، بدأ يعيد علي أسئلـة الجلسة الماضية ليرى هل عندي شيء جديد أضيفه زيادة على ما قلته بالأمس، غلب علي ظني انه يريد أن يتأكـد اليوم عما قلته في الجلسة الماضية وأن ما سمعه مني صحيح، وأني ثابت علـى أقـوالي، لكنه اليوم أضاف أسئلة جديدة، منهـا باعتبارك قريب للشيخ عبد الله عزام من قتل الشيخ عبد الله عزام؟ الجواب، لا أدري، هل هنـاك جهة متهمة بالتآمـر على قتله، أيضاً لا أدري، هل له أعداء يمكن أن يكونوا وراء قتله؟ أيضا لا أدري، ثـم قلت له أنتم مخابرات قوية مترامية الأطراف وفي كل الأرض- يمكنكم أن تعرفـوا وإن لم تعرفـوا وأردتم أن تعرفـوا، فيمكنكـم أن تعرفـوا وتخبروا أهله بالمتورطـين في قتله ثم طرح سؤالاً آخر عن مكتـب الخدمات، وهل لا يزال موجود له نشاط ودور يمكن أن توجه إليه أصابع الاتهام في المشاركة في الأحداث الأخيرة في واشنطـن ونيويورك؟ قلت له لقد انتهى مكتب الخدمات وأغلق أبوابه منذ سبع

سنين تقريباً وقامت الحكومة الباكستانية باعتقال رئيسه ثم تسفيره إلى خارج باكستان قال في ظنك أين ذهب ؟ قلت سمعت أنه ذهب إلى السعودية.

ولما انتهى المكتب من باكستان وسافر إلى السعودية لم يعد له أي وجود أو نشاط لا في باكستان ولا في غير باكستان. أظن أنه اقتنع بما سمع، لأن الباكستانيين يعرفون عن مكتب الخدمات وعن المؤسسات الإغاثية في باكستان كل شيء، وأظن أنهم أخبروا الأمريكان بهذه المعلومات إن طلبوا منهم ذلك، لأن هذه المؤسسات مسجلة لدى الحكومة الباكستانية، أما العاملين في هذه المؤسسات فإنهم يحملون إقامات رسمية من الحكومة الباكستانية أيضاً.

قال هل تعرف عبد الله أنس؟ قلت نعم إنه صهر الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، قال أين هو؟ قلت هو في بريطانيا- لندن قال ماذا يفعل هناك؟ قلت إن علاقته بالحكومة الجزائرية غير جيدة، وهرب من باكستان منذ عشر سنين إلى لندن قال تقول الأخبار أو سمعت أنه قتل في لندن، قلت له رحمه الله، ماذا سأفعل له، قال هل ذهبت إلى معسكرات التدريب.

قلت :لا، قال: سمعت أنك ذهبت إلى معسكر صدى.

قلت له: ذهبت له في مخيم صيفي لمدة أسبوع مع الطلاب الذين كنت أدرسهم وليس للتدريب، لقد كان معسكراً صيفياً معسكر رياضي تربوي مع طلاب وأساتذة المعهد الذي كنت أعمل فيه، كان فيه تدريبات رياضية، تسلق للجبال محاضرات ثقافية، ليس في هذا المخيم تدريب على أي نوع من أنواع السلاح أو المتفجرات، وطلاب المعهد الذي كنت أعمل فيه من أفغانستان، لو أرادوا التدريب فيوجد عندهم أحزابهم وتنظيماتهم الجهادية عندهم جبهات للقتال والجهاد في أفغانستان، عندهم مدنهم وقراهم فيها ما يريدونه من التدريب والسلاح. قال المحقق: اليوم يكفي وإذا احتجناك سوف نستدعيك فيما بعد.

نظـرت إلى طاولة عن يميني فإذا عليها مجـلات وجرائد قلت له: أتسمح أن أقرأ قال لا بأس، إن أردت، بدأت أقرأ لكنها قديمة وموضوعاتها لا تهمني ولا تتكلم عن المشكلة التي نحن فيها، لكن لأن السجن لا توجد فيه أي وسيلة إعلامية، ويعيش السجين في جزيرة مغلقة فإن أي خبر أو موضوع جديد يثير انتباهه، تصفحت منها ما استطعت قبل حضور الحرس لإرجاعي إلى الزنزانة، جاء الحرس ورجعت.

مـرت فترة طويلة دون أن يطلبني أحد للتحقيق، لكنه بعد ثلاثة أشهر ونصف تقريباً جاء الحرس وقالوا أنت مطلوب للتحقيق، قلت: جاهز، بدأت أعمال التقييد بالسلاسـل والتفتيش الجسماني، ثم سرت مع الحرس إلى غرفة التحقيق وجدت المحقق جالس وهذا المحقق نفسه يجلس معي الآن الجلسة الثالثة على التوالي، أما المترجـم فهـو جديد، قال لي المحقق هـل تعرف فلان ذكر لي اسمـه لكنني نسيت اسمـه قلت لا أعرفه قال هذا شخص من تنظيم القاعـدة القينا القبض عليه قبل مدة قصيرة إنه شخص كبير وخطير. قلت يمكن كما تقول لكن لا أعرفه ولا اسمع به، بدأ يسألني عن العراق وعن صدام حسين وكانت هنالك أخبار يتناقلها السجناء لا أعلـم مـدى صحتها تقول بأن النظام العراقي بقيادة صدام حسين قد سقط بيد الأمريكان وأن القوات الأمريكية دخلت العراق، قال ما رأيك في صدام حسين؟

قلت: إنه رجل طاغية، ظلم شعبه وأنزل بهم أشد أنواع العذاب والتنكيل كمم الأفـواه صادر الحريات جعل العراق لـه ولعائلته هكذا يقول أهل العراق عنه، أباد بأسلحتـه الكيماوية قسماً من شعبه لا ذنب لهم، غزا بجيشه الجرار دولة مجاورة صغـيرة لا تستطيع أن تدفع عن نفسها جيش صـدام ولا جيشاً أضعف وأصغر من جيش صدام، أوقع بهذه الجارة خسائر كبيرة، سمعنا أنه نهب خيراتها أثناء الغزو أحـرق قسمـاً من بترولها، أشعـل حرباً مع جيرانه على الجانـب الآخر (الغربي) مـن العـراق عشر سنين سقطـت في هذه الحـرب الآلاف بل عشـرات الآلاف من القتلـى والجرحى من الطرفين التكاليف بعشرات المليـارات من الجانبين وأخيراً

انتهت الحرب بينهما دون تحقيق أي مكسب لأي أحد منهما إذا الخسائر البشرية والمادية بينهما باهظة جداً هذا هو صدام حسين فلو ذهب من سيأسف عليه لكن هناك سؤال مهم من هو الذي يخلف صدام حسين؟ نخشى أن يكون أظلم منه عندها سيقول الناس الله يرحم صدام. ثم انتقل إلى سؤال آخر وسألني عن الأخوان المسلمين، وهو كلن يظن أنني منهم وأنا لا أدري ما الذي جعله يظن أنني من الإخوان المسلمين.

قلت: إنك تظن أنني من الإخوان المسلمين، أنا لست منهم، قال هم الآن دخلوا في برلمان وحكومات بعض الدول العربية، قلت: سمعت أنهم دخلوا في البرلمان المصري والأردني قال: هم الآن يعملون في الأعمال السياسية قلت نعم لهم نشاطات تربوية في المدارس والجامعات والمعاهد والمساجد ودور القرآن الكريم بالإضافة إلى العمل السياسي والبرلماني، قال هل لهم في الأردن مكتب أو مركز؟ قلت أذكر منذ عشرين سنة أنه كان لهم مكتب في عمان بل سمعت أن لهم في كل مدينة مكتب أو مركز وهم الآن حزب سياسي مرخص من قبل الحكومة الأردنية، وعلاقتهم مع الحكومة الأردنية طيبة.

قال: لو أنني جئت إلى الأردن وزرتك هل تستقبلني في بيتك ؟ قلت له نعم قال سؤال أخير عن المدرسة التي كنت تعمل فيها: هل خلفها مؤسسة أو جهة تدعمها مالياً؟ قلت له إن هذه المدرسة تتبع المعاهد الموجودة في الجمهورية العربية اليمنية وتشرف عليها مباشرة السفارة اليمنية في إسلام أباد، توقع الأوراق والشهادات الصادرة عنها وأي تعليمات أو توصيات تصل إلينا من اليمن، تكون من خلال السفارة اليمنية في إسلام أباد، لكن اليمن، أو سفارة اليمن، في إسلام أباد لا تقدم لنا أي دعم مالي، لا يصل إلينا من اليمن إلا الكتب المدرسية فقط أما تمويل المدرسة المالي، فمن المحسنين والمتبرعين ومن الأقساط الشهرية الطلابية. انتهت الجلسة وانصرفت راجعاً إلى غرفتي مع الحرس، بعد هذه الجلسة مكثت

حـوالي عشرة أشهر لا أذهب فيها إلى التحقيـق حوالي ثلاثمائة يوم سنة تقريباً، كنـت خـلال هذه الفترة أتنقـل بين العنابر، وهـذا الانتقـال كان بسبب ترميمات وتصليحـات تقـوم بهـا إدارة السجن للعنابـر، ترميم الألوان - الدهـان- إجراء تغيـيرات في غـرف السجـن تقتضيها الظروف، كانـت الإضاءة وسـط العنبر في الكرادور- البهـو- أصبحت الإضاءة المصابيـح الكهربائية بعد الترميم في داخل الغـرف، السـريـر كان مرتفعا أكثر من مـتر عن الأرض فأصبـح الآن يرتفع من ٣٠-٤٠ سم تقريباً، وينزل منه لوح حديدي إلى الأرض يغلق الفراغ الموجود تحته، كان لـون العنـبر من الداخل كله أخضر الجدران مـن الداخل والخارج والممر بين الغرف داخل العنبر كله أخضر، وهذا كان يؤذي العينين ويؤثر على النظر فيما لو نظـرت من خـلال الشبوك عن يمينك أو عن يسارك أمامك أو خلفك أصبح اللون الجديـد أكثر راحة للعينين عندما تنظـر عبر الشبوك أصبح اللون الجديد للعنبر كالتالي. من الداخل من جميع الجهات من الأرض حتى ارتفاع متر ونصف أخضر ثـم من ارتفاع متر ونصف وحتى مترين ونصف باللون الأسود ومن مسافة مترين ونصـف وحتى سقـف الغرفة باللون الأخضـر، أما السرير فقد نـزل من الارتفاع القـديم إلى هـذا الارتفـاع الجديـد لأن السرير في حالـة الارتفـاع كان يستعمله المسجونـون للضرب والإزعاج الشديد فيحدث أصواتاً مرتفعة جداً خاصة إذا كان الضرب بشكل جماعي، وهذا يفعله المسجونون عندما كانوا يطالبون إدارة السجن بأمور ومتطلبات وترفضها إدارة السجن، أو كان عند المساجين مشكلة يريدون أن يحضر المسؤول عندهم فيرفض الحضور أو يتأخر، فيضربون على الأسرة فتحدث أصواتاً عالية مما يضطر الإدارة إلى تلبية مطالبهم، أو التفاهم مع السجناء، لكن الضرب على الأسرة كثيراً ما يؤدي إلى فرض عقوبات على المساجين، بسحب بعض حاجاتهم وأغراضهم، أو بنقلهم من عنبرهم إلى عنبر آخر.

المعسكر الرابع

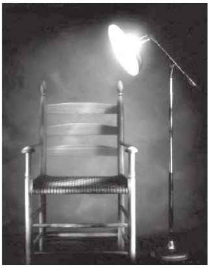

وفي هذه الفترة التي انقطع عني فيها التحقيق، أقامت إدارة السجن سجناً جديداً يسمى المعسكر الرابع (Camp4) هذا المعسكر يختلف عن العنابر التي يعيش فيها بقية السجناء هذا المعسكر يبتعد قليلاً عن السجن القديم ومعزول

عنه مكون من ٤-٥ تجمعات متقاربة، كل مجموعة فيها ٣-٤ غرف كبيرة، ولها ساحة كبيرة أمام هذه الغرف، يحيط بهذه الساحة جدار حديدي مشبك وكل غرفة من الغرف تتسع إلى ١٠-١٢ سجين، الغرفة، كبيرة وأسرتها مثبته بجدران الغرفة، الأسرة في أطراف الغرفة أما وسط الغرفة فارغ لا يوجد فيه شيء، الغرفة مراقبة بكمرات وشاشات تلفزيونية، إن هذا يعني أن أي حركة في داخل الغرفة تظهر على شاشات التلفزيون أمام المراقب، وفي داخل كل غرفة حمام لقضاء الحاجة وخارج الغرفة بل وخارج التجمع الذي يضم ٣-٤ غرف، يوجد حمامات إغتسال كثيرة لجميع السجناء، هذا المعسكر الجديد، الذي اسمه المعسكر الرابع (Camp4) له نظام خاص يختلف عن النظام في السجن القديم دلتا:

أولا : اللباس في هذا المعسكر يختلف عن اللباس الموجود في السجن القديم، اللباس هنا أبيض، البنطلون والقميص أما الحذاء فيوجد مع كل واحد حذاء خفيف- شبشب، بالإضافة إلى حذاء رياضي- بوت-.

ثانيا: الحزام هنا لا يوجد سلاسل حديدية مثل السجن القديم دلتا، هنا حزام قماشي على الوسط بالإضافة إلى حلقتين لليدين متصلة مع الحزام، من الأمام جهة البطن ولا يوجد تقييد للرجلين.

ثالثا: الطعام: كمية الطعام التي تعطى هنا للسجين أكثر من كمية الطعام التي تعطى للسجين في السجن دلتا.

بالإضافة إلى بعض الأنواع الأخرى مثل قطعة كيك أسبوعياً لكل سجين، كمية الطعام هنا تعطى لكل غرفة في صناديق وأوعية، وكل غرفة لها أمير يستلم الطعام من الحرس، ويقوم السجناء بتوزيعه على أنفسهم دون تدخل من الحرس، بخلاف العنابر القديمة فإن الحرس هم الذين يوزعون الطعام على السجناء أيضاً في هذا العنبر يمكن للسجناء أن يأكلوا مجتمعين إذا أرادوا، بخلاف السجن القديم لا يمكنهم ذلك.

رابعاً: الحرس هنا قلما يدخلون إلى غرف هذا السجن، نادراً وعند التفتيش، أو عند تسلم أو تسليم الملابس أو الطعام.

يوجد حارس واحد على باب السجن، فالسجين هنا يشعر بنوع من الحرية ورفع القيود عنه، بخلاف السجن القديم، يمكن للسجناء هنا أن يصلوا جماعة كجماعة المسجد، صفاً أو صفوفاً متصلة لكن يستحيل هذا في السجن القديم، في هذا السجن يخرج السجناء خارج غرفهم ثلاث مرات للطعام [الفطور والغداء والعشاء] كل مرة نصف ساعة وقد تزيد قليلاً، ويخرجون للرياضة أو الحمام والإغتسال يومياً إذا أرادوا ويمكن أن يلتقي سجناء غرف كل مجموعة ثلاثة أو أربع غرف في ساحة مجموعتهم فيجتمع مثلاً ٢٠-٣٠ سجين في الساحة يومياً

قالت إدارة السجن إن من يذهب إلى هذا المعسكر سيقيم فيه قليلاً ثم يسافر إلى بلده، وبالفعل طبق هذا النظام قليلاً في البداية لكن تبين فيما بعد أنه ليس كل من يذهب إلى هذا المعسكر قد انتهى تحقيقه وسيسافر إلى بلده، لأن إدارة السجن والمحققين بدءوا يرجعون كثيراً من السجناء من المعسكر الجديد إلى العنابر القديمة، إما بطلب من السجناء أنفسهم، أو بسبب التحقيق، لأن السجناء مثلاً رفضوا الكلام في التحقيق أو أعطوا معلومات غير صحيحة وسمعت أن

بعضهم أرجعوه بدون أي سبب وبعض الذين رجعوا من هذا المعسكر قالوا وحللوا بأن هذا المعسكر الجديد أصبح مصيدة أو وسيلة ضغط على السجناء، إما أن تقدم لنا ما نريد أو نرجعك من هذا المعسكر الذي توجد فيه مميزات وخصائص لا توجد في السجن القديم، هذا الشرط لم يتكلم به أو يشترطه أحد من المحققين على السجناء لكن هذا كان لسان الحال، وليس لسان المقال لكن كل ما كان يجري في هذا السجن يدل على هذا الشرط يقول قدم لنا كذا نعطيك كذا هذا الشرط لم يكن لجميع السجناء بل لبعضهم.

المعسكر الجديد ليس فيه جنسية واحدة، بل فيه من جميع الجنسيات من العرب والعجم.

لقد ظنت إدارة السجن، أن السجين إذا تعود على نمط وشكل من الحياة في المعسكر الجديد، من حيث الأكل أو حرية الخروج خارج الغرفة أو الرياضة والاستحمام اليومي أو... إن تعود على هذه الامتيازات، والتوسع في الحياة الجديدة، ربما لا يستطيع أن يترك هذه الحياة فيما لو طلبوا منه ذلك، وسيقدم تنازلات ويضعف أمام الضغط الجديد من أجل أن يبقى في هذه الحياة الجديدة.

وهذا الضغط أو المساومة لم تكن لكل السجناء في المعسكر الجديد بل لبعضهم، ولقد سمعت أن بعض السجناء الذين رجعوا من المعسكر الجديد إلى المعسكر القديم، تأثرت نفسياتهم وظهر عليهم الحزن وعلامة عدم الرضا لما حصل لهم، وبعضهم كان الأمر عليه طبيعياً وقال ما دام أنه كله سجن، فلا نأسف إن أرجعونا من المعسكر الجديد إلى المعسكر القديم، لكن بعض السجناء كان عنده إيثار لإخوانه السجناء ورفض أن يعيش في المعسكر الجديد (الرابع) صاحب الامتيازات، دون إخوانه الآخرين وقال أعيش كما يعيش بقية إخواني السجناء ولا أتميز عليهم بطعام أو لباس أو.... وهذا الإيثار ورفض التميز عن الآخرين، شاهدناه في حالات كثيرة، منها: أن إدارة السجن قدمت في مرتين طعاماً متميزاً

لحماً مشوياً وعصيراً ... طعام غير الطعام المعتاد الذي يقدم لكافة السجناء، فرفض الكثير من السجناء أكل هذا الطعام وقالوا لا نأكله وحدنا دون كافة إخواننا السجناء خاصة أن هذا النوع من الطعام قدموه لعنبر أو عنبرين، وكانت أجهزة التصوير والكمرات تصور هذا المشهد، على غير المعتاد من وجبات الطعام الأخرى فكأن هذا المشهد، فلماً تريد إدارة السجن تسويقه ونشره في الخارج، بأن هذا هو الطعام الذي يقدم للسجناء في معسكر جوانتناموا إنه طعام من أجل الإعلام وليس في الحقيقة الطعام الذي يقدم دائماً، شاهدنا هذا الإيثار عندما كان يكون هناك عقوبات لبعض السجناء، وتسحب منهم بعض الأغراض فإن بعض السجناء غير المعاقبين كانوا يصرون ويؤكدون أن يكونوا متساوين مع المعاقبين فيرجعون إلى الحرس ما لديهم من الأغراض التي يتميزون فيها عن إخوانهم المعاقبين وقالوا نعيش بأغراض مثل أغراض إخواننا المعاقبين، ولا نتميز عنهم بأي شيء، والأمثلة في هذا الباب كثيرة.

وفي هذا السجن- الرابع- أصبح هناك عملية فرز في داخل هذا السجن، لمن يريد أن يخرج من السجن ويرجع إلى أهله، وذلك بتخصيص غرفة لمن أنهى كل ما يريده المحققين منه، وظهرت برائته، وأنه يستحق السفر إلى أهله، وهذه الغرفة توجد في كل مجموعة من المجموعات الخمسة في هذا المعسكر تسمى(غرفة المسافرين) من يدخل هذه الغرفة يلبس اللباس الكاكي، وهذا اللباس يعني أن صاحبه على أهبة السفر، والخروج من كوبا إلى وطنه.

درجات السجن

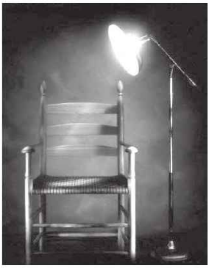

عندما وصلنا إلى قاعدة جوانتنامو في جزيرة كوبا مع بداية الشهر الثامن لعام ٢٠٠٢ م لم يكن هناك درجات في عنابر السجن، واستمرت هذه الحالة لمدة ٥-٦ شهور، لكن يبدوا أن إدارة السجن كما سمعنا، أنها أرادت أن

تصنف السجناء في العنابر حسب التزامهم بقوانين السجن، وبحسب عملهم للمشاكل مع الحرس دون النظر إلى ملفاتهم أوالتهم الموجهة إليهم، فالدرجة التي يكون فيها السجين لا علاقة لها بالتحقيق ولا بنظافة ملفه من التهم والمشاكل الموجهة إليه.

قسمت إدارة السجن العنابر التي يوجد فيها السجناء إلى أربع درجات:

الدرجة الأولى، الدرجة الثانية، الدرجة الثالثة، الدرجة الرابعة، وجعلت عنابر الدرجة الأولى والثانية في جهة واحدة ومجمع واحد بجانب بعضها البعض، وعنابر الدرجة الثالثة والرابعة في مجمع آخر بجانب بعضها البعض.

الدرجة الأولى: يكون في هذه الدرجة السجين الذي لا يعمل مشاكل، سواء مع السجناء أو مع الحرس، أو مع الضيوف والزائرين، ولا يقوم بالاعتداء والتخريب على ممتلكات السجن، سواء الأغراض التي تقدمها له إدارة السجن أو الأغراض التي توجد في الغرفة، وإن كانت الغرفة كلها حديد، لا يجوز للسجين أن يقوم بتخريب أو تكسير ما في الغرفة، وهذه الدرجة يستلم صاحبها فرشة نوم

كبيرة، وقطعة اسفنج يصلي وينام عليها أو يجلس عليها عند الأكل، أو غير الأكل بطانيتين كبيرتين قطعة صابون كبيرة، فرشاة ومعجون أسنان، فانيلا حمراء ناعمة بالإضافة إلى الفانيلا الحمراء التي توجد معه، زجاجة عطر صغيرة أو زجاجتين صغيرتين، مسبحة وطاقية للرأس صغيرة مجموعة من الكتب إسلامية وغير إسلامية حسب الرغبة لكن سحبت الكتب بعد فترة جميعها، يوجد معه كوبان من البلاستيك يشرب فيها ويستعملها في الحمام يشرب بها إن أراد قارورة ماء يملأها ويشرب بها مع غطائها لأن هذا الغطاء سيكون له شأن فيما بعد سداد إسفنجي للأذنين من حقه أن يأخذ ورقة وقلم من الحارس لمدة ساعات ويرجعه وإن أراد يطلبه مرة أخرى يكتب أو يرسم ما يريد من حقه أن يخرج كل يوم إلى مكان المشي والرياضة والمشي نصف ساعة يغتسل يوماً بعد يوم، يحتفظ بالطعام المغلف غير المكشوف ٢٤ ساعة يصرف له شيء من الطعام الزائد أكثر من نصيبه المفروض يكون معه منشفتين وسط ومنشفة صغيرة، عندما يخرج للمشي والرياضة أو الحمام يقيد بالحزام في وسطه مع يديه من جهة الأمام دون تقييد قدميه تخفيفاً عليه، أي لا يقيد بالسلاسل.

الدرجة الثانية: يرجع السجين من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية، إذا قام بعمل مخالفة بسيطة أو خفيفة لقوانين السجن، أو أتلف شيئاً من ممتلكات السجن التي توجد معه، قام بتخزين طعام مفتوح- غير مغلف مثلاً، عندها يرجع السجين إلى الدرجة الثانية لكن يبقى في نفس عنبره الذي يسكن فيه (عنبر الدرجة الأولى) لكن تسحب منه إدارة السجن بعض الأغراض التي معه لمدة (٣) ثلاثة أيام تسحب منه الفرشة الكبيرة وبطانية ومنشفة وسط والمنشفة الصغيرة، وكانوا في بداية الأمر يسحبون المنشفتين من المعاقب، لكن تغير النظام وأصبحوا يأخذون منه منشفة واحدة ويبقون له واحدة، تسحب منه قنينة الماء وكوبا الماء الاثنين ومعجون وفرشاة الأسنان تسحب منه المسبحة والطاقية والعطر والفاين والفانيلا الحمراء الناعمة وسداد الأذن تسحب منه الكتب كاملة، يمنع

عنــه الورق والقلم وبعد ثلاثة أيام تعود للسجين كافة أغراضه التي سحبوها منه، وربما يسأل سائل لماذا ينتقل السجين من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية لمجرد خطــأ، بسيــط، أو مخالفة قليلة ويفقد معظم أغراضه لمــدة ثلاثة أيام؟ فالجواب بــأن السجــين كان في الدرجة الأولى يتمتع بمميزات كثيرة فحتى يحافظ على هذه المميــزات وحتــى لا تسول لــه نفسه أن يقدم علــى عمل أي خطــأ وإن كان قليلاً أو بسيطــاً يفقــد بمقابلة هذا الخطأ، ما معــه من أغراض كأنهم يريــدون أن يقولوا له، كنت تظن أن هذه الأغراض التي سحبت منك لا قيمة لها لكن شعرت بقيمتها عندمــا سحبت منك، إن العقاب أكــبر بكثير من الخطأ، كل هذا من اجل الضبط والحزم والالتزام بالقوانين.

الدرجــة الثالثة: وهــي درجة أفضل من الدرجة الثانية التي قبلها، وهذا من اعجــب العجب، لكن بشــرط أن تكون الدرجة الثالثة بــدون عقوبة، وهذه الدرجة لا يأتــي إليها السجين مــن الدرجة التي قبلها وهي الدرجــة الثانية، لكنه يكون في الدرجــة الرابعــة، اللتي هي اكثر الدرجــات شدة وعقوبة فــإذا انتقل من الدرجة الرابعــة إلى الدرجة الثالثة تعود وترجع إليــه كل أغراض الدرجة الأولى كاملة إلا غطــاء قنينة المــاء لا تعود له ويمكث السجــين في هذه الدرجة وقتاً قليــلاً، يوماً أو يومــين ينقل بعد هذه المــدة القليلة إلى عنابر الدرجة الأولى والثانية التي لا عقوبة فيها، وهي عنابر منفصلة عن عنابر الدرجة الثالثة والرابعة.

الدرجــة الرابعــة: وهــي أشد الدرجــات عقوبة، وهذه الدرجــة لا يأتي إليها السجــين من الدرجــة الثالثة بل يأتي إليها من الدرجــة الأولى والثانية، وذلك إذا قــام السجين بعمل مخالفة كبيرة، مثل رش الحرس بالماء أو البول والغائط أو رش الحرســ بالشاي والحليب، أو قام بالبصق على الحارســ أو شتم الحرس أو تكلم معهم بكلام بذيء أو كسر شيئاً في زنزانته أو أخفى ملعقة الطعام، أو رفض الخروج

مـع الحرس إلى غرف التحقيق، أو رفض الخروج مـن الزنزانة لتفتيشها، أو نحو ذلـك من المخالفات الكبيرة، وهناك حالات ينقل فيهـا السجين إلى الدرجة الرابعة دون أن يعمـل أي مخالفـة وذلك إذا امتنع عن الكلام في التحقيق أو كانت له مشاكل أخـرى مع المحققين فعندها ينقل إلى الدرجة الرابعة بأمر من المحقق، هذه الدرجة عـادة يسبقها الدخـول إلى السجن الانفـرادي المغلق لمدة أسبـوع أو أسبوعين وربما شهـر أو شهـور حسب المخالفة التي عملها السجين لكن مـن كانت عليه عقوبة شهور في السجـن الانفرادي فإنه لا يقضيها كلها متتابعة في هذا السجن بل يخرج في نهاية كل شهـر من السجن الانفرادي إلى العنابر العاديـة الغير مغلقة لمدة أيام، ثم يرجع إلى السجن الانفرادي المغلق وهكذا حتى تنتهي مدة عقوبته في السجن الانفرادي أما التقييد لأصحاب الدرجة الثالثة والرابعة عند الخروج للتحقيق أو المشي والاغتسال، أو... فإنه يكون بالسلاسل، وليس بالحزام مثل الدرجة الأولى والثانية.

الدرجـة الرابعـة: يؤخـذ من السجـين فيها جميـع أغراضه التـي توجد مع السجنـاء في الدرجـة الأولى، ولا يبقـى معـه إلا قطعـة الإسفنـج التـي يصلي أو يجلس وينـام عليها، وبطانية واحدة ومنشفة واحدة، أما ما عدا ذلك من الأغراض فيسحب منه وهذا في الحقيقة أمر صعب على السجين، وتسمى هذه الدرجة درجة رابعة معاقـب ويبقى السجين في هذه الحالة لمدة شهر كامل تحت النظر والمراقبة لا يعمل السجين في هذا الشهر أي مخالفة كبيرة أو خطيرة وبعد مرور هذا الشهر يعـاد له كوب مـاء وصابون صغير ومعجـون وفرشاة أسنان تبقى معـه لمدة شهراً آخـر يكون تحت النظر والمراقبة من الحرس وتسمى هذه درجة رابعة غير معاقب فـإذا مضـى عليه شهـران دون أي مخالفة انتقـل إلى الدرجـة الثالثة التي يمكث فيهـا يومـاً أو يومان ينقل بعدها مباشرة إلى عنابر الدرجـة الأولى والثانية، فإذا عمـل أي مخالفة ولـو صغيرة خلال هذان الشهران، سحبـت منه فرشاة الأسنان

والمعجون والصابونة الصغيرة وكوب الماء وعاد إلى الدرجة الرابعة معاقب وهكذا كلما ارتكب مخالفة في الدرجة الرابعة سحب منه أغراض الدرجة الرابعة غير المعاقب وعاد إلى الدرجة الرابعة معاقب وتضاعفت عليه المدة التي سيقضيها في الدرجة الرابعة حتى يثبت هذا السجين التزامه بالقوانين لينقل منها إلى الدرجة التي قبلها وهكذا.

عقوبات بلا سبب

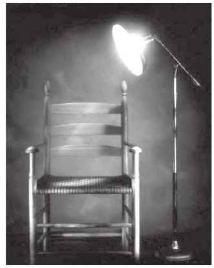

وربما يبقى السجين في الدرجة الرابعة (معاقب) لمدة شهور كثيرة دون عمل أي مخالفة وهذا يكون:

أولاً: إما بسبب التحقيق، أي بسبب مشاكل في سير لتحقيق وإعطاء المعلومات المغلوطة وإما بسبب الإمتناع عن الكلام أو...

ثانيا: وإما بسبب المخالفات والمشاكل التي يعملها السجين، ولقد رأيت من هذا النوع الكثير، لقد وضعت في الدرجة الأولى منذ أن ظهرت الدرجات، وبقيت في هذه الدرجة فترة طويلة، سنة تقريباً كنت خلالها أعاقب عقوبات بسيطة بسبب او بدون سبب أما العقوبات التي بدون سبب فإن كثيراً من الحراس ربما يسجل عليك العقوبة دون عمل أي مخالفة، كما يحلو له وكما يريد يكتب عليك وهذا يحدث كثيراً وإذا حاولت أن تبرئ نفسك وتثبت عدم قيامك بعمل أي مخالفة سواء للحارس أو للمسؤول فإنه لا ينظر إلى هذه الشكوى ويقول لك لقد سجلت العقوبة عليك ونزلت (ظهرت) على اسمك في الكمبيوتر ولا بدلك أن تطبق وتنفذ هذه العقوبة لا فائدة في المناقشة الآن، ولا في إثبات براءتك، ثم إن الأمر أو القانون المسموح به، الآن ويعمله السجين ويمارسه بحرية مراراً، ربما يأتي حارس آخر ويعاقبك على هذا الأمر المسموح به والذي فعلته مراراً دون أن تسجل عليك عقوبة فالقانون في عنابر السجن يفسره ويطبقه ويحلله الحارس كما يريد، مثلاً سجلت علي ثلاث عقوبات خفيفة وأنا في الدرجة الأولى تسحب مني خلال هذه

العقوبـات وهي ثلاثة أيام في كل مـرة معظم الأغراض التي بحوزتي وأبقى مكاني في عنبر الدرجة الأولى.

المرة الأولى: علقت -نشرت- قميص الفانيلا على جدران الزنزانة لكي يجف مـن الماء، فقال الحارس أنزل القميص مـن على الجدار، وضعـه على الشباك، قلـت لـه حسن لكن هذا الشباك هو الشباك الوحيـد في الغرفة، والذي يدخل منه الهواء أو النور، والجو حار والمعتقل بحاجة ماسة إلى هذا الشباك، مع أن القانون قبـل فـترة كان يمنع تعليق أي ملابس على الشباك ويسمح لك بوضع الملابس على جدران الغرفة من الداخل.

أما المرتان الأخريان اللتان عوقبت فيهما :-

فـإن في مغسلة الزنزانه الموجودة في الغرفة ثقوب ينزل منها الماء، ويمر على السجـين أوقـات ينقطع فيهـا الماء عن السجنـاء، فمن أجـل أن لا نطلب الماء من الحرس، يقوم الحرس بإخبارنـا بأن الماء سينقطع اليوم، لمـدة خمس ساعات أو أكـثر أو أقـل فاملئوا المغاسل بالمـاء، فنقوم بإغلاق المغسلة بشـيء ونملؤها بالماء، ونستعملـه عنـد الحاجة، فـكان السجناء يقطعـون أسفل كوب المـاء البلاستيكي ويغلقـون بـه ثقوب المغسلـة فتحتفظ المغسلة بالمـاء لوقت طويل هـذا الكوب يقدم للسجناء فيه شاي أو حليب، وسيلقى بعد استعماله في سلة المهملات إنه لا يستعمل إلا مـرة واحدة فقط جـاء الحارس ودخل غرفتي لتفتيشها بعد خروجي إلى المشي والحمـام فوجـد حوض الماء ملـيء بالماء بسبب اسفـل هذا الكـوب البلاستيكي، فسجـل علـي عقوبة في مثل هذه المناسبـة مرتين، فقلت للحارس أنتم تقولون لنا احفظـوا المـاء داخل المغسلة لأن المـاء سينقطع اليوم، ثم تقومـون بتسجيل عقوبة علينـا كيف يحدث هذا؟ لكن إعتراضي هـذا لا فائدة فيه، حدث هذا مرتين معي في عنبريـن مختلفين يسحبون منك الأغراض التـي توجد معك في الدرجة الأولى كاملـة تقريباً، لمدة ثلاثة أيام يبقـون معك قطعة الإسفنج التي تنام وتصلي عليها ومنشفة واحدة وبطانية واحدة.

قبـل خروجي من كوبا بثلاثة أشهر تقريباً وبعـد مرور عشرة أشهر علي دون أي تحقيق معي جاء الحرس بعد صلاة الفجر وقالوا عليك تحقيق قلت لهم جاهز، وصلت إلى غرفة التحقيق، جلست وتم فك اليدين ثم ربطوا القدمين بحلقة في أرض الغرفة، وجدت الصور موجودة على جهات الغرفة الثلاثة، أمامي وعن يميني وعن يسـاري، صـورة مسجد وصورة أطفـال صور مهاجرين أفغان بيـوت مهدمة صور للجيش أو الحرس الأفغـاني صـور نساء صور أفغـان عمائم ولحـى وعن يميني شبـاك زجاجـي أسود ومثله عن يساري لا يرى أحد مـن خلالهما شيء،وفي زاوية الغرفـة يظهر شيء مثل المصباح(كامير) ينزل من سقـف الغرفة يمكن أن يكون هـذا المصباح(كامـيرا) هكذا كان الأمـر يبدوا لي، بعد عشـر دقائق حضر رجل يلبس اللباس العسكري ومعه مترجم يظهر من لونه ولهجته أنه سوداني وفي زاوية الغرفـة تجلس سيدة تكتب كل ما تسمعه من المحقق أو المترجم، كانت هذه المقابلة هي آخـر مقابلة ذات قيمة جلست فيها للتحقيق وكأن المحقق يريد أن يراجع معي جميع أو أكثر ما سبق من أسئلة واستفسارات وقعت لي مع المحققين السابقين، لم يسألني في هذه الجلسة عن سيرتي الذاتية أو عن نوع ومكان العمل أو الدراسة، لم يسألني عن عائلتي ولا عن أشخاص آخرين.

لقـد كانت هذه الجلسة كما شعرت، أنها آخر جلسة وأنها جس نبض واختبار لي، إن كنـت قـد غيرت في معلوماتي وإفادتي السابقة أو هي لمعرفة ما إذا كنت قد تأثرت بأناس أو من أناس آخرين في السجن طيلة عشر شهور الماضية التي لم أذهب فيها إلى التحقيق، وبعد انتهاء الجلسة قال المحقق لي لقد أنهيت ما عليك وأجبت عـن جميـع الأسئلة التي وجهت إليـك ولم يبق عليك شـيء إلا اختبار جهاز كشف الكـذب وتسجيل صوتك وبعدها سـوف نرسلك إلى المعسكـر الرابع(Camp4) وهو المعسكر الذي توجد فيه كثير من الامتيازات والتسهيلات التي لا توجد في بقية العنابـر ثم قال أتحب هذا المعسكر الجديد؟ قلت إن أرسلتني أذهب وإلا مكثت في مكاني وهذا الجواب مني بهذا الشكل لأن رغبتي ومحبتي في الذهاب لهذا المعسكر

أو عدم رغبتي لن يقدم أو يؤخر شيئاً في قراره، فالمحقق هو الذي يقرر أن يرسلك أو لا يرسلك وليس رغبتك هي التي تقرر، ثم أخرج جهاز تسجيل صغير جداً بطول إصبع اليد وقال لي تكلم قلت فيم أتكلم؟ قال بأي شيء تريده، تكلمت عن سيرتي الذاتيـة قليلاً ثم قرأت سورة من القرآن وتوقفت فلما رأى حيرتي أخرج كتاباً من حقيبتـه يتعلق بالمذهب المالكي وأعطـاني الكتاب وبدأت أقرأ منه لمدة عشر دقائق ثـم قال لي قف كفى، انتهـت الجلسة قال لي شكراً علـى إجاباتك وسوف نطلبك عندما نحتاج إليك، وانصرف مع المترجم، وعدت إلى غرفتي.

بعـد أسبـوع جاء الحرس وقالوا لي تحقيق قلت جاهـز كان الوقت بعد صلاة الفجـر مباشرة لم تكن الشمس قد طلعت بعـد، تم التقييد بالسلاسل ثم التفتيش -سرنـا وصلنا إلى غرفة التحقيق، مرت دقائـق جاء المحقق الذي كان في الجلسة الماضيـة ومعه شخصـ آخر عسكري ومترجـم جديد، قال هـذه الجلسة للتعرف عليـك من هذا الشخص أي العسكري الجديد، وسوف يتعاون هذا الشخص معي في العمل في ملفك والانتهاء مما تبقى فيه من أمور، كيف رسائلك هل تصل إليك بإنتظام كيف عنبر السجن وكيف غرفة، هل تطلب منا شيء هل لك شكاوي، قلت أصابني شيء من الروماتيزم وأجد ألماً في رجلاي، لو تعطني-(جرابات) تحميني مـن البرد قال نظـام السجن لا يسمح بصرف الجرابـات للسجين لكن سنعطيك بطانيـة إضافية، مضى حـوالي عشرة أيام دون أن يرسـل إلي أي شيء، بعد أيام قليلـة زارني هـذا المحقق إلى غرفتي وقال كيف صحتك قلـت البرد قال سيصلك هـذه الليلة بطانيـة. بعد العشاء جـاء الحرس بالبطانية لكنهـا كانت ممزقة من الداخـل قلـت للحارس أنظـر إليهـا لا أستطيـع استعمالها أعطنـي غيرها ذهب وأحضـر واحدة غيرها لكن البطانية تستطيع أن تتغطى بها عند النوم أو الجلوس لكن عند المشي أو الصلاة أو الوقوف تحتاج إلى الجرابات لكن لا حياة لمن تنادى، ممنوع صرف الجرابات للسجين.

كانت هذه الجلسات ما بين عيد الفطر وعيد الأضحى، أواخر عام ٢٠٠٣م وقبيل عيد الأضحى بعشرة أيام، تم نقلي إلى العنبر الانفرادي عقوبة لي، هذه العقوبة ليس لي فيها جمل ولا ناقة، لكن الذي حدث أن أحد الحراس كان يتناقش مع جاري الموجود في السجن عن محمد علي كلاي، الملاكم الأمريكي الذي قيل أنه أسلم ثم انتقل الحديث بينهما إلى النبي محمد ﷺ ورسالته للناس أجمعين وأن المسلم لا بد أن يكون قوياً مثل محمد علي كلاي، فالحارس أراد أن يكون الناس مثل محمد علي كلاي أقوياء كما قال أحد الحراس الذين سمعوا المناقشة، الحارس أراد أن يعبر عن القوة فما استطاع فقال له إن محمد كان مصارعاً (ملاكماً) أراد محمد يعني محمد علي كلاي وليس (محمد) النبي (محمد) ﷺ، فالأخ السجين اعتبر كلام هذا الحارس عن (محمد) أنه مصارع، أن هذا أهانه واستهزأ ولا بد أن يعاقب هذا الحرس ويرد عليه، لأنه اعتدى على مقام النبي ﷺ، كان هذا النقاش في مكان المشي خارج غرفة النوم، لما رجع هذا الأخ إلى غرفته، وكان جاري الملاصق، قام هذا الأخ واتفق مع بعض جيرانه الآخرين، أن يقوموا بعدم تناول وجبة الطعام (العشاء) وأن يقوموا برش هذا الحارس بالماء والبول والحليب والبصق عليه، لكن أنا جاره أعيش بجانبه لا أعلم بما يخطط له ولما علمت بما يريد القيام به قلت له يا أيها الأخ هذا الحارس غير مسلم نصراني لا يعرف معنى ما قاله وكثير من الناس وحتى المسلمين ربما يريد أن يعبر لك عن قوة الرسول ﷺ فيقول لك مثل هذا الكلام وعندها نحن لا نقوم بشتم أو سب أو معاقبة هؤلاء المسلمين، إنما نقوم بتعليمهم وتوضيح المسألة لهم، فكيف بهذا الجندي، إنك لو استدعيت هذا الجندي ووضحت له المسألة وناقشته، لتراجع واعترف أنه ما قصد الذي فهمته أنت منه، لأن أحد الحراس الذي كان يسمع ما يتناقشون به قال لنا أنتم فعلتم خطأ، إن هذا الحارس ما قصد إهانة نبيكم، وما قصد بقوله محمد مصارع- أنه يقصد النبي المسلم، إنما قصد محمد علي كلاي، أقول لكن قدر الله وما شاء فعل، بعد انتهاء وجبة العشاء بدأ هذا الحارس مع الحراس الآخرين بجمع أطباق الطعام الفارغة

فلمـا وصل الحارس(صاحب المشكلة) إلى القرب من جاري قام هذا الجار وألقى الماء والبول المخلوط بالحليب، وبدأ السجناء الآخرين يلقون الماء وغيره مع البصاق على هذا الحارس ومن معه من على جانبي العنبر، ليس كل السجناء إنما بعضهم شارك بالبصق ورش الماء وغيره...

العنبر الإنفرادي

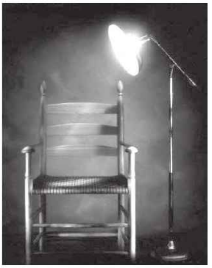

بعد ساعة تم نقل بعض السجناء إلى العنابر الانفرادية عقوبة لهم، وفي اليوم الثاني تم نقل جميع من تبقى من سكان العنبر إلى عنابر أخرى انفرادية وغير انفرادية، جاءت نوبتي بعد العصر، وقال لي الحرس، أنت تنقل قلت له أين؟

قال إلي عنبر نوفمبر انفرادي، قلت له أنا ما فعلت شيئاً، قال: لقد نزلت عليك العقوبة لا بد من تنفيذها حتى لو كنت بريئاً وهكذا كان حال الكثيرين نزلت عليهم العقوبة دون أن يشاركوا بأي عمل ضد الحرس، لكن الجنود عندما يسجلون أرقام الغرف التي قامت بعمل مشاكل، يقومون بتسجيل الأرقام التي يريدونها دون أن يتحققوا أو يتأكدوا فيما إن كان أصحاب هذه الغرفة اشتركوا في مثل هذه الأعمال أم لم يشتركوا، وصلت إلى عنبر نوفمبر الانفرادي، وقد تقدم الكلام عن هذا العنبر وأنه مغلق، الغرفة مغلقة من كل الجهات، إلا فتحة صغيرة على باب الزنزانة، لإدخال الطعام أو الدواء او لتقييد وفك سلاسل السجين من هذه النافذة، من يرسل إلى مثل هذه العنابر يكون هذا الإرسال عقوبة له، سحبوا مني كل الأغراض، تركوا معي قطعة الإسفنج ننام ونصلي ونجلس عليها، بطانية واحدة ومنشفة واحدة، ما عدا ذلك لا شيء معك، الخروج من هذا العنبر مرتين فقط في الأسبوع بينما كان الخروج في عنبر الدرجة الأولى يومياً، هذا العنبر لا ترى فيه أحد، لاعن يمينك ولا عن يسارك الأمن الفتحة الموجودة في الباب، عليها شبك حديد ومغطاة بالزجاج إن أردت الكلام ترفع صوتك كثيراً وتقترب من الباب، حتى تستطيع أن تسمع الآخرين.

لكـن سـكان هذا العنبر مـع كل هذه القيـود والتضييقات يصلـون الصلوات الخمسـ جماعة ويتناقلـون الأحاديث والأخبار بينهم كبقيـة العنابر، كانت عنابر الدرجة الأولى فيها امتيازات وتسهيلات وهذا العنبر وما شابهه فيه عقوبات.

بقيت في هذا العنبر خمسة أيام، ثم تم نقلي إلى عنبر آخر مفتوح وغير مغلق، لكـن فيه النـاس تسمع منهم ويسمعون منك، الأمور هنـا أفضل بكثير من العنابر المغلقـة بقيت في هذا العنبر شهرين تقريباً لكن كان هذا العنبر عنبر غير مستقر فيه مشاكل وعقوبات كثيرة على السجناء بعد وصولي لهذا العنبر بعدة أيام حدثت بـين بعض السجناء والحرس مشاكل وقاموا برش الحرس بالماء وبعضهم بصق عليـه بعض جيراني قام وشارك في هذا العمل ضد الحرس ذهب الحارس وسجل أرقام الغرف التي خرج منها الماء والبصاق، لكنه سجل أيضاً أرقام غرف لم ترش المـاء أو البصاق، ومنها رقم غرفتي، قلت للحارس إن غرفتي لم يخرج منها شيء لكنـه لم يلتفت لكلامي، لقد سجل علي العقوبـة، هذه العقوبة الجديدة تعني أنني سأجلـس شهراً آخر زيادة على الشهـر الأول، الذي كان سببه العقوبة التي نقلتني مـن عنابر الدرجـة الأولى إلى السجن الانفرادي ثم إلى هذا العنبر انتظرت حتى الليـل مر ضابط علـى عنبرنا أخبرته أن الحارس سجل علـي عقوبة دون عمل أي مخالفـة شرحت له ما حدث قام الضابط وسجل ما قلتـه له وقال سأبحث الأمر، ظهر لي أنه بحث الأمر وساعدني وألغى العقوبة، بقيت في هذا العنبر لكن ازدادت مشاكله وذلك احتجاجاً على معاملة الحرس للعنبر المجاور لنا، العنبر المجاور لنا سكانه (السجناء) فيه.

عنبر الشرطات

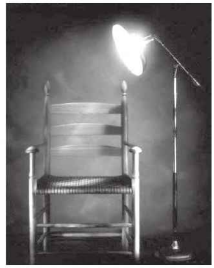

يعيشون بدون سراويل طويلة، بدون
(بناطيل) إنهم يعيشون طيلة الوقت
بالشرط الرياضي يأكلون، ويشربون
يجلسون وينامون وحتى أنهم يصلون
بهذا الشرط، يذهبون للتحقيق يخرجون
للاغتسال والمشي والرياضة بهذا الشرط

كل سجين في هذا العنبر - عنبر الشرطات الرياضي - لا يملك السجين في غرفته إلا هذا الشرط وفانيلا حمراء نصف كم وشبشب بالإضافة إلى قطعة الإسفنج التي يصلي ويجلس وينام عليها، هذا الذي يملكه كل واحد منهم إنهم أقل الدرجات حتى الآن في جميع السجن لا يوجد أقل منهم منزلة في جميع أهل هذا المعتقل الكبير (معتقل جوانتناموا) لا يوجد معهم منشفة ولا بطانية إن البطانية يسلمها الحرس لهم الساعة العاشرة ليلاً، وتسحب منهم قبل صلاة الفجر، أما المنشفة فتعطى لهم عند الخروج للحمام وبعد إنتهاء الحمام تؤخذ منهم، أما الغرف التي يعيشون فيها فجدران الغرفة مغلقة، الشباك الوحيد والخلفي للغرفة يفتح عليهم في النهار فقط، أما الليل فيغلقونه، جدران الغرفة عن اليمين والشمال شبك وفوق الشبك لوح من أعلى الجدار إلى أسفله يمنع الرؤية بين الغرف، ويمنع الهواء ويمنع توصيل أي غرض بين السجناء، أما من الأمام واجهة الغرفة التي يمر من أمامها الحرس في العنبر فهي لوح - زجاج فوق الشبك، هذا اللوح الزجاجي يمنع السجين من رش الماء أو البصاق أو... على الحرس لكنه يمكن الحرس من رؤية

ما بداخل الغرفة هذه الحالة التي يعيشها سجناء هذا العنبر (عنبر الشرطات) جعلت كثيراً من العنابر تتضامن معهم وتقوم بعمل إضرابات عن الطعام أو تقوم برش الماء والشاي والحليب أو البصق عليهم، وعدم الخروج للتحقيق أو للمشي والاغتسال وحتى الخروج للعيادة والطبيب، كان بعضهم لا يذهب إليها، هذه الأعمال والاحتجاجات كانت بسبب الحالة التي يعيشها أهل عنبر الشرطات، زيادة على هذه الاحتجاجات أضافت بعض العنابر احتجاجاً آخر وهو تقطيع أطباق الطعام وكاسات الشاي والحليب وتقطيع بقايا الفواكه بعد كل وجبة من وجبات الطعام الثلاثة، الصبح والظهر والمغرب، تقطيع هذه الأطباق و كان يحدث أحياناً مرتين بعد كل وجبة من الوجبات الثلاثة وذلك لإتعاب الحرس ومضايقتهم بهذا التقطيع حتى يرفعوا ما يلاقونه من مشاكل في هذه العنابر إلى المسؤولين عنهم لعل المسؤولين يغيروا أو يبدلوا في نظام وحياة عنبر الشرطات إلى حالته الأصلية كان السجناء يستلمون الطعام والشراب في أطباق وكاسات وبعد الانتهاء من الأكل يقومون بتقطيع نصف هذه الأطباق والكاسات قطعاً صغيرة جداً وإلقائها في أرض العنبر متناثرة هنا وهناك فيقوم الحرس بتنظيف أرض العنبر بالمكانس ثم بالماء ظناً منهم أن السجناء ألقوا كل الأطباق والكاسات ولم يبق عندهم منها شيء ليقطعوه وفي نهاية وقت هذه المجموعة المناوبة وقبل خمس دقائق من نهاية وقتها يقوم السجناء بتقطيع النصف الثاني من الأطباق المتبقي معهم قطعاً صغيرة وحتى بقايا الفواكه أو قشور البرتقال يقطعونه قطعاً صغيرة جداً ويلقونه على أرض العنبر متناثرة من أوله إلى آخره مما يجعل الحرس أكثر غضباً وغيظاً من المرة الأولى لأن هذا يعني أن يبقى الحرس وقتاً أطول من وقتهم الأصلي من أجل تنظيف العنبر ولا يستطيعون ترك العنبر دون تنظيف لأنه يجب على الوردية والمجموعة أن يتركوا العنبر عند نهاية الوقت نظيفاً كما استلموه نظيفاً هذه المخالفات التي

يقـوم بها السجناء تجعل العقوبـات تتجدد عليهم عند عمـل كل مخالفة وتضاف العقوبـة الجديـدة إلى المدة الأصلية التي سيقضيهـا السجين في هذا العنبر وهذا يعني تراكم الشهور والأيام عليهم لإبقائهم في هذا العنبر[1].

ازدادت المشـاكل في هـذا العنـبر- الـذي أسكنـه- وفي غـيره مـن العنابر، احتجاجاً على ما يجري لإخوانهم في عنبر الشرطات، بدأ السجناء باحتجاج آخر وبعصيان آخر، وهو من أخطر الإضرابات والعصيانات في السجن، هذا الإضراب والعصيـان هو رفض الخـروج إلى التحقيق، أو إلى المشـي والرياضة والاغتسال، وحتى رفض الخروج من الغرفة من اجل تفتيشها من قبل الحرس هذا الإضراب والاحتجـاج مهم وخطير لمـاذا لأن هذا الإضراب يعني أن الهـدف الذي من أجله جمعـت الولايات المتحـدة هؤلاء السجناء قد توقف وهـو التحقيق وجمع المعلومات منهـم، المعلومـات عن تنظيم القاعـدة وحركة طالبان عن التدريـب والمعسكرات معلومات عن أمور كثيرة لكن هذا لا يمكن أن تتساهل فيه إدارة السجن، أو الجهة

(١) ربمـا تسأل لمـاذا يوجد هؤلاء السجناء في هذا العنبر دون غيرهـم فالجواب هو ما سمعته من أحد ضباط السجن عندما سأله أحد السجناء في العنبر الذي أسكنه فقال الضابط إن كل من قام بالبصق على الحرس والجنود لا بد أن يأتي عليه يوم ويدخل هذا العنبر ويقضي فيه عقوبة البصـق ثم يخرج إلى العنابر العادية، قال السائل للضابط لكن يمكنم أن تعاقبوهم بغير هذا العقـاب ولا تأخذوا منهم السراويل الطويلة فأجاب الضابط لم نجد عقوبة رادعة لهم تمنعهم مـن البصق على الحرس إلا أن نعاقبهم بشـيء يمس جانب الدين عندهـم لقد جربنا معهم كل أنـواع العقوبات الموجودة في السجن مثل إدخالهم إلى السجن الانفرادي، سحب الأغراض منهم وغير ذلك فلم ينفع معهم شيء أقول لكن قد يدخل هذا العنبر أناس لم يقوموا بالبصق علـى الحرس كأن يكون لديهم مشاكل في التحقيق فيقوم المحقق بالضغط على المعتقل بإدخاله إلى عنـبر الشرطات من أجل أن يجبره علـى أن يسير في التحقيق بشكل جيد، وهذا العنبر مع أن سكانـه وأهله بلباس الشرطات إلا أنهم لم يتوقفوا عـن عمل الاحتجاجات والمخالفات حتى يغيروا من وضعهم ويخرجوا من هذا العنبر.

التي أنشأت هذا المعتقل الكبير والمسؤولة عن كل كبيرة وصغيرة فيه، إذاً لا بد من إخـراج هؤلاء المضربين من غرفهم إلى غـرف التحقيق بالقوة، كان الحرس يأتوا إلى السجين الذي عليه التحقيق يقولون له، عندك الآن تحقيق يجيبهم السجين، لا أخرج إلى التحقيق، فيأتي مسؤول أكبر من الحرس الأول لإقناع السجين أن يخرج إلى التحقيق وأن هذا الخروج إلى التحقيق هو الطريق الأسرع والأنجح لخروجك من السجن رفض خروجك للتحقيق يعني أنك ستمكث وقتاً أطول في السجن، لا بد لك من الإجابة عن أسئلة المحقق لا بد لك من إنهاء كافة المشاكل والأمور الموجودة في ملفك أو قضيتك.

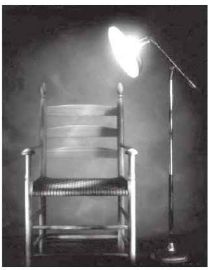

فالسجين الآن إما أن يقتنع بالخروج أو يصر على عدم الخروج، فإن أصر على موقفه وهو عدم الخروج إلى التحقيق، جاءه ضابط ليقنعه بالخروج وإذا رفض الخروج، يخبره هذا الضابط بأنه سيضطر أن يرشه بالغاز المسيل

للدموع أو غاز آخر لتدويخه، وسوف تحضر قوات مكافحة الشغب وتدخل على هذا السجين عنوة، يحضر الضابط المسؤول عن رش هذا الغاز، ومعه مجموعة طبية ٣-٤ أشخاص طبيب ومساعد و.. ليشرفوا على عملية رش الغاز، وأنها ليست قاتلة مثلاً، وأنها لتدويخ وإجبار السجين على الخروج، ولمساعدة قوات مكافحة الشغب في الدخول عليه وتقييده، حتى لا تحدث من السجين مقاومة أو مضاربة مع قوات مكافحة الشغب.

يقوم الضابط برش الغاز على السجين، ويطلب منه النوم على بطنه على الأرض، ووضع يديه خلف ظهره يفتح الحارس باب الزنزانة وتدخل عليه قوات مكافحة الشغب يطلب من السجين أن لا يقوم بأي حركة أو مقاومة، حتى لا يتعرض لأذى من قوات مكافحة الشغب أثناء اقتحام الغرفة أو أثناء تقييده.

شاهدت هذا الاقتحام مرة، بل مرات، بل عشرات المرات، تدخل قوات مكافحة الشغب إلى الغرفة مكونة من خمسة أشخاص، جميع بدن الشخص منهم محصن من رأسه إلى قدمه مجهز ضد أي اعتداء خارجي يتعرض له يدخلون بسرعة على السجين بعد رشه بالغاز يقيدونه في يديه ورجليه ثم يحملونه على أكتافهم

إمـا يحملونه بالنقالة كنقالة الجرحى، والمرضـى وإما يحملونه على أكتافهم دون أي شـيء، وتكـون السيارة، خـارج العنبر تنتظرهم يطلبون مـن المعتقل أن يمشي بقدميـه إلى غرفة التحقيق، فإن أبى حملته السيارة وإذا جلس على الكرسي أمام المحقـق في غرفة التحقيق، وطلب منـه المحقق أن يتكلم ويجيب على الأسئلة امتنع عن الكلام، حتى لو سأله عن اسمه واسم بلده وعمره لا يتكلم.

عـدم الكلام مـع المحقق، وكمـا سمعت من كثـير من السجنـاء أنه محق في عـدم الـكلام والإجابة عن أي سؤال من المحقق، لأنه أجـاب عن مثل هذه الأسئلة مـرة بل مـرات فلماذا إذا هذا التكرار، إنه يقول للمحقـق حينما يسأله عن سؤال تكـرر، إن الإجابـة على هذا السؤال قد سبق أن أجبتـك عليها لماذا تعيد على هذا السـؤال لقـد سمعت أن بعض المعتقلين لم يتكلـم في التحقيق منذ شهور، وبعضهم منذ سنة، إنهم يأخذونه إلى التحقيق، ثم يرجع إلى غرفته دون أن يتكلم أي كلمة لكن بعد أن يتركه المحقق يجلس على كرسي التحقيق ساعات طوال ربما تمتد إلى عشـر ساعات أحياناً كنوع من العقوبة، له إن العقاب بدأ يتغير ويتشدد على هؤلاء المعتقلين، لقد بدأ العقاب يمس جوانب الدين ويتحدى مشاعر المعتقلين الإسلامية لمـا رأت إدارة السجن أن العقوبـات التي تنزلها بالمعتقلين لا تؤثر فيهم بدأت تزيد في هـذه العقوبات لعلهـا تخيفهم وتوقفهم عند حدهم من اجل أن يلتزموا بقوانين السجـن ويطبقوا أوامر ومتطلبات المحققين إن خروج المعتقل من غرفته رغم أنفه عن طريق رشة بالغاز ثم دخول فرق الشغب عليه وإخراجه عنوة من غرفته مقيداً ومحمـولاً على ظهور رجال فرقـة مكافحة الشغب لقد بدا وظهر أنه لا يكفي عقاباً للمعتقل بل بدأت إدارة السجن بزيادة عقاب آخر على هذا العقاب وهو حلق لحية وشـارب ورأس المعتقل دون أرادته بل رغم أنفه، فبعد إخراجه من غرفته بواسطة فرقـة مكافحة الشغـب إلى مكان الرياضـة والمشي يتقدم إليه الحـلاق ويحلق له لحيتـه وشاربـه ورأسه، ثم يرجعونه إلى غرفته وقد تغـير شكله وتبدل حاله وهذا ممـا يضايق ويزعج الكثيرين بل الجميـع لأن اللحية في الإسلام لها معني خاص،

ولها حكم الوجوب من حيث الحل والحرمة، كما أن لها معنى كمال الرجولة، وعدم التشبه بالنساء أو الكفار حتى عند المسلمين غير الملتزمين إن لحى الكثيرين من المعتقلين لم يمسها موسى الحلاقة ولا شفرة الحلاق منذ عشرات السنين بل منذ أن نبتت لحيته في وجهه لم يحلقها حتى ولو مرة واحدة لكن كان عزاء الكثيرين منهم أنها حلقت رغم أنفة وحلقت في سبيل نصرة إخوانه، ومن أجل الوقوف بجانب معتقلين يعتبرونهم مظلومين من قبل إدارة السجن وهناك نوع من العقوبة، وهي أن يفتح المحقق جهاز- التبريد- التكييف بقوة على المعتقل طوال هذه المدة، وهناك عقوبة أخرى لمن يرفض الكلام مع المحقق، بأن يؤخذ السجين إلى غرفة التحقيق يومياً، أو يوماً بعد يوم أو بين فترة وأخرى ويترك في غرفة التحقيق على الكرسي ساعات طوال، دون أن يحضر المحقق إلى غرفة التحقيق، وبعد مرور الساعات الطوال يقوم الحرس بإرجاع المعتقل إلى زنزانته.

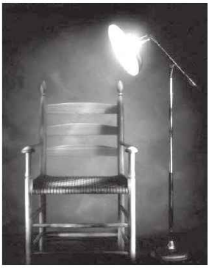

إذن حمل السجين من غرفته إلى غرفة التحقيق عنوة، عملية أو طريقة لم تستفد منها إدارة السجن، لأنها كانت تريد بإخراج السجين من غرفته إلى غرفة التحقيق من أجل أن يتكلم ويجيب على أسئلة المحقق، فما دام إذاً لم يتكلم،

إذن هذه الطريقة لم تعد ذات فائدة، إذاً لا بد من الضغط أكثر على السجين حتى يتكلم أو لا بد من استعمال طرق أخرى، لا بد من كسر هذا الصمت أو لا بد من إفشال هذا الإضراب بدأت تحدث في غرف التحقيق حوادث غريبة، كما نقل ذلك بعض السجناء، مثلاً بعض السجناء رفض الكلام مع المحقق تقدمت نحوه فتاه شبه عارية لتثير غرائزه الجنسية، رفض الكلام معها، أو حتى النظر إليها، تقدمت نحوه أكثر حتى كادت شفتاها أن تمس شفتاه، إنها تريد تقبيله لزيادة إثارته، إنه لا يستطيع الهرب منها، لأنه لا يستطيع دفعها عنه بيديه، لأنه مقيد اليدين والرجلين ورجلاه مقيدتان بحلقة مثبتة بالأرض يبدوا أن الكاميرا تصور ما يحدث، حتى تخرج له الصورة، أو حتى تخرج لأصحابه، ويقولوا لهم انظروا ماذا يفعل صاحبكم لم يجد هذا المعتقل المقيد طريقة ليصرفها عنه، فماذا يفعل إذا ما كان منه إلا أن قام وتنخم وبصق عليها، عندئذ انصرفت عنه وخرج المعتقل ناجحاً في الاختبار.

نشرت جريدة الواشنطن بوست- تقريراً من وزارة الدفاع الأمريكية- البنتاجون- وهذا الخبر نشرته وسائل الإعلام، بأن مجندات في الجيش الأمريكي

يستخدمن جنسياً لانتـزاع الاعترافات والأقوال من المسجونين المسلمين في معتقل جوانتنامـو- كوبا- وكل مـن في المعتقل المذكور هم من المسلمـين الذين اعتقلتهم أمريكا أو أحد أصدقائها (كما تسمهم) بتهمة أو بحجة محاربة الإرهاب، وقد قام محامون غربيون موكلين بالدفاع عن بعض المعتقلين من بلاد عربية (في جوانتنامو) بالمرافعـة في هذا والاعتراض على هذه الممارسات التي تقوم بها المجندات بتوجيه وأمـر من وزارة الدفاع، وأن هذا يتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي الذي يتعرض له هؤلاء المسلمون، وأن هذه الممارسات التي تستخدم كوسيلة ضغط على المعتقلين لانتـزاع الاعترافات منهـم، تتنافى مع الحرية التي يجب أن تمنح للسجين للإدلاء بأقوالـه وتتعارض مـع الطريقة التي يجب أن يكون عليها سـير التحقيق مع هؤلاء المعتقلين، وغرف التحقيق التي تجري فيها مثل هذه التحرشات تعرف بين المعتقلين باسم غرفة الحب.

لقـد قامت إحـدى المحققات بعمل مشـين، طلبت من المعتقـل أن يتكلم، لكن السجـين ليس عنـده ما يقوله، لا جديد لديه، قامت هذه المحققة وأخذت شيئاً من دم حيضهـا علـى إصبعها وهو ينظر ما عساها أن تفعلـه لكنها أخذت دم الحيض مـن على عورتها ووضعته على رقبتـه، ولما جاء سجين آخر قالت له أتتكلم أم أضع عليـك الدم كما وضعته على صاحبك، سجين آخر دخل على المحقق وأمام المحقق مسجـل كبـير وأشرطة كثيرة، قال المحقـق أتحب الغناء والموسيقـى، هيا وفتح له أغنية عربية وليس عربية فقط بل أغنية من بلده، السجين لا يريد ذلك، وما عساه أن يفعله إلا أن ينكر هذا الفعل بقلبه ولسانه.

وسمعت أن أحد المعتقلين لما اقتربت منه الفتاة وحاولت أن يمس وجهها وجهه وهـو مقيد بالأرض، ضربها برأسه لأنـه لم يجد إلا الضرب وسيلـة لدفعها عنه، وحـدث مـرة ما هو أكثر من ذلك وتناقله السجناء من عنبر لآخر وحدثت له ردود فعل في كافة أرجاء المعتقل، احتجاجاً على ما حدث والذي حدث كالتالي:

أن أحـد السجناء رفضـ الكلام مع المحقـق، حاول المحقـق أن يكسر صمت السجين بكل محاولة، لم يستطع مما أغاظ المحقق وأغضبه بدرجة كبيرة، عندها قـال المحقق للسجين إن هـذا القرآن هو أقدس شيء عندكـم، إذا لم تتكلم سوف أضع هذا القرآن تحت قدمي وأدوس عليه الآن أمام عينيك لم يهتم السجين المقيد باليدين والرجلين وبالأرض، لهذا التهديد، فلم يتكلم أراد المحقق أن يطبق ما هدد به حمل المحقق المصحف الشريف ووضعه على الأرض، وداس عليه بقدمه، حصلت مشادة كلامية ومشاتمة بين السجين وبين المحقق على هذه الفعلة الشنيعة، إن حكم الشريعة الإسلامية على من فعل هذا الفعل هو: الكفر والخروج من دين الله، لكن المحقـق أصلاً ليس مسلماً ولا يحتاج أن تطلق عليه هذا الحكم ولا ينتظر أن تحكم عليه بهذا الحكم ولا يهمه من قريب أو بعيد أن تسمعه هذا الحكم لم يكتف المحقق بما فعـل وأغاظه موقف السجين الصلب الذي ربما لم يعهده من قبل على سجين، فمـا كان من المحقق إلا أن قام وأحضر العلم الإسرائيلي، وقام بلف وتغطية جسم هـذا السجين من جميع الجهات بالعلم الإسرائيلي طبعـاً السجين لا يستطيع منع المحقق مما فعل لأنه مقيد الجسم، والجسم مقيد بالأرض، هذا الفعل الذي فعله المحقق كانت له ردود في كافة أنحاء السجن، من هذه الردود إضرابات عن الطعام بين السجنـاء لمدد متفاوتة استمـر بعضها شهوراً، مسبـات وشتائم بين السجناء والحراس، رش الحرس بالماء والشاي والحليب وربما بالبول والغائط، البصق على الحرسـ الإضراب عن الخروج إلى التحقيق والاغتسال والمشي والرياضة، شعرت إدارة السجـن بهذه الردود والاحتجاجات وأوقعتهـا في حرج، خاصة أنها تريد أن تظهـر بأنها تحافظ على احترام معتقدات ومشاعر السجناء، وأن التحقيق يجري بطريقـة ديمقراطيـة وأن السجين حـر في كلامه في التحقيـق، الآن إدارة السجن لا بـد أن تنهي هذا الحـدث وردود الفعل عليه أرسلت مسـؤولاً كبيراً للتفاوض مع المضربين، وقال لهم إن هذا المحقق قام بهذا العمل- إهانة المصحف- ولف العلم الإسرائيلـي على جسم السجين دون قصد وكان في حالة عصبية شديدة وأنه فعل

هذا الفعل من نفسه دون أن يأمره أحد، إنه هو المسؤول عن هذا الفعل وهذا الفعل ليس مخططاً له من قبل إدارة السجن، وسوف تقوم إدارة السجن بالتحقيق مع هذا المحقق وإعفائه من التحقيق.

هناك سجين آخر رفض الكلام مع التحقيق أحضر له المحقق جهاز تسجيل كبير مرتفع الصوت، يخرج أصواتاً شديدة مزعجة حيناً، ويسكت حيناً آخر، وبعد الهدوء والسكون يفاجئك وعلى حين غرة بصوت صاخب محقق آخر أحضر لسجين لا يتكلم جهاز يحدث إضاءات شديدة وبرق يخطف الأبصار.

محقق آخر يعرف أن هذا السجين لا يحب الموسيقى فيفتح له المسجل على الموسيقى أو الأغاني العربية أو غير العربية، محقق آخر يقول لأحد السجناء الذين امتنعوا عن الكلام يقول له لو كان الأمر يبدي لأطعمت كل سجين منكم كل يوم ساندويش لحم خنزير.

لقد سمعت أن إدارة السجن قد استعانت بالسحرة والمشعوذين في غرف التحقيق ضد بعض المعتقلين، قال لما جلس المعتقل على الكرسي أمام المحقق في غرفة التحقيق بدأ هذا الشخص يتيتم بكلام ويحرك شفتيه وعينيه نحو المعتقل المقيد ويشير بحركات بيديه يميناً وشمالاً وأعلى وأسفل ويعمل بيده دوائر في الهواء، ويقوم بعملية نفخ ونفث نحو هذا المعتقل المقيد الجالس، فادرك المعتقل ما يريده هذا الساحر، فبدأ يقرأ آيات من القرآن الكريم وأدعية من كلام الرسول ﷺ ويستعيذ بالله العظيم من كيد هذا الساحر وشعوذته.

وهناك محققين من نوع آخر، يقومون بإحضار ساندويشات، بيتزا أنواع كثيرة من الأطعمة والعصيرات حتى تكون هذه المائدة فاتحة، ومشهية للكلام مع السجين أو حتى تكون طريقاً لدخول المحقق لقلب ونفس السجين من جهة الطعام، فيحضر له ما يطلبه من المطاعم والمشارب.

وسمعت من بعض السجناء أنه كان يشترط على المحقق أنه لا يتكلم في التحقيق، حتى يحضر له أنواعاً معينة من الطعام والشراب، وفعلاً يقوم المحقق بإحضار ما يطلبه السجين، وبعد أن يأكل السجين الطعام الذي طلبه، ربما يتكلم وربما لا يتكلم.

ويعود السجين إلى غرفته بسلام.

إن الكلام عن السجن ومشاكله متشعب وكلما حاولت حصر الكلام في اتجاه واحد وزاوية واحدة، خرجت عليك الأفكار والقصص والحوادث من هنا وهناك فنضطر أن نسجلها قبل أن تنفلت من أذهاننا.

مضت الأيام ومشاكل هذا العنبر تزداد يوماً بعد يوم، وأنا شخصياً لا أحب عمل المشاكل مع الحراس ومع المحققين، أنا لا يوجد عندي ذنب أو تهمة أخاف منها، لقد اعتقلوني ظلماً وزوراً، تركت خلفي عائلة مكونه من تسعة أفراد ليس لهم بعدي معيل إلا الله، ليس لي علاقة لا مع تنظيم القاعدة ولا مع حركة طالبان ولا حتى مع الأمريكان، وحتى الذين لهم علاقة مع القاعدة أو مع طالبان، ليست هذه هي الطريقة الصحيحة التي تفتح لهم أبواب السجن أو تعيدهم إلى أهاليهم وبيوتهم، كنت لا أرى ما يفعله الكثير من السجناء صحيحاً، ولا يخدم قضيتهم وينهي مشكلتهم، وينظف ملفاتهم في التحقيق.

كنت حريصاً على الخروج من هذا العنبر، لأن العقوبات تزداد يوماً بعد يوم عليك، وتنزل على اسمك سواء شاركت في المخالفات أم لم تشارك، صحيح أن بعض احتجاجات السجناء، وردود أفعالهم على ما يجري لهم صحيحة، لكن لهم أيضاً احتجاجات أخرى غير صحيحة، ولا تسير في طريقها الصحيح، أو أن أسلوبها ليس بالأسلوب المناسب لهم، إذ أنهم سجناء لا يملكون من أدوات التغيير شيئاً إنهم سجناء أولاً وأنهم سجناء عند قوم يقولون عنهم إنهم أعداء لهم لا يحبونهم إن كثيراً من طرق العلاج التي كان يسلكها السجناء لتصحيح أوضاعهم

أو تخفيف العقوبات عنهم أو الاستعجال في إنهاء محنتهم في السجن، لم تكن صحيحة، بدليل أن كثيراً ممن كان يقوم بهذه الاحتجاجات وردود الأفعال أدرك أنها احتجاجات تسير في مسار غير صحيح، ولم يكتف هذا الشخص بأن يترك هو هذه الاحتجاجات أو بالسكوت عمن يفعلها، بل بدأ ينكر على من يفعلها لأن كل سجين يحلم أو ينظر إلى اليوم الذي تفتح له أبواب السجن ويعود إلى أهله، لا يوجد أحد من السجناء يريد أو يحب أن يبقى يوماً واحداً في السجن، لذلك أدرك الكثير من السجناء أن سير التحقيق عنده قد توقف وأن كثيراً من القضايا التي لا بد أن ينهيها أو يجيب عنها في التحقيق لا زالت عالقة وباقية، أدرك أنه لا بد أن يتجاوب مع المحققين، خاصة وأن قضاياه التي سيجيب عليها ليست ذات أهمية.

الحاجة أم الاختراع

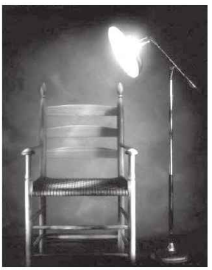

إن عنابر الدرجة الثالثة والرابعة المعاقبين، لا يحق لهم أن يستلموا معجون وفرشاة الأسنان والصابون، ولا يسمح لهم باستعمال كاس أو كوب الماء، لكن يوجد عادة في العنبر أناس في الدرجة الثالثة والرابعة غير معاقبين إنهم في

مراحل تؤهلهم للخروج من حالة العقاب التي يعيشون فيها، وهؤلاء عادة يمكنهم أن يزودوا بقية السجناء بما يحتاجونه من المعجون وفرشاة الأسنان والصابون لأنهم غير معاقبين، لكن كيف سيوصلون هذه الأغراض إلى غيرهم المعاقبين، إن الحارس لا يوافق على حملها وإرسالها إليهم، لذلك لا بد من استعمال طريقة أخرى لتوصيلها، إنهم يوصلونها بطريق الخيط، ما هو هذا الخيط ومن اين يحصلون عليه، يحصلون عليه من المنشفة التي توجد مع كل واحد منهم إنها عبارة عن نسيج خيوط كثيفة مع بعضها البعض، فيقومون بأخذ خيط طويل منها فإذا كانت الغرف التي يريدون الإرسال إليها في نفس الجهة التي توجد فيها هذه المواد فهذا سهل، فيكون الارسال والتوصيل عبر الشبك من سجين لآخر، حتى تصل إلى الغرفة المطلوبة، وإذا كانت الغرفة المطلوبة في الطرف الآخر، الذي يفصل بيننا وبينها الممر، الذي عرضه مترين تقريباً، فلا بد من استعمال الخيط، يربطون المواد التي يريدون إرسالها إلى الغرف المعاقبة بطرف الخيط الموجود معهم من داخل الغرفة وطرف الخيط الآخر يجمعونه حتى يكون شكله مثل حبة الحمص، ثم يحاولون قذفه عبر شبك غرفتهم، قد يرتطم ويصطدم بشبك غرفتهم أول

مرة أو التي بعدها فيسحبونه ثم يحاولون قذفه من جديد المرة تلو المرة حتى يخرج من شبك غرفتهم بقي الآن أن ينفذ من شبك الغرفة المقابلة قد يصطدم الخيط (الكرة) بشبك هذه الغرفة بعد أن يقذف من الغرفة التي فيها المواد - يحاول الشخص قذفه عدة مرات حتى يمر الخيط من شبك غرفته ومن شبك الغرفة المقابلة التي نريد إرسال المواد إليها، إذا وصل الخيط الكرة الصغيرة) إلى الغرفة المقابلة ودخل إليها قام الشخص الموجود في الغرفة وسحب الخيط (الكرة) الذي طرفه بيده وطرفه الآخر في الغرفة المقابلة التي يوجد فيها المواد يبدأ بسحب الخيط إليه مع المواد المربوطة بطرفه- فرشاة أسنان أو معجون أسنان صابون، تصل إليه المواد يفكها ويأخذها، وهكذا يفعل المعتقل كلما أراد إرسال مواد عبر شبك الغرف بهذا الخيط هو أو غيره، لأن الخيط متوفر مع كل واحد.

تمر الأيام وأنا موجود في هذا العنبر وهو أكثر عنبر سكنته فيه عقوبات ومشاكل مع الحرس، وفي صبيحة يوم من الأيام جاء الحرس وقالوا لي [عليك تحقيق لكن بعد ساعتين هذا اليوم] عادة الحرس لا يخبرون أحداً بموعد تحقيقه إنما يأتون إليه فجأة ويطلبون منه أن يذهب معهم إلى التحقيق فوراً لكن حالة العنبر التي كان يرفض فيها السجناء الذهاب للتحقيق، ثم الدخول على الغرف بواسطة فرق مكافحة الشغب، جعلتهم يخبرون الأشخاص الذين عليهم تحقيق قبل موعد تحقيقهم بساعتين، حتى إذا رفض السجين الذهاب إلى التحقيق يرتبون ويحضرون له فرقة قوات مكافحة الشغب حتى تقتحم عليه غرفته، جاء الحرس وخرجت معهم إلى التحقيق دخلت إلى غرفة التحقيق فإذا بها جهاز كمبيوتر، وجهاز آخر لا أعرفه، ولم أره من قبل.

جهاز كشف الكذب

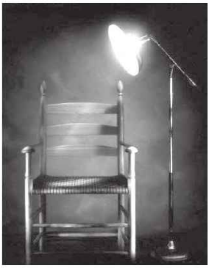

ومجموعة اسلاك، إن شكل هذه الغرفة ليس شكل غرف التحقيق التي عهدناها من قبل، جلست أو أجلساني الحرس على الكرسي، جاء المترجم قبل المحقق على غير العادة، وقال سوف نعرضك على جهاز كشف الكذب في هذه

الجلسة، بدأ يشرح لي المترجم عن طريقة عمل هذا الجهاز، وأخبرني بالأسئلة التي سيسألني عنها حتى أحضر لها الأجوبة، وقال أن هذا الجهاز يعمل بنبضات القلب وعلى الحالة النفسية والعصبية للمسجون، ويجب عليك أن لا تحرك أي جزء من أجزاء جسدك أثناء الاختبار الأسئلة التي سوف أجيب عليها إنما تكون الإجابة عليها مختصرة، بكلمة واحدة نعم أو لا تكون الإجابة عليها ليس بشرح مطول أو بتفصيل أو تعليل، هذا كان كلام المترجم لي، ويبدوا من لهجته أنه من بلاد المغرب العربي، بعد قليل جاء شخص آخر وجلس مقابلي، وقريب مني، وبدأ يشرح لي عن هذا الجهاز، وأن هذا الجهاز أدخل إلى المحاكم وبدأ العمل به للكشف عن المجرمين وعن الحالات الغامضة التي لا يعترف أصحابها بجرائمهم، ويعمل به الآن في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل رسمي، وأنا مختص بهذا الجهاز ولا يستطيع أحد أن يعمل عليه وجئت من أمريكا من اجل العمل عليه هنا في معتقل (جوانتنامو) وأنا قد قرأت ملفك وسير التحقيق معك، وعرفت أنك إنسان متعلم-مثقف لذلك سوف نستريح معك وبدأ يشرح لي عمل هذا الجهاز وأن هذا الجهاز يعمل على النبض ودقات القلب والحالة النفسية والعصبية والمزاجية لمن يجري

عليه الاختبار، وبدأ يذكر لي الأسئلة التي سوف يسألني بها وأجرى لي تمرين وتدريب لهذه الأسئلة- قبل أن يصل أسلاك الجهاز بجسمي، وبعد أن أعطاني تدريب على الأسئلة، قام وأوصل اليد اليمين، ثبت الأسلاك في إصبعين الإصبع الأول في السبابة (إصبع التشهد في الصلاة) والإصبع الثاني في الخنصر، الإصبع الذي يلي الوسطى، واليد اليسار ثبت الأسلاك في نفس الإصبعين كما ثبت أسلاك أخرى في عضدي- عضدي اليسار وثبتها أيضاً في مكان ثالث على الصدر فوق القلب وقال اجلس جيداً واتكيء على الكرسي وارفع رأسك وانظر إلى نقطة معينة على الجدار أمامك، ولا تنظر إلى غيرها ولا تتحرك أي حركة. إن عمل أي حركة تفشل الاختبار وتغير في النتيجة الصحيحة التي نريد أن نصل إليها، وقال هل أنت جاهز؟ وبدأ يسأل الأسئلة التالية:

١- هل عملت عملاً مشيناً يسبب العار لك أو لأهلك؟

٢- هل تطيع أوامر القرآن الكريم إن أمرك بأي أمر من الأمور؟

٣- هل سبق وشاركت في عمل ضد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، أو ضد حلفائها؟

٤- هل تنوي القيام بعمل ضد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، أو ضد حلفائها بعد خروجك من السجن؟

٥- هل سبق أن خالفت أمراً من أوامر القرآن الكريم؟

٦- هل ستقوم بعمل تحريض وعدائي ومعنوي ضد مصالح أمريكا، أو ضد حلفائها في أفغانستان؟

٧- هل أنت جالس على الكرسي؟

٨- هل الكهرباء مضاءة؟

٩- هل أنت عضو في الجماعات الإرهابية التالية: تنظيم القاعدة، حركة طالبان، الحزب الإسلامي الأفغاني، الجماعة الإسلامية، جماعة الجهاد، جماعة الزرقاوي، وذكر لي أسماء أكثر من عشر جماعات، نسيتها، فيما إذا كنت عضواً فيها أو في أحدها والأسئلة التي سألني عنها أكثر من هذه لكنني نسيت ما تبقى من أسئلة، أجرى الاختبار وكرره وأعاده علي ثلاث مرات.

بعد الانتهاء من الاختبار قلت للمسؤول عن هذا الجهاز (والذي أجرى لي الاختبار)، ما هي النتيجة لو سمحت؟ قال أنا لا اعرف، الاختبار هذا سيرسل إلى واشنطن وهم الذين يقررون ويعرفون النتيجة، أنا لم أكترث كثيراً بكلامه، لأنهم قد يخبرون، بالنتيجة بعد الانتهاء من الاختبار كما سمعت من بعض السجناء وقد لا يخبرون، كما حدث معي ومع غيري.

والأسئلة التي طلب مني الإجابة عنها، ليست هي الأسئلة التي يسألها لكل سجين، الأسئلة التي توجه لكل سجين تختلف عن الأسئلة التي توجه لسجين آخر، الأسئلة تكون حسب الثقافة، وحسب العمل والمهنة وحسب سير التحقيق مع الشخص، وحسب المشاكل التي كانت تحصل في غرف التحقيق بين السجين والمحقق حسب التهم الموجهة لكل شخص تنسجم مع عمره وتطلعاته وأهدافه، تتوافق مع التزامه وسلوكه مع شخصيته وسيرة حياته، ونظافة معاملته، ومع أمور كثيرة أخرى قد لا نعلمها نحن، هكذا يبدوا ويظهر من مجمل الأسئلة التي وجهوها وسألوها إلى كثير من السجناء ممن جربوا هذا الجهاز، وممن سمعتهم يتكلمون عن هذا الجهاز وأسئلته. إن الأسئلة التي أجبت عنها مبشرة من حيث نوعيتها، ومن حيث نتيجتها، حقيقة أنا استبشرت خيراً بالأسئلة والأجوبة، لقد كانت أعصابي كأنها في ثلاجة كنت مطمئناً إلى قدر الله عز وجل واثقاً أن فرج الله قريب.

سمعت من الكثيرين من السجناء أنهم رفضوا الجلوس والاختبار على هذا الجهاز وقالوا إنه جهاز غير معمول به قانونياً في محاكم الولايات المتحدة

الأمريكيـة، لقـد عملت بـه الحكومة فترة ثم ثبـت لديها أنه جهـاز يتهم البريء ويبرئ المتهم، لأن كثيراً من الناس لهم قدرة كبيرة وناجحة على ضبط انفعالاتهم النفسية ويستطيعون أن يتجاوبوا بهدوء تام مع الأسئلة التي توجه إليهم، لكن بعض السجنـاء بل أكثرهم جلسوا على هذا الجهاز وخرجت نتائج اختباراتهم إيجابية، لقد نجحوا في الاختبار كما قال لهم المسؤول عن الجهاز، وبعض السجناء يدركون إنه جهاز لا يقدم ولا يؤخر في سير التحقيق، ولا يفيدهم شيئاً في التعجيل بخروجهم مـن السجن لكن يقبلون الجلوس عليـه، لأن رفض الجلوس على هذا الجهاز يعني أن لديهم تهم أو قضايا لا يريدون أن يكشفها الجهاز، ولو كانت قضاياهم ظاهرة وتهمهـم بسيطـة لوافقوا على الجلوس علـى هذا الجهاز، هذا هـو التفسير الذي سيوجه إليهم من قبل المسؤولين.

لكـن هذا الجهاز ليس هو الفيصل في قضية كل سجين، هذا الجهاز ليس هو الحاكـم الأخير علـى كل متهم، هذا الجهاز لا يملك أن يقول لك إنك بريء ويقول للسجـان افتح البـاب لهذا السجـين، وأطلق سراحـه إنه بريء، لقـد سمعت عن الكثيرين من السجناء وقبل خروجنا بشهور كثيرة، أنهم وافقوا على الجلوس على هذا الجهاز، ووجهت لهم الأسئلة العادية الغير خطيرة والتي لا علاقة لها بالجهاد ولا بالإرهاب، (كما يسمونه) لا علاقة لها بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م، ولا علاقة لهـا بـأي أحداث عنف وقتل وقتـال سابقه وقعت ضد الولايـات المتحدة الأمريكية وخرجـت نتائـج جهاز كشـف الكذب عنهم إيجابيـة، وقال لهم المسـؤول عن هذا الجهاز لقد تم اختباركم بنجاح، لم يبق لكم أي شيء، لقد انتهت ملفاتكم وسوف يفـرج عنكم قريبـاً، وسترجعون إلى بلادكم، هذا الـذي سمعته عن الكثيرين من السجنـاء، لكن مازالوا داخل السجن، ولم يفرج عنهم حتى الآن، إن الجلوس على هـذا الجهاز صحيح إنه هو آخـر فصل في التحقيق، وهو آخر فقرة في تهمة وملف كل سجـين، لكنه ليس هـو آخر فصل وآخر فقرة في بقاء هـذا السجن في السجن وأنه على أعتاب الخروج من أبواب هذا المعتقل، إن الجلوس على هذا الجهاز يعني

أن التحقيـق مـع المتهم قد أوشـك على الانتهاء أو انتهى لكنــه إلى أين انتهى؟ إما انتهــاء إلى الــبراءة والخروج من السجن وإما انتهــاء إلى انتظار المحكمة وصدور الحكـم، والحكم إما يكـون بالبراءة والخروج من السجن وإمــا الحكم بالبقاء في السجن وانقضاء مدة الحكم الذي تقدره المحكمة، لكن متى ستشكل هذه المحكمة ومتى ستنعقد حتى تصدر أحكامها على هؤلاء الناس؟؟؟ الله أعلم.

إن السجن بلاء وامتحان بلا شك، والإنسان ما كان يتصور ويظن أنه سيتحمل السجن، يتحمل حرة وبرده، عذابه الجسمي والعصبي والنفسي، الانفراد والوحدة البعد عن الأهل والخلان والأصحاب والجيران، ما كان يظن أنه يتحمل البعد عن شهوات.

درس من السجن

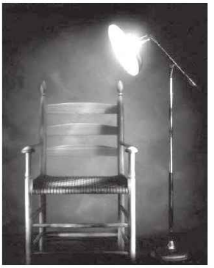

الحياة الدنيا التي تعود عليها، خاصة إن كان من أصحاب الشهادات والمناصب العليا أو كان من أهل الثراء والمال. إن كانت الدنيا قد فتحت له ذراعيها وتمرغ في أحضانها ظهراً لبطن، ثم ما يفتح عينيه إلا وهو في

زنزانة انفرادية لا يرى فيها الشمس لا يكلم أحداً ولا يكلمه أحد، تمضي عليه الأيام بل الأسابيع بل الشهور وهو في هذه الحالة، فجأة واحدة وفي لحظة واحد، نزل عليه البلاء وضاق عليه الفضاء وتنكر له الإخلاء.

ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

إن الدنيا لا تدوم على حال ومن المحال دوام الحال، والدنيا دول

وكما قال تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١٤٠).

هي الأيام كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

إن السجن صبر، صبروا احتساب على ما يصيب الإنسان، وما لم يكن عند الإنسان صبر فسيواجه متاعب كثيرة جداً، وكل من لم يخض معركة الصبر في الحياة الدنيا ولم يذق مرارة التحمل ولأواء البعد والحرمان فسوف يصطدم بأبسط عقبات السجن، وإذا لم يتحمل أقل هذه العقبات فسيسقط في أول مراحل هذه الرحلة وسيتحطم عند أول مشكلة تواجهه في أول عتبة يتخطاها عند دخوله لهذا القبر الكبير، ولقد أوصى بعض من كان معنا وصية لإخوانه أن يكثروا من قول

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧)، دعاء سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام في بطن الحوت فقال له صاحبه وهو يحاوره هل نحن في بطن الحوت؟ فأجابه: وهل هذه الزنازين إلا كبطون الحيتان.

إن التقلب في نعيم الدنيا والتوسع في مباحاتها الحلال، من اكبر الأمور الضاغطة على الإنسان في السجن، ومن القضايا التي تكون عائقاً له على الثبات في هذه المحنة، ومن الجوانب التي تجذبه وتشده وتحببه للرجوع إليها والغرق في بحرها ولو كان على حساب مبدئة ودينه- وما لم يكن معك زاد الطريق من القرآن الكريم والذكر من سنة سيد المرسلين ﷺ والاقتداء بالسلف الصالحين، والاحتساب أولاً وآخرا لله رب العالمين فيسصيبك الوهن وستضعف عزيمتك السامة والملل، وتنتابك الأوهام، وتغزوك الأسقام وتعشعش في فؤادك الوساوس وتلبسك الآلام، ويكسوك اليأس والقنوط من رحمة رب العالمين.

إن السجن قدر الله عز وجل على عبده المؤمن بلا شك ولا مرية، لكن الإنسان لديه قوة وقدرة وعنده صبر وتحمل، لم يكن ليكتشف هذه القوة وما كان ليعرف هذا التحمل والصبر بدون أن يدخل في فرن الابتلاء وبغير أن يلج محك الامتحان والاختبار، لقد كان قدر الله علينا في هذا السجن سهل وبسيط بالنسبة إلى الابتلاءات التي أصابت غيرنا.

صحيح أن الذي أصابنا سجن، وبعد حسي، وبعد معنوي، ونفسي، بعد عن الأهل والوطن، لكن لما كنا نقارن أنفسنا بالآخرين كان الأمر يهون علينا، كنا نقرأ عن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، وكيف أنه لبث في السجن بضع سنين، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن إبراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، ما هو ذنب سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، وما هي الخطيئة التي ارتكبها حتى يدخل السجن، ذنبه أنه طاهر ذنبه أنه نظيف، هذا حكم أهل الدينا على الطاهر والنظيف، لقد أصبح الطهر وأصبحت النظافة

المعنويــة جريمة يزج بصاحبها في السجن، هــذا منطق أهل الدنيا تجاه كل طاهر وعفيــف ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ (يوسف: ٣٢)، أي منطق هذا إن هذا المنطــق يقــول إذا لم يتلطخ يوسف عليه الصــلاة والسلام بهــذه الفعلة الشنيعة، ويوافــق هذه المرأة في هواها فمصيره السجن، لمــاذا؟ لأنه عفيف وطاهر فما دام أنــه عفيف وطاهر فلا بد أن يكون مصــيره السجن، وصدق الله العظيم ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ إن لوطــاً ومن معه من المؤمنين لا بد أن يطــردوا ويخرجــوا من بلدكم لأنهم في عرفهم ومعتقدهــم أنهم أناس مذنبون ومخطأون هل تعرفون ما ذنبهم أنهم يتحرجون من فعل ما تفعلونه إنهم يتنزهون ويتطهرون عن أفعالهم وعن إقراركم على صنيعكم -اللواط- فأخرجوهم من بين أظهركــم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم، قــال قتادة عابوهم بغير عيب وقــال مجاهد إنهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء وروي مثله عن ابن عباس.

ياليت الظلمة وأعوانهم اليوم يطردون الدعاة ويخرجونهم من بلادهم، بدل زجهم في غياهب السجون والمعتقلات، لقد كان قوم لوط أحسن حالاً منهم، لو أن شخصــاً أو مؤسسة اليوم قامت بعمل مسح للسجون في العالم الثالث سوف تخرج نتيجة أكيدة، إن هذه السجون لا يوجد فيها إلا المتطهرون، لا يوجد فيها إلا الدعاة الصالحون، لا يوجد فيها إلا من يقول للناس أيها الناس هذه طريقكم الصحيحة هــذه هي الطريقة التي فيها حل مشاكلكم وخروجكم من جميع مشاكلكم هذه هي الطريقــة التي فيها العزة والغلبة في الدنيا والفوز العظيم في الآخرة.كنا نستصغر أنفسنــا إذا اشتكــى أحدنا، أو تذمر أو تضايق أو تضجــر من غرفته أو من طعامه ولباسه أو... كم كان يمسح على جراحنا ويخفف عن آلامنا كبار الدعاة إلى الله عز وجل، منذ آدم وحتى أخرهم محمد ﷺ أجمعين، وما لاقوه من أذى وشتم وعذاب

من أجل الله عز وجل، لقد حوصر سيدنا رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب، لقد حاصر المشركون سيدنا رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب ثلاث سنين، إنه سجن كبير وإن لم يكن فيه غرف وزنازين صغيرة، قاطعوهم فلم يبيعوهم ولم يشتروا منهم ولم يزوجوهم ولم يتزوجوا منهم، لم يجد الصحابة في هذا السجن طعاماً يأكلوه لقد صور سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله ومن العشرة المبشرين بالجنة، صور الجوع الذي نزل بهم فقال -خرجت ذات ليلة أبول فإذا بصوت تحت بولي فإذا هو جلدة فأخذتها وغسلتها وأكلت ما استطعت منها، والله أعلم جلده أي حيوان تكون هذه الجلدة.

لقد كان بعض السجناء جزاهم الله خيراً يخففون عنا ضيق السجن، وبعد الأهل، ووحشة الأيام، بكلمات تقع كأنها الماء الزلال على القلب العطشان، كلمات عن دعاة في كل بقاع الأرض، قام الظلمة وأعوانهم بزجهم في غياهب السجون سنين طويلة، منهم من قضى تحية ومنهم من ينتظر، منهم من قضى نحبه في سجنه، ومنهم من ينتظر فرج الله، لقد كنا نسمع عن زينب الغزالي امرأة سجنت سنين طويلة بلا ذنب إلا أن ذنبها أنها قالت ربي الله، إقرأ قصتها في كتاب- أيام من حياتي، وستعرف من هي زينب الغزالي، أما الرجال الذين سجنوا في نفس محنتها فقصصهم لا تخفى على أحد، وحياتهم في السجن نشرت ويعرفها القاصي والداني.

إن السجن هي أداة من الأدوات التي يلجأ إليها العجزة عندما يجبنون عن مواجهة الحق، إنها الوسيلة التي يسلكها الجبناء عندما يفقدون الحجة الواضحة، والدليل البين، في إدانه خصومهم، إنها الطريق الذي يسير فيه الجلاد عندما تعتريه الكبرياء، ويلبسه الغرور ويعشعش في قلبه الظلم والبطش، ها هو فرعون قائد الظلمة والجبارين، وكبير العتاة والمجرمين في كل زمان ومكان، لا يجد أداة لتهديد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام إلا السجن ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى

لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء:٢٩)، إنه منطق الضعفاء والمهزومين، الذين غابت حجتهم وضعفت إرادتهم، ووهن منطقهم عن مواجهة الحقيقة بل تمادى فرعون في غيه واستمر في ضلالة إلى تهديد موسى عليه الصلاة والسلام بالقتل، عندما لم يكترث سيدنا موسى بتهديده في السجن ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ (غافر: ٢٦).

الطاغية أصبح واعظاً، والمتكبر والمتغطرس أصبح مذكراً مشفقاً، والمجرم الأول أصبح آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وموسى عليه الصلاة والسلام، المرسل من رب العالمين، والذي هو من أولى العزم من الرسل، أصبح في نظر فرعون مفسداً يريد تبديل دين الناس، إنها المفارقات، يا للعجب من حكم أهل الدنيا على أهل الدين.

قبل خروجي من كوبا بشهر تقريباً وبعد تناول طعام الإفطار، جاء الحرس وقالوا: عليك عيادة قلت لهم: لا أستطيع اليوم الذهاب إلى العيادة أنا لست مريضاً أولاً وثانياً جاء حلاق الشعر ولا بد أن أحلق شعر رأسي اليوم، وإلا لا بد من الانتظار ثلاثة أشهر أخرى، لأن الحلاق لا يمر على عنابر السجناء إلا بعد فترة طويلة انصرف الحرس دون أن أذهب معهم.

وخرجت للحلاقة، وفي اليوم التالي عاد الحرس، وقالوا: العيادة، قلت لهم: أما الآن فلا بأس.

دخلت العيادة، جاء الطبيب، أجرى لي بعض الفحوص السريعة على جسدي، العينين، الحلق، الأذن، أخذ وزني وطولي وقياس اليدين والرجلين والعنق كأنه قياس خياط يريد خياطة بنطال أو قميص، ثم أرجعني الحرس إلى غرفتي لكن بعد تناول طعام الغداء جاء الحرس قالوا عليك تحقيق قلت حاضر تم التقييد

بالسلاسل ثم التفتيش سرنا ووصلنا إلى غرفة التحقيق جلست على الكرسي فكو اليدين ثم قيدوا الرجلين بحلقة مثبتة بالأرض جاء المحقق كانت سيدة والمترجم يبدوا من لهجته أنه عراقي قال المحقق هذه الجلسة قد تكون آخر جلسة لك في التحقيق، وبعد هذه الجلسة سنرفع ملفك إلى واشنطن وخلال ثلاثة أسابيع سيأتي الرد عليه من واشنطن، بدأت تسألني عن عملي في باكستان قبل اعتقالي منذ وصلت إليها ١٩٨٥ م إلى وقت اعتقالي ٢٠٠٢م، قلت لها كل عملي وطيلة وجودي في باكستان كان في مجال التعليم في المدارس والمعاهد والكليات والجامعات، قالت لماذا لم تكمل دراستك؟ قلت لها لم يتيسر لي ذلك بسبب العائلة، وبسبب قلة الموارد المالية عندي، قالت لو رجعت إلى الأردن واتيحت لك فرصة إكمال الدراسة هل ستواصل دراستك قلت نعم بلا شك، ولقد انتابني إحساس جلي وراودني شعور قوي ومن خلال فترة وجودي في السجن ومن ثنايا جلسات التحقيق أن الأمريكان يحبون- يفضلون- الشخص المتعلم رجلاً كان أو امرأة إنهم يميلون- - يحبذون- الشخص المتفتح الذي يتصل بالدنيا ويعرف ما يدور فيها وما يجد عليها كنت أشعر أنهم يرتاحون للرجل الذي أمضى فترة من عمره في التعليم، فترة المدرسة والجامعة وما بعد الجامعة لأنهم يربطون كما شعرت وأحسست بين المتعلم أو المثقف وما يجري من أعمال قتل وتدمير، المتعلم تعليم وثقافة عصرية أو ثقافة حكومية حديثة وليس المثقف ثقافة دينية، ثقافة المسجد والشيخ أو ثقافة الحلقة والزاوية أو حلقة الموجه.

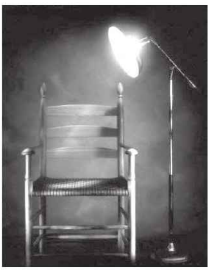

الروحي والمربي الحركي، يتذكرون مثلاً حركة طالبان. التي كانت تحتضن تنظيم القاعدة وما يجري في داخل أفغانستان أو خارجها من أعمال عدائية للغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، أعمال ظاهرة عيانية أو

كراهية معنوية ونفسية، وإن كان بعض أفراد حركة طالبان قد نال قسطاً من التعليم إلا أنه تعليم ديني (حسب رأيهم) علمهم التطرف والقتل، إنهم لم يحصلوا على التعليم العصري والثقافة الحديثة إنهم متقوقعون(حسب الرأي الأمريكي) في مساجدهم، أو زواياهم أو مع مشايخهم المتحجرين القدامى، لا يعرفون ما يجري في الدنيا، حتى اللغة الإنجليزية يعتبرون تعلمها وتعليمها إثم وحرام، يقولون إنها بدعة يقولون إنها لغة الكفار، لذلك فإنك تلمح مما تسمعه من الأمريكان أنهم لا يحبون التعليم الديني المحض لا يحبون المعاهد الدينية، لأنها تركز على المواد الدينية والعربية كثيراً، حتى ولو كان في هذه المعاهد مواد عصرية علمية، كالرياضيات والعلوم حتى ولو كان فيها المواد الاجتماعية المختلفة أو الثقافية الحديثة أو حتى لو كانت هذه المعاهد تعلم اللغات المختلفة لأنهم يعتبرون إن هذا الكم من التعليم الديني كافٍ لتوجيه الطالب نحو الهدف الذي يريده بقوة هذا الكم من العلم الشرعي قادر على تكوين شخصية الطالب بسرعة، شخصية متميزة قوية يبرزها ويجعلها قادرة على معرفة الإسلام والكفر، قادرة على تحديد معنى الولاء والبراء بدقة إتجاه جميع الناس، تجعله يعيش في

أرض الواقع ويتواضع مع مستوى الناس يطبق وينفذ ويعمل بهذه المبادئ التي تعلمها، إنك تلمح أنهم يفضلون المدارس العصرية لأن الاهتمامات في هذه المدارس بمواد بعيدة عن حس المسلم، ليس للدين فيها نصيب نصيب، الدين فيها ضعيف جداً إن وجد، المدارس العصرية لا تهتم ببناء شخصية الطالب الذي يعتز بدينة ووطنه أو لغته وتراثه، إنها تهتم بثوبه وشكله ولا تهتم بقلبه وروحه تخرجه ذكياً ولا تجعله زكياً تخرجه يحمل شهادة وثقافة ولا يحمل تربية وعفة وطهارة هذا على العموم والغالب إلا ما قل وندر وقليل ما هم هذه هي النتيجة التي وصل إليها الأمريكان عن المتعلمين وغير المتعلمين، كتبطيق عملي لما وصلوا إليه، وربما لمسوه وأدركوه من مجموع المعتقلين الموجودين في معتقل - جوانتنامو) كوبا- حيث أن عدداً لا بأس به ربما دخل الصفوف الأولى ثم انقطع عن الدراسة لفقر أو لعدم اهتمام بالمدرسة، وبعضهم لم يذهب إلى مدارس الحكومة أصلاً، لكنه اكتفى بحلقات المساجد والمشايخ إنك تلمح وتحس أن الأمريكان تنفرج أسارير وجوههم ويفرحون ليس فقط لأنك متعلم في المدارس الحكومية أو الجامعات الحكومية بل لأنك تؤمن بهذا المبدأ أنت أولاً وتطبقه على أولادك فإن علموا أن أولادك وخاصة البنات في المدارس والجامعات يقول لك جيد، أين يدرسون؟ ماذا يدرسون؟ ويبدأ يسمعك كلمات الثناء والمدح والتشجيع، ويفرحون أكثر أن علموا أنك لست منغلقاً أو منطوياً على نفسك، بل وسائل الإعلام والاتصال المختلفة عندك، تلفزيون أو قنوات فضائية، كمبيوتر، إنترنت، وأنك تتابع ما يجري في الدنيا أو تتأثر بما يجد ويحدث في عالم الفن والثقافة أو في عالم السياسة والزعامات أو عالم المخترعات والصناعات.

حركة طالبان

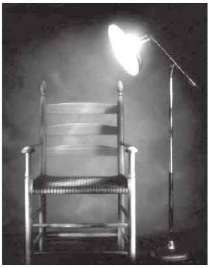

إن حكومة طالبان كان لها إيجابيات وحسنات في أفغانستان منها نشر الأمن في البلاد وتطبيق بعض الحدود الشرعية محاربة البدع وإن كانت بطريقة شديدة، ربما نفرت أو كرهت البعض في هذا النموذج من الحكم الذي تدعو إليه حركة طالبان.

لكن في نفس الوقت كان لها أيضاً بعض السلبيات أنها تسير في اتجاه واحد لا تقبل المفاوضات ولا المناقشات لا تقبل الالتقاء مع الآخرين خذ مثلاً الأصنام التي حطموها في أفغانستان وأثارت عليهم العالم، أثارت عليهم كثير من المسلمين ومنهم مشايخ وربما وصل إليهم وزارهم بعض مشايخ المسلمين، ينصحونهم ألا يقوموا بتدميرها الآن لما له من الآثار السلبية على حكومتهم الجديدة والضعيفة والفقيرة لكن لم يسمعوا كلام أحد وحطمت التماثيل والأصنام مع أن أفغانستان قد فتحتها الصحابة وعاشوا فيها وعاش فيها التابعون وتابعي التابعين والصالحين، إلى يومنا هذا تركوا هذه الأصنام والتماثيل التي هي كالجبال ولم يتعرضوا لها ولم يذكروها حتى في كتبهم ولا في تاريخهم إن سياسة الطالبان التي لا تستطيع مسايرة الأحداث ولا التعامل مع المشاكل بالطرق الدبلوماسية السلسلة ولا تستطيع النزول عن التشدد في القرارات وتتعامل مع الأحداث من زاوية واحدة أثار حفيظة العالم عليهم وجعلهم نموذجاً لإنصاف المتعلمين الذين فشلوا في حكمهم وحكومتهم فشلوا في تقديم الرخاء وإقامة الاقتصاد القوي أو حتى المقبول للبلاد فشلوا في استقطاب الناس حولهم وفي مسايسة وقيادة فئات

كثيرة من الشعب بالطريقة الصحيحة، فشلوا في الالتقاء مع قادة وزعماء الجهاد القدامى، أو الالتقاء مع أهل الرأي والمشورة في كافة أنحاء البلاد، مما جعل الكثير من الناس في حالة غليان وضغط واحتقان عليهم حتى إذا كانت الظروف مواتية، انقضوا عليهم أو انقلبوا عليهم وعجلوا برحيلهم.

سألتني هذه المحققة ما رأيك بحركة طالبان؟ قلت لها إن حركة طالبان حركة أفغانية طلاب علم كانوا يدرسون في المدارس الدينية في باكستان، فالحركة انطلقت من باكستان وتعتمد على باكستان، في كثير من الأمور الاقتصادية والتوجيهية والسياسية والعسكرية قامت هذه الحركة واستولت على الحكم في كابل من الحكومة الأفغانية التي كانت موجودة، وحكومة طالبان كالحكومة التي سبقتها لا تحظى بتأييد جميع أو أغلب فئات الشعب الأفغاني، صحيح أن لها بعض الحسنات التي لم توجد عند الحكومات السابقة التي حكمت أفغانستان، منذ سقوط حكومة نجيب ١٩٩١-١٩٩٢م لكن حكومة الطالبان لم تستطع أن تتعاون مع جميع فئات الشعب الأفغاني وخاصة قادة الأحزاب الجهادية السابقين الذين كان لهم دور كبير في طرد الاتحاد السوفيتي من أفغانستان لقد رفضت حركة طالبان أن تتعاون مع أي معارض لها كان شعارها الذي ترفعه للمعارضين أو لقادة المعارضين أنا الحاكم والحاكم أنا، أنا وحدي الذي يوجه البلاد غيري ليس له في الحكم شيء ضع سلاحك واستسلم وسوف نبحث في شأنك وربما نحاكمك على تاريخك الماضي، لقد قطعت حركة طالبان صلاتها وعلاقاتها بكل معارض بكل من لا يوافقها حتى ولو كان محقاً.

إن الكثيرين ممن انضم إلى حركة طالبان لا يعرف الكتابة ولا القراءة، أميون إن نسبة الأمية في الشعب الأفغاني عالية جداً وهي من النسب العالية في العالم إن لم تكن من أعلاها.

ربمـا يكون التحليل والتفسير الأمريكي للمثقـف أو المتعلم، أن الثقافة والعلم يقودانـه إلى حياة آمنة هادئـة، التعليم ربما يقنعه إن حياة القتل والتدمير وسفك الدمـاء غـير صحيحة، غير ناجحة غـير صالحة للتفاهم والالتقـاء مع الآخرين، غـير المتعلم ربما يكون عقله وتفكيره يسيران باتجاه واحـد، عقله لا يقبل التحليل ولا التفسـير أو لا يقبـل الموازنة بين المصالح والمفاسد فيمـا يقوم به، أمامه هدف وعنده قضية لا بد أن يصل إليها مهما كانت التكاليف حتى لو كانت السلبيات أكثر مـن الإيجابيات، حتى لو كانـت الخسائر أكثر من الأرباح، مـع أن معظم الشباب الذيـن نفذوا عملية ١١ سبتمبر كلهم (والله أعلم) متعلمين ومثقفين، وبعضهم في الجامعات الغربية أو العربية، وكثير من الناس الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ومنهـم شباب لا يمكن أن يفعلوا مثل هذه الأفعال، بل لا يؤيدون غيرهم القيام بها ويستنكـرون ويشجبون من ينفذهـا، إن حركة طالبان حركـة طلابية دينية لكنها باكستانيـة التخطيط أفغانيـة التنفيذ، نشأت في المحضـن الدافئ باكستان تحت سمـع وبصر الأمريـكان، والأمريكان يعرفون حركة طالبان كمـا يعرفون أبنائهم سألتني هذه المحققة عن الجهاد والقتال في الإسلام، قلت لها إن الإسلام لا يحمل السيـف على من يريـد البقاء علـى دينـه ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)، اعتناق الإسلام لا يكون إلا عن قناعة وليس بالضغط والإكراه، الذي لا يريـد الإسـلام لا يكون عدواً للمسلم، مـن ليس صديقي لا يعنـي بالضرورة أن يكـون عـدوي، لكن من لم يسلم لا يقـف حجر عثرة ولا حاجزاً أمـام من يريد أن يسلـم، المسلم لا يعتبر غير المسلم- يهودي أو نصـراني- أو غيرهما- عدواً له إلا أن يقـع منـه تجاوز أو اعتـداء، إن بلاد المسلمين، بها كثير مـن النصارى واليهود لهـم كنائسهم ودور عبادتهـم يعيشون بلا مشاكل، يمارسـون ديانتهم وطقوسهم الدينيـة بحرية تامـة، لهم مناصب ووظائـف في الدولة، في حياتهـم الاقتصادية والصناعيـة والسياسية وغيرها كبقية الناس، كما أن الدول الأوروبية وأمريكا بها بعض المسلمين يعدون ببعضها بعشـرات الألوف، وبعضها بمئات الألوف، وبعضها

بالملايين، صحيح أن حقوقهم في هذه البلاد ليست حقوق أصحابها أهل البلاد الأصليين ١٠٠٪ لكن لهم حقوق دينية واقتصادية، تجعلهم يعيشون في البلاد حياة جيدة.

قالت ما رأيك في الأحداث الأخيرة ضد الأهداف الأمريكية؟ الأهداف الأمريكية التي تعرضت للضرب المدمرة كول في بحر العرب، قرب اليمن ضرب السفارة الأمريكية في كل من تنزانيا وكينيا- دار السلام ونيروبي- أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م في نيويورك وواشنطن.

قلت لها إنكم تحكمون على الإسلام وأهله من خلال اجتهاد أفراد من المسلمين، يقومون بعمل عسكري ما ضد أهداف أمريكية لكم أو لغيركم، وما جرى في ١١ سبتمبر لم يلق موافقة وتأييداً من جميع الشعوب الإسلامية ومن جميع علماءها وشيوخها لقد عارض هذه الأحداث كثير من المسلمين ومن علمائهم، لكن أنتم تسمعون للمؤيدين لهذه الأحداث، ولا تسمعون للمعارضين لها لأن هذا يروق لكم ويتناسب مع سياستكم التي تنتهجونها، وتبرر لكم وتشجعكم على الكثير من مخططاتكم وأهدافكم عند هذه الشعوب، وتشجعكم على الاستمرار فيها، قالت أليس من حق الولايات المتحدة الأمريكية أن يكون عندها جيش، حتى تدافع عن نفسها بهذا الجيش؟ قلت الحق لها ولغيرها أيضاً أن يكون عنده جيش يدافع عن نفسه، لكن الاعتداء على الغير لا يوافق عليه أحد، واستطرد هنا لأقول وكما سمعت من بعض السجناء أن أحد المحققين سأل سجيناً عن أحداث نيويورك وواشنطن وأحضر له صوراً لمبنى التجارة العالمي بشقيه صوراً مفزعة، يظهر فيها التدمير للبرجين والفزع والرعب والهلع الذي يصيب الناس، والخسارة البشرية والمادية التي لحقت بالبلاد بسبب هذا التدمير، قال له من المسؤول عن هذا كله، أليس تنظيم القاعدة وحركة طالبان التي كانت تحتضن وتأوي هذا التنظيم، الذي نفذ هذا الهجوم.

فأجابه السجين كل ما تقوله صحيح، أنا أوافقك الرأي على كل ما تقوله في تنظيم القاعدة وحركة طالبان، لكن لماذا لا تسأل نفسك وأنت محقق تجمع المعلومات والأخبار من المعتقلين وتريد أن تصل إلى الصواب والحقيقة أو لماذا لا تسأل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها سؤالاً مهماً ودقيقاً؟ لماذا وقعت هذه الأحداث المدمرة لها ولم تقع لغيرها من الدول الكبرى كبريطانيا وفرنسا والصين، أو لأي دولة أخرى إن المثل العربي يقول وأظن أن هذا المثل في بلادكم (من كان بيته من زجاج فلا يقذف الناس بالحجارة) أظن أن كثيراً من الشعب الأمريكي أو معظمه لا يحب الإرهاب (كما تسمونه) أو قتل الأبرياء لا يحب تدمير المباني ولا نسف العمارات الجسور ولا مهاجمة السفارات لا يرغب في مهاجمة السفن ولا إسقاط الطائرات لا يحب أعمال العنف ولا إراقة الدماء لذلك يعارض الحرب وترتفع أصواتهم التي تطالب بسحب الجيش الأمريكي من الخارج ورجوعه إلى بلده، أصوات من أناس عاديين من الشعب أصوات من جمعيات حكومية وغير حكومية، أصوات من وزراء ومسؤولين كما سمعنا من الكونجرس أو من مجلس الشيوخ أو في غير مجلس الشيوخ، أنتم تنشرونها ووسائل الاعلام تتكلم عنها لكنها أصوات لا يلتفت إليها، يرمى بها في سلة المهملات أو يضرب بها عرض الحائط وتلتفون إلى الأصوات التي تطالب بالتوسع خارج أمريكا والمحافظة على الاقتصاد القوي والتحكم في القرار العالمي وإخضاع الشعوب الفقيرة والمغلوبة على أمرها، وإيجاد أرض تعطي المواد الخام لمصانعنا وتكون سوقاً لمنتجاتنا، أليس كل ما أقوله لك صحيح أيها المحقق؟؟

أين الضغط الذي قام به الشعب الأمريكي أو المسؤولون الأمريكيون، أو الجمعيات والهيئات الأمريكية التي طلبت وضغطت بكل ما تستطيعه من قوة حتى أجبرت حكومة بلدها على سحب جيوشها من فيتنام؟ أما كان ذاك الضغط وذاك القرار قراراً صائباً وعملاً أيده كل الشعب الأمريكي أو معظمه، لأنه كان في مصلحة وفائدة الشعب الأمريكي؟

ولقد تناقلت الأخبار وكنت ممن سمع هذا الخبر، يقول هذا الخبر إن أستاذا يعمل في جامعة أمريكية (أظنها جامعة كولورادوا) قال إن ما جرى للناس في برجي التجارة في نيويورك، عملاً سببه سياسة بلادهم، أو بسبب سياسة حكومتهم الخارجية، فقامت عليه الدنيا في أمريكيا تطالب بفصله من الجامعة وتوالت عليه التليفونات من جميع أمريكا تشجب وتنتقد وتهاجم هذا الأستاذ، لأن ما يقوله هو تشجيع للإرهابيين للعمل ضد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في الداخل والخارج، وقام بعض الناس في أمريكا يحللون كلام هذا الأستاذ بين مؤيد ومعارض، ومما سمعته من بعض هؤلاء أن عمليات ١١ سبتمبر سوف تكون بداية النهاية للديمقراطية في أمريكا لأنها (أي الأحداث) ستكمم الأفواه وتسكت الألسنة التي ستنتقد وتعارض الحكومة الأمريكية وتبين أخطاءها السياسية والعسكرية وهذا التكميم والكبت سيلحق الإضرار بالوطن الأمريكي سيلحق الضرر بالبلاد والعباد.

الانتحار

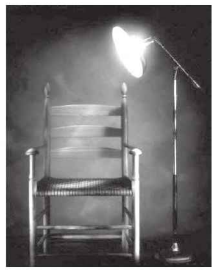

إن عملية الانتحار عن طريق الشنق (تعليق السجين نفسه بالشيت) والشيت قطعة قماش كبيرة وطويلة يثبتها في أحد جدران الغرفة المشبك ويضع الشيت في عنقه، لقد شاهدتها مرات كثيرة وهذا التعليق إما أن يكون احتجاجاً على شيء

يحدث في السجن لا يريده السجناء، كما حدث عندما قام أحد المحققين وداس على القرآن الكريم، أو عندما يتعرض السجين إلى ضغط وتعب في التحقيق يجعله في حالة نفسية متوترة، وهذا التعليق قد يقوم به السجين هزلاً، يعلق السجين نفسه، يعلو صراخ وصياح المساجين، يطلبون الحرس ليفتحوا باب الزنزانة على السجين.

يقوم الحرس بمنعه من إتمام انتحاره لكن بعض السجناء مصابين بحالة نفسية متدنية، ولقد شهدت بعضهم في حالة نفسية سيئة إنه لا يسكن في غرفة إلا ويكسر ما يستطيع تكسيره فيها، المغسلة، حنفية الماء، شهدته وقد حاول الانتحار مرتين في عنبر واحد، عملية الانتحار الأولى وقعت عندما كان يسكن في غرفة رقم ٢٥، ليكون دائماً تحت مراقبة الحرس لكن الحرس لا يمكن أن يكونوا طيلة الوقت (٢٤) ساعة يراقبون كل السجناء في العنبر، إنهم يتحركون وينتقلون، يقدمون الخدمات للسجناء أو يخرجونهم للمشي والرياضة والاغتسال، حاول الانتحار في هذه الغرفة لكن جيرانه شاهدوه وهو يحاول الانتحار فصرخوا على الحرس الذين هرعوا ودخلوا الغرفة عليه ومنعوه من إتمام عملية الانتحار، نقلوه

بعد ذلك إلى غرفة رقم (١) الملتصقة بغرفة الحرس لكن الحرس انشغلوا عنه بخدمات تقدم في العنبر، وفي غيبة عيون الحرس عنه علق الشيت وحاول الانتحار، فصرخ جيرانه على الحرس الذين جاءوا مسرعين ودخلوا الغرفة عليه وخلصوه من التعليق، إن الحرس يصيبهم الذعر والخوف الشديد عندما تكون في العنبر الذي يحرسونه عملية تعليق وشنق لذلك يحاولون أن لا تكون هناك أي عملية من هذا النوع عندهم لأنه لو حدث أن تمت عملية الانتحار والشنق، في العنبر الذي يحرسونه فإن هذا يعني وقوعهم تحت المسؤولية والحساب والعقاب وأنهم قصروا في حراسة ومراقبة المساجين حدث مرة أن أحد السجناء كان يقيم في السجن الانفرادي، حاول الانتحار، ووصل إلى حافة الموت لكن الحرس أنقذوه في آخر الأمر، سمعت ممن يعرفه، أن هذا السجين كان في حالة نفسية سيئة، عملية الشنق أو الانتحار لم تتم لكن كان لها مضاعفات عليه حيث أصيب عنقه بكسر وساءت صحته، نقلوه إلى المستشفى وبعد مدة تحسنت حالته الصحية والنفسية.

هناك نوع آخر من الانتحار، لكن لا ندري هل يقوم به السجين جاداً أو هازلاً، وهل سببه الضغط النفسي وجلسات التحقيق، أم سببه الاحتجاج على أعمال يقوم بها المحققون أو الحرس، أعمال يتحرشون أو يتحدون بها مشاعر السجناء، مثل تفتيش القرآن الكريم في غرف السجناء أثناء خروجهم من الغرف للتحقيق أو الرياضة والاغتسال، أو إلقاء أغراض السجناء على الأرض الغير نظيفة بطريقة استفزازية، لكن الانتحار لا بد أن يكون له سبب وهذا النوع من الانتحار هو قطع الشرايين والأوردة الدموية لليدين أو للرجلين أو للبطن... أو لأي مكان في الجسم، لكن من أين يحصل السجناء على الآلة الحادة التي يقطعون بها شرايينهم؟ إن السجين يحصل كل أسبوع على آلة الحلاقة، عندما يدخل حمام الاغتسال، آلة الحلاقة فيها شفرة، موس صغير، الحمام له باب مشبك حتى يبقى السجين تحت مراقبة الحارس لكن السجين قد يضع منشفة أو ملابس على شبك الباب ليستر نفسه عند الاغتسال مع أنه يلبس شرطاً رياضياً أثناء الاغتسال إذا استلم السجين

آله الحلاقة من الحارس كسر القطعة البلاستيكية التي تغطيها، وأخرج الشفرة الصغيرة التي بداخلها وقام بتقطيع شرايين يديه أو رجليه أو... حدث هذا أكثر من مرة والذي يقوم بهذا العمل قد يكون في كامل عقله، وقد يكون مصاباً بشيء لكن عندما تحدث مثل هذه العملية تقوم إدارة السجن بمنع آلات الحلاقة عن جميع المساجين لفترة طويلة وذلك عقاباً للجميع، وحتى يضغط جميع السجناء على من يقومون بهذا العمل وحتى لا يتكرر هذا الفعل مرة أخرى وحتى يعرف السجين الذي يقوم بهذا الأمر، أن هذا الانتحار قد سبب التعب والحرمان ليس له وحده فقط بل لجميع زملائه في السجن فلا يقوم بتكرار هذا الأمر مرة أخرى، ربما يكون العقاب منع آلات الحلاقة شهر أو شهور، حتى تطول الشعور التي يجب إزالتها وحلقها عند السجناء، لكن أذكر مرة أن المنع استمر شهوراً على الجميع مع أن الجميع لا ذنب لهم فيما حدث، مع العلم أن آلات الحلاقة هذه لا توجد في عنابر الدرجة الثالثة والرابعة أو العنابر الانفرادية، لأن المعاقبين لا يسمح لهم باستعمال هذه الآلات.

لقد كان معنا في بجرام وبعد رجوعنا من كوبا وقبل إطلاق سراحنا بأربعة أشهر معتقل إيراني الجنسية، كانت حالته النفسية متدنية، تصرفاته غير طبيعية أحياناً، وكثير التفكير شارد الذهن حاول الانتحار مرة لم يجد شيئاً ينتحر به إلا أقراص الدواء التي كانت معه، كان معه كمية كثيرة من الأقراص المختلفة الأشكال والألوان، ابتلع منها ما يقرب من خمسين حبة، وكان يريد أن يبتلع أكثر، لولا أن هرع إليه الحرس وهرعنا نحن مع الحرس، حتى استطعنا بالقوة أن نمنعه من إكمال ابتلاع بقية الأقراص، ولو قدر له أن يبتلعها جميعاً لفقد حياته، اتصل الحرس بالطبيب وتم نقله إلى مستشفى في القاعدة وتم علاجه هناك.

من مخالفات المعتقلين

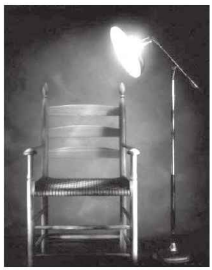

إن كثيراً من السجناء يقومون بعمل مخالفات لأبسط الأسباب ولأقل الأشياء، ثم يريد أن يحمل هذه المخالفة لجميع أصحابه، إنه يريد من أصحابه أو من السجناء، أن يقفوا معه لأمر بسيط، ربما كان هذا السجين نفسه هو

السبب في هذه المخالفة. أنت سجين وعليك تهم أو عندك قضايا في التحقيق، ودائماً تصنع المخالفات وترفض الالتزام بقوانين السجن، مثلاً أحد السجناء سبب مشكلة لجميع سكان العنبر الذي يسكنه، العنبر يتسع لثمان وأربعين (٤٨) سجيناً، قام الحارس ووزع الطعام لكل السجناء وقت الطعام (٣٠) دقيقة مع أن كثيراً من الحراس ربما أعطاك أكثر من ثلاثين دقيقة، لما انتهى وقت الطعام المحدد بدأ الحارس بجمع أطباق الطعام والكاسات الفارغة وبقايا الفاكهة لكن بعض السجناء لم ينته من طعامه ورفض تسليم بقايا الطعام، يبدوا أن السجين كان مشغولاً أثناء تناول الطعام أو تأخر ولم يأكل منذ بداية الوقت، أو لسبب آخر، طلب الحارس من السجين أن يسلم بقايا الطعام لأن الوقت قد انتهى، رفض السجين تسليم الطبق، لكن الحارس لا يستطيع أبداً أن يترك بقايا الطعام عند السجين لأن هذا يعني تسجيل عقوبة شديدة عليه من مسؤولة، بعد مشادة كلامية إضطر الحارس بمساعدة من معه من الحرس، أن يفتح غرفة السجين ويأخذ الصحن عنوة من السجين النحيف القصير الصغير العمر، هذه المشادة تعني أن يحصل بين السجين والحرس، مدافعة ومشادة بالأيدي، لكن السجناء في داخل

الغـرف لا يملكون إلا الصـراخ، أو البصق أو رش الماء و.. علـى الحرس، استعمل السجنـاء كل ما في أيديهـم، احتجاجات على ما جرى لصاحبهم من قبل الحرس خرج الحرس، من غرفة السجين بعد أن أخذوا طبق الطعام إن القانون في السجن لا يسمح للحارس أن يقتحم أو يدخل إلى غرفة السجين مهما كان السبب إن الذي يستطيـع أن يدخـل غرفـة السجن هم فقط قـوات مكافحة الشغب لكـن بعد إذن المسـؤول الكبير، فكان فعل الحرس هـؤلاء فيه مخالفة لقانون السجن مما عرض بعض هـؤلاء الحرس للعقوبـة كما سمعنا لكن هـذا الأمر وما فعلـه هذا السجين أيضـاً من رفض تسليم بقايا الطعـام للحرس، سبب مشاكل وعقوبات لزملائه في العنبر قصة أخرى تبين كيف أن السجين ربما يقوم بفعل يتعب فيه أصحابه، ويجر عليهم العقوبة، الورقة والقلم داخل عنابر السجن الدرجة الثالثة والرابعة ممنوع إلا عند كتابة الرسائل فقط، أحد السجناء في طرف العنبر ويريد أن يكتب رسالة لصاحبه في طرف العنبر الآخر يبث له فيها همومه وأحزانه ولا يستطيع أن يتكلم أو يرفـع صوته لصاحبه حتى لا يستمع الناس لكلامه إذن أحسن طريقة أن يكتب لـه رسالة استطاع أن يحصل على قلم وورقة كتب الرسالة لكن من يحمل الرسالة إلى صاحبه في طرف العنبر هو لا يستطيع أن يسلمها للحارس لتوصيلها لصاحبها إذن لا بـد مـن أن تمر عـبر جميع الغرف من شبك الغرف مـن سجين إلى سجين يستلمهـا السجين بيده ويسلمها لمن بعده وهكـذا لكن وقع ما لم يكن بالحسبان في منتصـف الطريق رأى الحارس شيئاً ملفوفاً يتحرك من سجين لآخر قام الحارس وطلـب من السجـين الذي وصل عنـده الورقة والقلـم أن يسلمه هـذا الذي وصل إليـه من جاره، طبعاً رفض السجين، وسلمها لجاره والجـار الآخر لمن بعده حتى يشوش علـى الحارس، وحتى لا يستطيع مراقبة الوضع لكـن الحارس تابع انتقال الورقـة والقلـم لكن توقفت الورقـة والقلم عند أحد الغـرف ولم يستطيع السجين أن يتصـرف بالورقـة والقلم ممـا اضطـره إلى أن يلقي الرسالـة في دورة المياه، ويصـب فوقها الماء، فذهبت وتلاشـت وقام بتسليم القلـم إلى الحارس، النتيجة

أن الحارس، وكانت امرأة كتبت تقريراً عن القصة، جاء الحرس وفتشوا جميع الغرف التي مر فيها القلم والورقة وصادروا ما فيها، من الممنوعات التي كانت فيها كان فيها ممنوعات مخفية، كان عندهم طعام فاكهة خبز كاسات بلاستيكية معجون وفرش أسنان وحاجات أخرى ضرورية لكل سجين ممنوع تخزينها هذه الممنوعات التي يمنع أن تكون مع السجين صادروها ثم أنزلوا عقوبة على أصحاب هذه الغرف، أنظر كيف سبب هذا السجين التعب والعقوبات له ولأصحابه دون أن يكون لهم أي ذنب هذه قصة واحدة من كثير من المشاكل التي تحدث في السجن ربما كان السجين فيها هو السبب، لكن لا ننسى أن كثيراً من المشاكل التي تحدث في السجن ربما كان الحرس هم أنفسهم السبب في هذه المشاكل قصة شاهدتها بعيناي حصلت لأحد.

من مشاكل الحرس

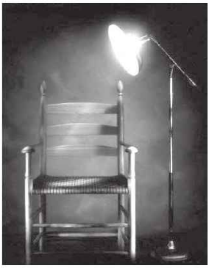

السجناء في عنبري إنه جار لي بيني وبينه بضعة أمتار إنه في الغرفة التي تجاور غرفتي، جاء الحارس، وكانت امرأة قامت بتفتيش غرفنا، لما خرجنا إلى المشي والاغتسال، لما رجعنا بعد الاغتسال والرياضة إلى غرفنا، وجدنا

هذه المرأة قامت بتفتيش كل شيء من أغراضنا، كان التفتيش بطريقة استفزازية بعض الأغراض أنزلته على الأرض وكانت الأغراض على السرير المرتفع عن الأرض، لم ينته الأمر إلى هنا.

أنزلت عليه عقوبة، سحبوا منه معظم الأغراض لمدة ثلاثة أيام وكتبت هذه المرأة في الكمبيوتر أن سبب العقوبة أن صاحب هذه الغرفة شتمها وقال لها انت سيئة وقبيحة (You are bad and agly) عادة العقوبة لا تنزل ولا تطبق عليك وقت الوردية أو النوبة التي كتبت فيها عليك العقوبة، إنما تأتي العقوبة في وقت النوبة والوردية القادمة، فالوردية الأولى مثلاً تكتب عليك العقوبة، والوردية القادمة تطبقها عليك، جاء الحارس وقال للسجين عليك عقوبة، أعطني أغراضك ممنوع استعمالها لمدة ثلاثة أيام، قال له السجين لماذا؟! قال له أنت شتمت الحارس في الوردية السابقة قال السجين أنا لم أقل شيئاً لها، أنا لم أتكلم معها أبداً، أنا لست خائفاً من العقوبة لو قلت لها شيئاً (أنت سيئة وقبيحة) لما أنكرت ذلك، لكن الحارس لم يلتفت إلى اعتراض صاحب الغرفة وسحب منه الأغراض لمدة ثلاثة أيام، ومثل هذه القصة قصص أخرى كثيرة وكما يقول المثل (ياما في السجين

مظاليـم) أي كثير من السجناء مسجونين ظلمـاً. إدارة السجن تقول يجب تطبيق القانـون حتـى عند الأمن مـن وقوع أي مخالفـة أو أي مشكلة، ربمـا يكون المعتقل مريضاً جداً، لا يستطيع المشي أو القيام، لكن لا بد من تقييده بالسلاسل، مثله.

تطبيق القانون

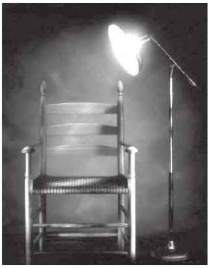

مثل المعتقل الصحيح، المريض ربما تقول أنه قد يتظاهر بالمرض والضعف وإذا أخذوه إلى التحقيق أو إلى الطبيب بدون تقييد، ربما يقوم بعمل مشكلة لهم، أو يقوم بضرب الحارس مثلاً لكن المعتقل الذي ساقه مبتورة، ساقه اصطناعية،

ليس عنده قدم، إنه لا يستطيع المشي البطيء إلا بعكازتين، فكيف سيسرع في المشي، أو يهرب، أو يقوم بضرب الحارس مثلاً.

إن القانون شيء مقدس عندهم، ومقدم على كل شيء، إنك تشاهد السجناء يلقون (يقذفون) الماء والشاي والحليب وربما البول والغائط، أو يبصقون على الجنود، أو يشتمونهم بأبشع الشتائم، سواء جنوداً أو مجندات لكن الجندي لا يستطيع أن يرد على السجين بنفس الرد إن أقصى ما يفعله الجندي أو المجندة هو تسجيل رقم الغرفة التي قام صاحبها بهذا العمل، أو المخالفة، وتسجيل نوع المخالفة، إنه يكتب تقريراً عن الحادث ثم يرفعه إلى من هو فوقه، لم أر حادثة واحدة يرد فيها الجندي على السجين، حتى الشتم والسب، إن الجندي يرى ويسمع ما يقوله أو يفعله السجين معه ثم يكتب ما حدث للمسؤول ليقرر العقوبة

لا يوجد شيء يضيع أو يفقد وينتهي هكذا، لا بد من العد والحساب والضبط لكل ممتلكات أو أغراض السجن، حتى الملعقة الصغيرة أو قلم الحبر إذا انتهى لا تتلفه أو تلقيه، لا بد من إرجاعه، حتى بعد انتهاء حبره، كل شيء محسوب ومعدود، التالف أو الذي انتهى مفعوله أو عمله، لا بد من تسليمه وإرجاعه، ربما يفقد قلم

حبر واحد في العنبر من ابسط وأرخص الأقلام التي رأيتها في حياتي، لا يستعمله أفقر عباد الله، إذا فقد هذا القلم تقوم إدارة السجن بإجراء تفتيش لجميع غرف العنبر، ولجميع المعتقلين، يقيدون كل سجين كما هو معروف بالترتيب ثم يخرجونه من غرفته، يفتشون جسمه ولباسه، شعر رأسه وشعر لحيته، يفتشون حذائه، ثم يقومون بتفتيش غرفته وجميع أغراضه بالدقة بحثاً عن قلم لأن القلم أداة حادة يمكن أن يستعملها السجين لضرب أو جرح أو إيذاء الجندي لقد حدث في العنبر الذي كنت فيه أن ملعقة واحدة فقدت من الجنود ولا أدري أكان هذا الفقدان حقيقة أم تمثيل لأن بعض الجنود، وهذا يحدث في السجن قد يتظاهر بفقدان شيء سلمه للسجين ويتهم السجين بعد ذلك أنه أخفاه.

تحرشا أو لاصطناع مشكلة لإيقاع عقوبة على السجين بدون ذنب، مع أن كثيراً من الحرس قد يصدقك لو قلت له أن الوجبة بدون ملعقة، ويحضر لك ملعقة أخرى، القصة كالتالي: إن كل وجبة عسكرية أو غير عسكرية يسلمها الحرس للسجين فيها ملعقة، لكن ملعقة الوجبة العسكرية أطول وأقوى من غيرها من الملاعق، عندما استلم السجين الوجبة فتحها وتفقدها فلم يجد فيها الملعقة فقال للحارس لو سمحت أيها الحارس إن الوجبة بدون ملعقة قال له الحارس: أعطني الوجبة فتشها الحارس فلم يجد فيها الملعقة؟ قال الحارس للسجين أنت أخفيت الملعقة، قال له السجين لم يكن في الوجبة ملعقة حتى أخفيها لقد استلمت منك الوجبة الآن قبل ثوان متى وكيف سأخفي الملعقة، احتدم النقاش بينهما، الحارس يريد إثبات أن كيس الوجبة فيه ملعقة والسجين يريد أن ينفي ذلك، لم يكترث الحارس بكلام السجين كان الوقت سحراً يتناول فيه السجناء الذين سيصومون غداً طعام السحور، ليست المشكلة أن تأكل بمعلقة أو بغير ملعقة، سهل أن تأكل بدون ملعقة، لكن المشكلة إن عدم وجود ملعقة هذا يعني أنك تنوي أن تتخذ هذه الملعقة أداة لتهديد الجنود أو ضربهم بها السجين المتهم بإخفاء الملعقة طيب ومسكين لا يحب المشاكل ولا يمكن أن يخفي المعلقة لو كانت موجودة، أكل

السجـين وجبتـه بدون ملعقة وبعد ثلاثـين دقيقة عند تسليم بقايـا الطعام استلم الحارس الأكياس الفارغة (بقايا الطعام) من جميع السجناء، وعادة الحارس أنه يدقـق ويشيك على الملعقـة قبل أي شيء، استلم الحارس بقايا الطعام من جميع السجنـاء بالتمام، لكن هذا السجين لا يوجد ملعقة في بقايا الطعام التي أرجعها، استلـم منه بقايـا الطعام، وبعد ذلك قـام الحرس بتفتيش الغـرف الموجودة عن يمين وشمال صاحب المشكلة، تفتيشا جسمانيا لجميع سكان هذه الغرف، وتفتيش الغرف والأغراض، سواء الغرف التي استلم أصحابها الوجبات أم لم يستلموا، لأن بعض الغرف التي لا يريد أصحابها الصيام لم يستلموا وجبة سحور.

حـدث معي ومـع جاري ذات مرة مثل هـذه القصة، قام الحارس وسلم لنا وجبة الفطور بدون ملعقة.

لم أنتبـه أن طبـق الطعـام بدون ملعقـة، إلا بعد أن تجـاوز الحارس غرفتي بضعـة أمتـار، قلت أيها الحارس، لا يوجد ملعقة على طبق الطعـام، انتبه جاري للأمر وقال أنا أيضاً لا يوجد عندي ملعقة، قال الحارس أعطيتكم ملاعق قلت لا، سلمتني الطبق بدون ملعقة وأنا صادق ولو أردت أن أكذب عليك، جاري أيضاً ليس عنده ملعقة، لم يكترث بكلامنا، قلت له أنا لم أعمل أي مخالفة مع أي حارس طيلة وجـودي في السجـن، إن ملفي في السجن أبيض كالثلج، ارجع إليه إن شئت وجاري رجـل طيـب، مسكين، لا يحب المشاكل، ليست المشكلـة في الأكل بالملعقة أو بدونها، الطعام أصلاً لا يحتاج إلى ملعقة إنه قطعتين (توست) من الخبز الصغير، وقليل مـن البيض المقلي لكـن فقدان الملعقـة يسبب لـك مشكلة قال الحارس، سأقوم بتفتيشكمـا قلت لا بأس قام الحارس بتقييدنـا والتفتيش دقيق جسماني، وللغرفة وللأغراض، لم يجد عندنا شيء، لكنه سبب لنا مشكلة ألقى الأغراض على الأرض وعلى الماء وألقى بعضها على النجاسة على فتحة الحمام وانصرف.

هنـاك نوع مـن العقاب تقوم به إدارة السجن للمسجـون العقاب ليس ضربا ولا سحباً للأغراض. ولا جلوساً في غرف التحقيق لساعات طويلة تحت المكيف، أو فتـح سماعات مسجل كبير على السجين في غرفة التحقيق أو... إنه عقاب من نوع آخـر، وهو نقل السجين إلى عنبر دلتا، ومـا أدراك ما عنبر دلتا إنه عنبر المرضى جسديـاً أو نفسيـاً، أصحاب الحالات الطارئة، كل من يحـاول الانتحار عن طريق المشنقـة أو عـن طريق جرح نفسه أو تقطيع شرايـين وأوردة جسمه بآله الحلاقة، فهـذا العنبر عنبر غير طبيعـي، أنه مكان لعقاب أصحاب الحـالات الشاذة الغير طبيعيـة، وهـو أيضاً يستعمل لعقـاب الأصحاء ليعيشوا بين المرضـى، لأن الإنسان الطبيعـي إذا دخل هذا العنـبر سيتعب نفسياً؛ لأنه يعيش بـين اناس غير عاديين، لذلـك مـن يدخله لا بد أن يعيش فيـه شهوراً دون أن يعمـل أي مخالفة أو مشكلة، وإذا فعل أي مخالفة تضاف له مدة أخرى في العنبر فوق المدة الأصلية المقررة، له تتناسب هذه المدة مع المخالفة التي ارتكبها وكل من يعيش في هذا العنبر يتمنى أن يخرج منه بسرعة وينتظر اليوم الذي سيغادر فيه هذا العنبر، لذلك عليه أن يلتزم بقوانين ولوائح السجن حتى يخرج من هذا العنبر إلى عنبر آخر.

بعـد إطلاق سرحنا من جوانتنامو ووصولنـا إلى قاعدة بجرام في أفغانستان يصبح لديك ملاحظات ومشاهدات.

القانون

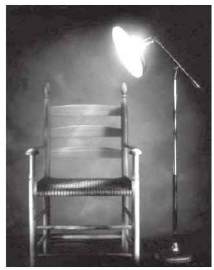

إنك تقف حائـراً أمام التزام جميع الجنـود والضباط بالقانـون والنظام، لا يستطيع أحد منهـم أن يخالف القانون، إن القانون بالنسبـة لهم كالالة أو الدين بالنسبـة لنـا، إن عنـد المسلمـين شـيء يسمى هذا حلال وهذا حرام، هذا يجوز

وهـذا لا يجـوز، هذا فيه أجر وثـواب وهذا فيه إثم وعقوبة، هـذا يؤدي إلى الجنة وهـذا يؤدي إلى النار، وهكذا... عندهم، لا يوجد مثـل هذه الأحكام والتقسيمات إن القانون هو كل شيء عندهم إن كان القانون يمنعه فهو لا يستطيع أن يفعله لا بد إن يلتـزم بالقانون حتى لا يقع تحت طائلة العقاب، حتى لا تصل إليه يد، القانون، لقـد كنـا في هذه القاعدة بعـد رجوعنا من جوانتنامو نعيش مختلطين تقريباً مع الجنـود، يعيش معنا في الغرفة منهـم حارسان على مدار الأربـع وعشرين ساعة وربمـا ثلاثة، نذهب إلى حمـام الاغتسال، يكون واحد منهم معنا نذهب إلى مكان قضـاء الحاجـة، يذهب واحد منهم معنـا، إن قسماً منهـم كان يلعب معنا الورق، وكان بعضهـم يجلس ويـأكل معنا طعامنا، أما الحديـث والنقاش بيننا وبينهم في موضوعـات مختلفة فكثير جـداً، لا يخلو يوم إلا ويجري فيه نقاش بيننا وبينهم، إن قسمـاً كبيراً منهم رجالاً ونساءً يدخن السجائـر لكن لا يستطيع أحد منهم أن يدخن في داخل الغرفة التي نعيش فيها، إن القانون يمنعه أن يدخن داخل الغرفة، كان يذهب خارج الغرفة ويدخن سيجارته سواء كان الجو حاراً أو بارداً لم أشاهد واحـداً منهم ولو مرة واحدة يدخن داخل الغرفة، حتى إن مكان التدخين في خارج

الغرفة له مكان خاص ويستحيل أن تجد جندياً أو ضابطاً يدخن في غير هذا المكان، إن الأرض التي يدخن عليها المدخنون ليست إسمنتية أو ذات رخام أو.... إنها حصباء حجارة صغيرة لكن أعقاب السجائر لها مكان خاص، سلة حديدية صغيرة توضع فيها أعقاب السجائر، لا يمكن أن ترى شيئاً من أعقاب السجائر على الأرض، ألاورق أو أي بقايا أخرى تعجز أن تجد شيئاً من هذه البقايا في الساحة، إن أماكن هذه البقايا له مكان خاص، وسلات مهملات خاصة.

حتى في دخول المبنى الذي يعملون فيه وكان يواجه غرفتنا مثلاً يمنع دخول هذا المبنى بالسلاح لجميع من في القاعدة الجندي أو من فوقه، تجد الجندي أو الضابط، الجميع ينظفون أسلحتهم من الرصاص أولاً قبل تسليمه لمسؤول المخزن أو المستودع ثم يدخل المبنى، إنك تعجز أن ترى واحداً منهم يسلم سلاحه للمخزن قبل تنظيفه والتأكد من خلوه من الرصاص، أو يستلمه من المخزن بعد خروجه من المبنى ويحمله قبل تنظيفه وخلوه من الرصاص، لقد كان بعض الضباط يقومون بزيارات عمل إلى غرفتنا، فتظن لأنهم ضباط ربما يتجاوزون بعض القوانين، لكن عندما تشاهدهم في الساحة لا بد أن ينفذوا ويطبقوا القوانين كغيرهم من الجنود سواء بسواء.

وقت طابور الصباح والمساء يندر أن يتخلف أحد عن حضور الطابور في موعده، الحضور إلى الطابور قبل موعده بربع ساعة مثلاً، بداية شفت أو (وردية) الحراسة طيلة فترة وجودنا في معتقل جوانتنامو أو وجودنا في بجرام لا يمكن لحارس أن يترك حراسته قبل أن يسلمها لغيره، لمن بعده حتى لو تأخر الحارس الذي بعده وهكذا.

ملاحظة

في الحقيقة إن بعض الجنود لا يحب عمل المشاكل، يريد أداء عمله ثم ينصرف، تشعر أن فيه الرغبة في مساعدتك، وربما يتألم لحالك ولقصتك وقضية اعتقالك، إن السجين في ذهنه ومخيلته أمر مرعب ومخيف، ووحش، إن

السجين في ذهن هذا الحارس إرهابي (كما يسمونه) قتال يحب سفك الدماء، يعتدي على الآخرين، لا يحب الآخرين، عنده بعض صفات الجن والشياطين، والأرواح الشريرة التي يمكنها أن تخترق شبك السجن الحديدي، وتطير وتنتقل من مكان إلى آخر، هذا ما يقوله المسؤولون في إدارة السجن عن السجين لهذا الجندي الجديد الذي جاء يقضي خدمة في معتقل جوانتنامو، إن بعض الجنود ربما يبيح لك بكثير من الكلام، وكثير من التعليمات التي يتلقوها من مسئوليهم في طابور الصباح قبل أن يتم توزيعهم على عنابر السجن لأداء مهماتهم إن المجموعات التي تتناوب على حراسة وخدمة السجناء تتغير كل ستة أشهر تقريباً هذا ما كنا نلاحظه نحن في المجموعات الذاهبة والقادمة إلى هذا المعتقل وهذا ما كان يقوله بعض الجنود، إن كثيراً من المجموعات لا تحب أن تخدم في هذه الجزيرة (كوبا) ولا في هذا المعتقل- جوانتنامو- إنهم لا يحبون رؤية هؤلاء السجناء، الإرهابيون، إنهم يحسبون ويعدون فترة خدمتهم في هذه الجزيرة ليس بالشهور أو الأسابيع إنهم يعدونها بالأيام ولا أبالغ إن قلت إنهم يعدونها بالساعات، هكذا كان يظهر منهم، إن المجموعة الجديدة من الجنود عندما تصل هذه الجزيرة يعطونها

تعليمات جديدة في كيفية التعامل مع السجناء يملأون رؤوسهم وقلوبهم عن هؤلاء الوحوش كما يقولون هم، وهذا ليس كلامي بل من كلام بعض الجنود، يقولون لهم إن هؤلاء الإرهابيون الذين يعيشون في هذه الأقفاص اعتقلناهم وأخرجناهم من الجحور والمغاور في أفغانستان، لقد قيدناهم وأحضرناهم هنا، إنهم خطيرون لهم القدرة الكبيرة على الهرب، إنهم كالجن والأرواح الشريرة أحذر منهم عندما تقيدهم بالسلاسل أو عند تفتيشهم كن حذراً جداً منهم، لا تتكلم معهم إلا في الضرورة القصوى، لا تلمس جسدهم ولا أي شيء من أغراضهم بيدك إنهم مصابون بالأوبئة والأمراض المعدية لذلك لا يمكن أن يأخذ الحارس منك شيئا أو يعطيك شيئاً إلا وهو يلبس القفاز (gloves) وإذا أردت أن تعطيه شيئاً أو يستبدل لك معجون أو فرشاة أسنان، ولم يكن يلبس القفاز على يديه يقول لك انتظر، يذهب ويلبس القفاز، ثم يستلم منك ما تريد.

إنك تشعر بالفرق الكبير بين معاملة هؤلاء الجنود عندما يأتون جديداً في بداية دورتهم، وبين معاملتهم بعد مرور شهر أو شهرين من وصولهم، السبب أن هؤلاء الجنود بعد مرور فترة من الزمن ومن خلال تعاملهم لهم مع السجناء، تتغير فكرتهم كثيراً عن السجناء ويشعرون أن إدارة السجن قد ضخمت الأمر وكبرت لهم القضية عن السجناء، كثيراً جداً، إنها خدعتهم أو بصراحة كذبت عليهم، إنهم يكتشفون أن السجناء شيء آخر غير الذي سمعوه وتعلموه من مسئوليهم، إن هؤلاء السجناء أو اكثرهم أناس لا يحبون عمل المشاكل إنهم بريئون من التهم التي توجه إليهم ليسوا جميعاً من تنظيم القاعدة أو حركة طالبان، لقد قال أحد المحققين لأجد السجناء لم يثبت حتى الآن على جميع من يوجد بهذه القاعدة من المعتقلين أنه من تنظيم القاعدة أو حركة طالبان إلا على مجموعة قليلة منهم فقط إنهم أناس نظيفون، مرتبون يؤدون عبادتهم وصلاتهم على أحسن وجه لا يوجد سجين إن أقيمت الصلاة لا يصلي جماعة مع بقية السجناء، إنهم يقرءون القرآن أو منصرفين في قراءة الكتب الأخرى المفيدة، إنهم عفيفون لا ينظرون إلى

النســاء، كثير منهم لا يقبلــون السلام أو اللمس لأي امــرأة، كثير منهم لا يقبلون الخــروج إلى التحقيق أو المشي والرياضة والاغتسال أن رافقته امرأة، لا يخرجون إلا مضطريــن، إنهم يفضلــون أن لا تقوم النساء بخدمتهم وحراستهم في العنابر، إنهــم يطالبون إدارة السجن باستبدال هذه النساء برجال لقد شعر هؤلاء الجنود ومن خلال المعاملة والاحتكاك، أو الكلام مع بعض السجناء، بحقيقة الأمر أحسوا بالوضع الصحيح لهؤلاء السجناء شعروا أن هؤلاء السجناء أقسام، القسم الأكبر والأكــثر كان في أفغانستان مــع حركة طالبان، وعندما قامــت الحرب هرب قسم كبير منهم إلى باكستان يريد الفرار، يريد أن لا يدخل هذه الحرب، لكن باكستان قامــت باعتقالهم عن طريــق القبائل الحدودية وسلمتهــم للأمريكان وأحضرهم الأمريكان إلى كوبا.

وقســم منهم فــر إلى الجبال والمدن والقرى الأفغانيــة، وقسم بقي في موقعه يقــاوم ويدافع فقتــل قسم من هؤلاء وجرح قسم آخــر، واستسلم للقوات الأفغانية وتحالــف الشمــال، قســم من هــؤلاء، وجميــع هــؤلاء، أصبحوا في قبضــة القوات الأمريكيــة، سمعت أن بعضهم فر إلى إيــران، لكن إيران لم تسلم للأمريكان أحد منهم، إنما سلمت قسماً منهم إلى بلدانهم، وقسم آخر سلمته إيران إلى الحكومة الأفغانية، التي سلمتهم بدورها للأمريكان، بدأت عقدة الحذر من هؤلاء السجناء تنفك عند الجنود الجدد شيئاً فشيئاً، عندما سمعوا أن قسماً من هؤلاء المسجونين أصحاب شهادات عالية، وتخصصات محترمة أو نادرة يتعجبون، عندما يسمعون أن قسماً من هؤلاء السجناء لم يدخل طيلة عمره إلى أفغانستان، ولم يدخل معسكراً في حياتــه، لا يعــرف التدريب ولا استعمال السلاح أو المتفجرات، إنه كان يعيش في باكستان في أعمال دراسة وتدريس في العلم والتعليم، إنه يعيش في باكستان مهاجر فاراً بدينه مــن بلاده، إنهم كانوا يعيشون في باكستان يعملون في مؤسسات إغاثية تساعــد المهاجريــن الذين فروا من أفغانستــان أثناء الغزو الروســي لأفغانستان، يعملــون في مدارس وكليــات وجامعات، يدرس فيها الطلاب الأفغــان المهاجرين

مـن بلادهم فـرارا مـن الغزو الروسـي لبلادهـم، هـذه المؤسسات كانـت تقيم المدارس والمعاهد والمستشفيات وملاجئ الأيتام لهـؤلاء المهاجرين، إنهم يعيشون في باكستـان بـأوراق وجوازات رسميـة وتصاريح وإقامـات صحيحة من الحكومة الباكستانيـة، كانـوا يسكنون في بيوتهـم ويعيشون مع عائلاتهـم عندما اعتقلتهم القـوات الباكستانية، كانوا يعيشون في مدن تسيطر عليهـا الحكومة الباكستانية، مـا كانوا يعيشون في الجبال والمغـاور ولا في مناطق القبائل المستقلة التي لا تخضع للحكومة الباكستانية، هذه المعلومات التي سمعها الجنود من السجناء ورأوها بأم أعينهـم، ولمسوهـا بأيديهم، ليس يومـاً واحداً، أو مرة واحدة بـل لأيام، بل مراراً وتكراراً لشهور متوالية، تغاير تماماً الصورة التي كانت في أذهانهم.

مشاهدة

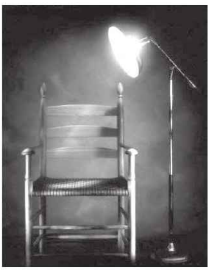

إن الجندي يطبق النظام ينفذ الأوامر التي تأتي من فوقه، بعض الجنود لا يحب التخريب أو القتل والتدمير، والجنود كبقية الناس العاديين في بلادهم تحب الحياة وتريد التمتع بزينة الحياة الدنيا، وتلبية شهوات النفس،

ليس لها هدف آخر، ولا يهمها حققت بلادهم أهدافها وطموحاتها أم لا، الجندي عنده وظيفة أو واجب، يريد إنهاء ساعات دوامه دون أن يلحق به أي نقص أو خصم في مخصصاته ولا ينال العقاب، لا يحب أن يحدث أثناء عمله أو ساعات دوامة أي مخالفة، حتى لا تطوله يد القانون بسببها، أما بعد إنهاء عمله أو خارج ساعات دوامه فلتنقلب الدنيا رأساً على عقب فلا يهمه شيء كان تخزين الطعام في أحد العنابر ممنوعاً، وكان السجناء بحاجة إلى المحافظة على هذا الطعام حتى المغرب، لأنهم كانوا صائمين، فلما جاء الحرس الجديد قال أحد السجناء لرئيس الحرس إن عند بعض السجناء طعام ويطلب منك أن تسمح لهم بتخزينه من الظهر (الآن) إلى وقت المغرب وعند المغرب سيأكلون هذا الطعام، فقال رئيس الحرس لا بأس، ليس هناك مشكلة في تخزين هذا الطعام إلى المغرب أنا موافق لكن بشرط أن لا تعملوا لنا مشاكل تتعبنا، قال السجناء اتفقنا.

في أحد الأيام كانت حراسة العنبر لجنود من البيض، فلما قاربت حراستهم على الانتهاء وحضرت مجموعة الحرس الجديدة، وكانوا من السود، قال أحد

الحراس البيض الذين أنهوا عملهم للسجناء، إن هؤلاء الحرس الجدد ليسوا جيدين، اعملوا لهم، سببوا لهم المتاعب والمشاكل والمشاغبات، كسروا لهم أطباق الطعام وكاسات الماء.

معاملة تغيرت

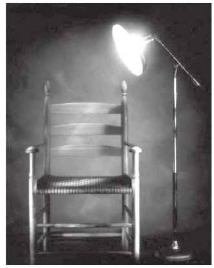

إدارة السجن كما سمعت من السابقين الأوائل الذين وصولوا إلى جوانتنامو كانت تقدم وجبات الطعام- العسكرية- لهم كاملة غير ناقصة، لكن بعد فترة بدأت تفتح هذه الوجبات وتأخذ منها الكثير ثم تقدمها للمعتقلين

ناقصة وغير كاملة كانت تقدم لهم فرشاة الأسنان، الجيدة التي يدها طويلة مما يسهل عملية تنظيف الأسنان فأصبحت تقدم فرشاة بسيطة جداً وبدون يد يمسكها يدخلها المعتقل برأس إصبعه، حتى يستطيع أن ينظف ما يستطيع تنظيفه، التنظيف بهذه الفرشاة غير جيد، بعد فترة أصبحت الفرشاة أحسن حالاً من هذه لكن ليست مثل الفرشاة الأولى، سبب هذا التغيير أن إدارة السجن خافت أن يستعمل السجناء الفرشاة ذات اليد الطويلة كأداة حادة لتهديد الحرس أو لضربهم بها.

الصابون كان يصرف لكل سجين صابونة كبيرة، معجون الأسنان كان أيضا يصرف لكل سجين معجون كبير، تغير الحال أصبح الصابون صغير جداً وأصبح معجون الأسنان أصغر من سابقة، لأن بعض السجناء بدءوا يستعملون المعجون أو الصابون لغسل وتنظيف أرض الزنزانة، مع أن أرض الزنزانة لها (شامبو) خاص لتنظيفها يعطيه الحرس للمعتقل عند ما يطلبه لقد شاهد الحرس مثل هذه الأفعال فرفعوا تقارير إلى المسؤولين عما يجري فتم تبديل الفرشاة أو الصابون أو معجون الأسنان.

إختيار

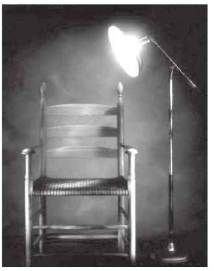

اختيار لباسٍ للمعتقلين في جوانتنامو؟ لماذا اللون البرتقالي.

ربما يظن البعض أن هذا الاختيار لهذا اللون عفوياً وبدون قصد وكنت أنا ممن يظن هذا الظن حتى سمعت أن هذا اللون من الألوان المكروهة في الإسلام، وقد نهى النبي ﷺ عن اللون الأحمر وفي الحديث أحب الألوان إلى الشيطان الأحمر. حتى السلم الذي يستعمله الجنود في التسلق والصعود في أعمالهم داخل السجن أحمر وحتى الطائرة المروحية التي كانت تحلق وتطير فوق المعتقل لونها أحمر مصبوغة بصباغ اللباس الذي نلبسه، قد يكون هذا التحليل والتفسير داخل في اختيار هذا اللون، لملابس المعتقلين، وقد يكون هنالك تفسير أو تحليل آخر، والله أعلم بالصواب.

قصة النظارات

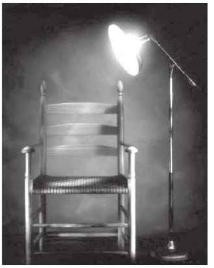

بعض المعتقلين معتاد على لبس النظارات لضعف بصره، لما تم ترحيلنا من بجرام إلى كوبا، أخذوا منا جميعاً هذه النظارات ولما وصلنا إلى كوبا وبعد مطالبات كثيرة من المسؤولين، وبعد مضي شهر ونصف تقريباً تم صرف

نظارة لمن يريد، لكن قوة النظارة ليست هي القوة والمقاس المطلوب لكل معتقل، إنها نصف المقاس ونصف القوة المطلوبة لكل شخص إنك لا تكاد ترى بها لكنها أفضل من العدم ولما اشتكينا إلى إدارة السجن ما نعانيه من ضعف في الرؤية وتعب في القراءة قالوا إن إدارة السجن لا تستطيع صرف نظارة حسب مقاس وحسب المطلوب لكل سجين قلنا لماذا؟ قالوا إن القانون في هذه القاعدة العسكرية- جوانتنامو لا يسمح بصرف نظارة للمعتقل كاملة المقاس كما يريد المعتقل لنواح أمنية في القاعدة، لا يسمح إلا بصرف نظارة نصف المقاس ونصف المطلوب لكل معتقل، إن هذا القانون يعني أن تبقى تعاني من ضعف في الرؤية، وهذا يعني أن رؤيتك ستبقى تضعف شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت، إن النظارة الطبيعية ذات المقاس المطلوب ممنوعة لنواح أمنية،

فماذا عساك أن تؤثر بهذه النظارة عليهم، وماذا عساك أن تكتشف أو ترى فيها؟ هل هي تلسكوب أو منظار ستكشف به الأسرار أو تخترق به الحواجز، إنها نظارة نظارة فقط.

تسليم المصحف

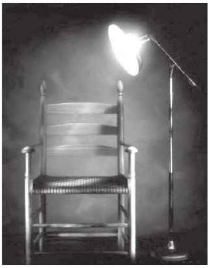

لقد كان يحدث أن يقوم بعض الجنود بتفتيش المصحف وهذا التفتيش يحدث غضباً وربما إضراباً ومشاكل مع الحرس بسبب هذا التفتيش، وحتى لا يتكرر هذا التفتيش من الحرس للقرآن، وحتى لا تحدث الإهانة للقرآن الكريم

قرر الكثير من المعتقلين تسليم مصاحفهم إلى إدارة السجن، لكن إدارة السجن والمسؤول الديني رفضوا استلام المصاحف من المعتقلين، وحصل إصرار من المعتقلين لتسليم المصاحف قابل هذا الإصرار رفض قاطع من إدارة السجن باستلام المصاحف.

تغيير الطعام

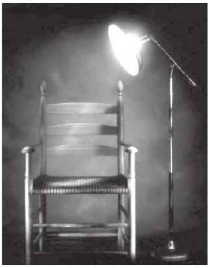

في هـذا العنبر- عنـبر العقوبات- تم تغيير الطعـام، أصبح الطعـام نوعياً أفضـل، لكن كميـاً أقل، الكميـة لا تكفي أغلـب السجنـاء، الفواكـه زادت، بعض الأيام يعطون السجين في الصباح نوعين من الفاكهة، وربما في الظهر لكن ليس في

كل الأيام بل في بعضها، يومين في الصباح يقدمون علبة (صن فلكس) لكل سجين، الشاي والحليب صباحاً بقي كما هو، لكن الحليب بعض الأيام يأتي غير طبيعي- لا يشربه معظم السجناء لأنه مغشوش بالماء، أو يكون حليباً جافاً مذاباً في الماء.

كميـة اللحم أو الدجاج زادت، لكن كمية الأرز والخبز نقصت، كمية الخضار بقيت كما هي تقريباً.

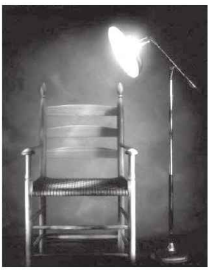

مضت الأيام، وشعر السجناء أن هذه الإجراءات التي تعملها إدارة السجن معنا، إنما هي إشارات وعلامات الخروج من السجن، وأن الفرج قريب بإذن الله تعالى، لكن في أحد الأيام، الرياضية، والخروج والمشي والاغتسال تركني

الحرس في الحمام- مكان الاغتسال- أكثر من الوقت المعتاد، وهو خمس دقائق، تركني أكثر من عشرين دقيقة، قلت للحارس ماذا حدث انتهى وقت الاغتسال، أريد الرجوع إلى غرفتي، قال أنتظر، قلت انتظرت طويلاً مضى الآن نصف ساعة، هذا وقت طويل جداً أخيراً أرجعوني، وصلت الغرفة، قلت للجيران ما الأمر؟ لقد أخرني الحرس كثيراً في مكان الاغتسال، قالوا ماذا يوجد من الكتابة في غرفتك. قلت لا شيء، لا يوجد عندي قلم لأكتب به قالوا لقد حضر المحقق والمصور إلى غرفتك وصور.

الكتابة الموجودة في الغرفة وانصرفوا، فعرفت السر في تأخيري في مكان الاغتسال، قلت للجيران إن الكتابة الموجودة في الغرفة بقلم الحبر الجاف منذ شهر، لم أستطيع أن أقرأها قلت لجاري هل تستطيع قراءتها؟ قال: نعم الكتابة هي إذا ضاقت عليك الأحوال، أو الدنيا فالجأ إلى (فعليك) (بألم نشرح لك صدرك) وكلام آخر نسيته، يحضن ويأمر بالصبر وتحمل الأذى، قلت كل هذا التأخير وحضور المحقق والمصور من اجل هذا الكلام، إن هذا الكلام لا يشكل أي خطر على السجين والسجناء لا يحمل أي معنى للتحريض أو الإضراب، لا يشتم

ولا ينتقد أمريكا ولا أحد من الناس، لكن إدارة السجن أو من هو فوقهم لا يوجد عندهم شيء اسمه مزاح أو هزار، كل ما تقوله وكل ما تكتبه وحتى كل إشارة منك يأخذونها مأخذ الجد، ويسألون عنها، ويجرون معك تحقيقاً بشأنها، إنهم يحسبون لها ليس حساباً واحداً بل ألف حساب، ويفسرونها ويحللونها تفسيرات وتحليلات لا تخطر على بال أحد، ولا تأتي، بمقصد إنسان ويفترضون لها افتراضات لا تتحقق حتى في المنام والأحلام، حدث أن أحد السجناء خرج إلى مكان المشي والرياضة وبدأ يرسم على الأرض الإسمنتية، بحصى صغيرة جداً شيئاً يلعب به أو يعبث به، هكذا دون أن يكون له أي معنى أو أي قصد، رآه الحارس وهو يلعب ويرسم، وبعد خروجه من مكان المشي ورجوعه إلى غرفته، ذهب الحارس وأخبر المسؤول بما رأى، حضر المحقق والمصور وصوروا هذه الرسمة الموجودة على الأرض وقام المحقق وطلب السجين وسأله عن معنى هذا الرسم وما المقصود منه، ظن المحقق أن هذا خطة لأمر خطير- كروكة- بروفة- تدريب- لعملية ما.

قال لهم السجين إن هذا مجرد لعب، شيء لا معنى له ولا أقصد منه أي شيء، إنك تشعر أن هؤلاء القوم لا يوجد عندهم شيء لا معنى له، أو لا قصد فيه، لا بد أن تفسر كل ما تقوله أو تكتبه أو ترسمه أو تشير به كل شيء يصدر منك يخضع للتحقيق، للفحص للتحليل للبحث.

التفتيش

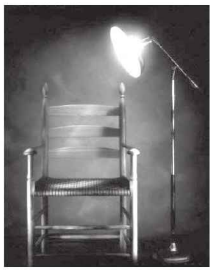

إدارة السجن تقوم بين الحين والحين بتفتيش عام لكل عنابر السجن وللسجناء، تفتيش كل ما يوجد عندك من أغراض، حتى الكتب إن كان عندك كتب، أي ورقة أي صورة، أي رسم أو إشارة، أو كتابات يجمعون كل ما يجدونه

في غرفتك يوضع في كيس، كل غرفة لها مغلف أو كيس لوحده عليه رقم الغرفة، يذهب هذا المغلف للتحقيق للبحث فيه وتحليله وتفسيره، وربما يطلبونك للتحقيق، ليسألوك عنه إن تطلب الأمر ذلك، التفتيش يكون في ليلة واحدة لجميع عنابر السجن، يقطعون الماء، يغلقونه عن جميع العنابر حتى لا يقوم أحد السجناء بتهريب أو إتلاف شيء وتسريبه في الحمام،- مكان قضاء الحاجة وحتى هذا المكان يقوم الحرس بتفتيشه حتى لا يقوم أحد بتسريب أو وضع شيء فيه، يبدأ التفتيش عنبراً بعد عنبر، يقيد السجين بالسلاسل كما ذكرنا من قبل داخل غرفته ويقف ووجهه إلى جدار الغرفة المشبك، يقوم الحرس بتفتيشه تفتيشاً دقيقاً جسده، ملابسه، حذاؤه، شعر رأسه وشعر لحيته، والطاقية إن وجدت على رأسه، يفتش حذائه، ويخرج به الحرس إلى مكان الرياضة والمشي، ثم تفتيش غرفته، أي ثقب في الغرفة تفتيش أغراضه وفراشه وكتبه، حتى القرآن الكريم، يقوم مترجم عربي بفتح صفحات المصحف، والحارس ينظر إليه، وأي ورقة أو كتاب أو صورة أو رسمه، أي شيء مكتوب يجمع في مغلف ويرسل إلى التحقيق، وكثير من السجناء خضعوا للتحقيق بسبب كتابات أو رسمات وجدت في غرفهم، حتى أن أحد السجناء

في عنبري كان يكتب شعراً باللغة الإنجليزية كان هذا السجين لا يعرف العربية إلا قليلاً ،هو من بريطانيا هذا الشعر كان يحفظه غيباً، وكان يكتبه رموز وكلمات ناقصة حتى لا ينتحلها أحد أو ينسبها إلى نفسه، هذا الشعر كان ينتقد فيه السجن والسجان والمعاملة القاسية التي يتعامل بها السجان مع السجين ينتقد فيها أمريكا وسياستها في معاملة الشعوب، يقول في شعره إن الإنسان الأمريكي مرتاح مسرور على حساب غيره، الناس تنزف دماؤهم، فقراء بحاجة إلى المساعدة، لكن لا يلتفت إليهم أحد، وهكذا كانت معاني القصيدة كما أذكر، لما وجد الحرس هذه القصيدة- ذات الرموز، ناقصة الحروف أثناء التفتيش، وضعت عليه عقوبة ونقل إلى السجن الإنفرادي بسبب هذا الشعر، وطبعاً صودرت القصيدة ولم ترجع له رفض تسليمهم الرسالة في البداية، وحدثت مناقشة بينه وبين الحرس ولم يسلمهم الرسالة إلا بعد تعب، لا بد أن يسلم القصيدة من أول أمر، سجين آخر يسكن في العنبر الذي أسكنه، رأى الحارس عنده صورة مسجد، قال له الحارس. يمنع رسم المساجد والاحتفاظ بها، لا بد من تسليم هذه الصورة للحرس قال له السجين أنتم تسلمون لنا الورق والقلم، ماذا سنفعل بالقلم والورقة، إلا الكتابة أو الرسم، رفض السجين تسليم صورة المسجد للحارس، رفع الحارس الأمر إلى مسئوله، والمسؤول إلى مسؤول أكبر منه، حضر المسؤول الكبير إلى العنبر وبعد مشادة في الكلام سحب الصورة من السجين، وسجلت عقوبة على السجين، لأنه رفض تسليم الصورة من أول مرة للحارس لأن هذا يعتبر عصياناً لأوامر الحرس. والورقة والقلم لا تسلمان إلا لمن كان من الدرجة الأولى.

سجين آخر كتب على الورق الذي يستلمه من الحرس آيات وأحاديث تحض على الجهاد وتبين أجر المجاهدين والصبر في الجهاد، ودرجات الشهادة- لما جرى تفتيش عام للعنابر صودر الورق من صاحبه مع أن هذه الآيات في القرآن الموجود بأيدي السجناء، وهذه الأحاديث موجودة في الكتب التي تسلمها إدارة السجن للسجناء، هذا شيء عجيب ومتناقض، لقد رأيت أحد جيراني تصادر

إدارة السجـن أوراقه التي كتـب عليها، دروس في اللغة العربيـة، النحو والإعراب وتجويد القرآن، سجين آخر في العنبر الذي أسكنه رأى معه الحارس ورقة فطلبها منـه فرفض المعتقل، قام الحارس ورفع الأمر إلى مسئوله الذي أصر على استلام الورقة، رفض السجين الأمر وقام بتقطيع الورقة. قطعاً صغيرة، وأعطاها للمسؤول الـذي اعتـبر هذا التقطيع عملاً يستحـق عليه السجين عقوبـة، وفعلاً وقعت عليه عقوبة ونقل إلى العنبر الإنفرادي.

أحـد جيراني الـذي بينه وبيني الشبك فقط أعطاني ورقـة عبر الشبك فرآه الحارس، جاء الحارس وقال ما هذه الورقة؟ قلت ورقة من جاري قام الحارس ورفع الأمـر لمسئوله، حضر المسؤول وقال أيـن الورقة؟ قلت له تريدها خذها هي رسالة والرسالـة قبل أن تصل لصاحبها تمر على التحقيق ويقرأها التحقيق ويشطب ما يريـده منها أو يتركها كما هي، يريد جـاري أن يطلعني على بعض أخباره، وأخبار بلده، إنها أخبار عادية، ومثل هذه الحوادث يقع الكثير.

بشارة

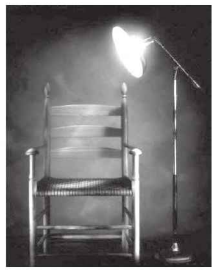

في نفس اليوم الذي وجد الحرس الكتابة في غرفتي، تم نقلي إلى غرفة أخرى ولكن في نفس العنبر، كان النقل قبل الظهر بساعة، لكن بعد صلاة الظهر مباشرة، جاء الحرس وقالوا عليك تحقيق، قلت لهم جاهز، تم التقييد

بالسلاسل، ثم التفتيش، سرت مع الحرس، ظننت أن التحقيق سيكون حول الكتابة التي وجدوها مكتوبة في غرفتي اليوم، دخلت الغرفة لكن وجدت مصوراً وثلاثة رجال وقوفاً، وأمامهم على الطاولة حبر وأدوات تتعلق بالبصمات، لم أجلس، قام الحارس وفك قيد يدي اليمين فقط، وقام رجل آخر يمسك أصابعي، وأخذ بصماتها على الورق الأبيض، وعلى أوراق بلاستيكية ملساء، كانت البصمات لجميع أصابع يدي اليمين بأشكال مختلفة، رأس الأصابع ثم جميع الأصابع، ثم الكف مرة واحدة، لا يقل عن عشرين بصمة لليد الواحدة، ومثلها لليد الأخرى.

ثم جاء دور التصوير، التصوير للوجه من الأمام، ثم عن جهة اليمين، ثم من الجهة اليسرى، ومن زوايا مختلفة، لم يكن الأمر بالنسبة لي مكلفاً أو شاقاً، ما كان يوجد عندي أي مضايقة نفسية أو بدنية مما يفعلونه، كنت أفكر فيما يفعلونه معي في هذه الجلسات الأخيرة، وأتوقع وآمل أن الأمور في السجن في لمساتها الأخيرة، وأن كل ما يجري يشير إلى أن نهاية هذه المأساة قريبة جداً، كان الأشخاص الذين يعملون البصمات لي عاديين، لم يظهر منهم شدة أو قسوة، لا في العمل ولا في القول، انتهى الأمر ورجعت إلى غرفتي، كان هذا اليوم وما جرى معي في غرفة

التحقيق من أخذ البصمات والصور لي هو آخر أيام ذهابي لغرف التحقيق، كانت هــذه هــي آخر مقابلة تتم بيني وبين إدارة السجــن، ولما أخبرت جيراني في العنبر عمــا حدث معي قالــوا: هذه بشارة خير لك والفرج قريــب إن شاء الله تعالى هذه الإجراءات يعملونها مع الذين يتم إطلاق سراحهم.

عنبر جديد

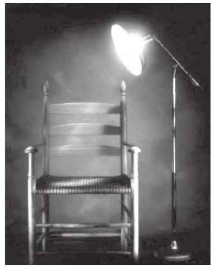

بعد يومين قامت إدارة السجن ونقلوا جميع هذا العنبر إلى عنبر آخر لعمل ترميمات وتصليحات في العنبر، أما السبب والعلة في هذا النقل فإن الاحتجاجات التي يقوم بها السجناء في العنابر يصاحبها ضرب على الأسرة،

وضرب على جدران الغرفة، أو على بابها لأحداث أصوات مزعجة، ليضطر الحرس إلى استدعاء المسؤولين لمعرفة مشاكل السجناء، أو للبحث في تلبية مطالبهم، أو أن الاحتجاج يكون على عمل قام به الحرس، أو المحققين مع أحد السجناء، أو مع بعضهم كتفتيش المصحف الشريف أو إهانته أو الاستهزاء بالدين أو بالرسول، انتقلنا إلى العنبر الجديد كل شيء فيه نظيف، طلاء الجدران مريح للنظر، لأن الطلاء القديم كان متعباً للنظر، ومضعفاً له، الآن الطلاء الجديد من الأرض إلى ارتفاع متر ونصف تقريباً مطلي باللون الأخضر، من ارتفاع متر ونصف إلى ارتفاع مترين تقريباً، مطلي باللون أسود، من ارتفاع مترين تقريباً إلى سقف الغرفة مطلي باللون الأسود هذا الترتيب في الطلاء، على الجدران الأربعة للغرفة التي تسكنها وهو ترتيب جميع العنبر من أوله إلى آخره إنه مريح للنظر وأفضل من الطلاء القديم. ثم أن السرير أصبح قريباً من الأرض يرتفع نصف متر تقريباً عن الأرض مغلق من كافة الجهات لا يحدث صوتاً مزعجاً عند الضرب عليه، الإضاءة في العنبر أصبحت قوية جداً وفي داخل كل غرفة مصباح قوي، بينما الإضاءة السابقة كانت عادية، وكانت الإضاءة، في الممر الموجود بين

الغـرف ولا يوجـد في الغرف لمبـات أو مصابيح للإضاءة بـاب الغرفة أصبحت له فتحتـان (نافذتان)، نافذة سابقـة علوية لإدخال الطعام والـدواء واللباس منها، لتقييـد يدي السجين وربطه منها وفتحه في أسفل الباب ليتم منها، تقييد السجين بقدميه وهو واقف.

عنبر المسافرين

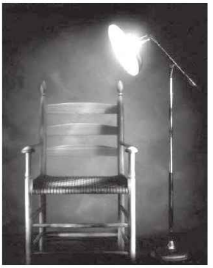

لم أمكث في هذا العنبر إلا عشرة أيام تقريباً وفي صبيحة اليوم الأخير لي في هذا العنبر، وبعد تناول طعام الإفطار، جاء الحرس وقالوا لي أنت تنتقل إلى عنبر نوفمبر، قلت لهم لماذا، ماذا حدث، أنا لم أفعل أي مخالفة؟

هذا العنبر نوفمبر عنبر انفرادي وقد كان عنبر يرسل إليه أصحاب العقوبات والمخالفات، وقد دخلته قبل ذلك مرتين، المرة الأولى عند وصولي إلى كوبا شهر ٨/ ٢٠٠٢ م والمرة الثانية لما حصلت مشاكل في العنبر الذي كنت أسكنه وقام الحرس وعاقبوا من اشترك في أعمال الشتم والرش على الحرس ومن لم يرش، وكنت من القسم الأخير ممن لم يشترك في أعمال الرش والشتم قال الحرس حضر وإجمع أغراضك لتذهب إلى عنبر نوفمبر. وضعت أغراضي في الكيس تم التقييد ثم التفتيش أما الجيران في العنبر فقالوا وداعاً أبا عبد الله اللقاء في الأردن، هذا العنبر الذي تنقل إليه نوفمبر أصبح عنبر المسافرين، يتم فيه جمع السجناء الذين سيجري لهم ترتيبات الخروج من السجن ثم السفر، استبشرت خيراً بما سمعت، مشيت باسم الله إلى عنبر نوفمبر، وجدت فيه ثلاثة سجناء، أعرف منهم اثنان مساكين طيبين اعتقلهم تحالف الشمال الأفغاني وسلموهم إلى الأمريكان، أو باعوهم للأمريكان أحدهم تركي والثاني كردي من العراق لما عرفوا أني أنا الداخل إلى العنبر قالوا: أبشر أبا عبد الله هذا العنبر (نوفمبر) عنبر المسافرين، لقد خرجت وانطلقت من هذا العنبر مجموعتان قبلنا

إلى بلادهم السجين الثالث ما سبق أن عرفته أنه دكتور طاجيكي أعتقل داخل أفغانستان، وبعد قليل جاء الحرس بسجين آخر خامس، سمعت أنه من العراق أصبح مجموعنا خمسة سجناء، دخلت الغرفة الانفرادية في هذا العنبر طلبت من الحارس أن يبقى معي بعض الأغراض، قال انتظر سأسأل ذهب ثم رجع قال لا بأس يمكنك أن تحتفظ بأغراضك كلها، قلت هذه واحدة واستبشرت خيراً لأن هذه الأغراض عادة كانوا يأخذونها من كل سجين يدخل هذا العنبر، قلت: له أريد الفرشة الكبيرة قال: انتظر سأسأل ذهب ورجع قال: خذ هذه الفرشة الكبيرة للنوم عليها، قلت هذه بشارة ثانية لأن من عليه عقوبة لا يأخذ هذه الفرشة.

بعد ساعتين جاء الجنود من خارج العنبر، وأخذوا قياس كل سجين، البنطال والقميص، الحذاء قلت هذه بشارة ثالثة لأن السجين الذي يطلق سراحه يترك اللباس الأحمر ويعطى لباساً آخر جديداً غير أحمر، بدأنا نحن الخمسة نطمئن بعضنا بعضاً بأن الفرج قريب بإذن الله تعالى خلال يومين أو ثلاثة، بعد يومين جاء الجنود الذين قاموا بقياس الملابس والحذاء لنا ومعهم حقائب خمسة، لكل واحد منا حقيبة عليها رقمه في السجن وفيها ملابسه قمنا بقياس الملابس والحذاء لمعرفة أنها ملائمة أو غير ملائمة، كبيرة أو صغيرة، الملابس بنطلون جينز، جاكيت جينز أزرقان فأنيلا بيضاء شرط داخلي جرابات وحذاء رياضي ابيض اللون بعد قياسها أرجعناها إلى الحقيبة، قلنا هذه بشارة أخرى بالفرج القريب، وفي نفس اليوم جاء شخصان وجلسوا مع كل واحد منا على انفراد في مكان المشي والرياضة، وأخبروني أنك ستخرج من هذا المكان قريباً، ستسافر، قلت له إلى أين سأسافر؟

قال أنا لا أعرف إلى أين ستسافر، أنا لم أقرأ ملفك أو أراجع قضيتك لكن أنا أعرف أنك ستخرج من هذا المكان قريباً جداً، قلنا هذه بشارة أخرى بأن فرج الله قريب، وفي اليوم التالي جاء شخصان من منظمة الصليب الأحمر، وجلسوا مع

كل واحد منا على انفراد في مكان المشي والرياضة وقالا لي أنت ستسافر إلى بلدك غداً أو بعد غد، لكنه ربما تنزل الطائرة التي ستحملكم في محطات قبل أن تنزل في بلدك وربما يقيدون أرجلكم في الطائرة لكن لن يستروا عيونكم، لن يضعوا عليها ساتراً قلت الله المستعان، ماذا سنفعل، قلنا هذه بشارة أخرى بأن فرج الله قد اقترب جداً بعد عصر هذا اليوم جاء الحرس ووضعوا الاسم والرقم لكل واحد منا على كلتا يديه، الذين معي في العنبر قالوا السفر سيكون اليوم أو غداً، لكن لا يستطيع أحد أن يجزم أو يحدد موعد السفر، نمنا تلك الليلة مستبشرين على أمل أن يكون السفر هذه الليلة، وقد وقع ما تأملناه، ففي الساعة الثانية بعد منتصف الليل دق الحارس على الباب، وقال انهض خذ هذه الوجبة من الطعام- الوجبة العسكرية المعروفة التي سبق ذكرها- قلت له أنا لا أريد الصيام غداً، أنا لم أسجل اسمي في قائمة الصائمين غداً لأن هذه الوجبة عادة يقدمونها سحوراً لمن أراد أن يصوم غداً، لم يلتفت الحارس إلى كلامي، قال خذ هذه وكلها بسرعة ووقف ينتظرني على فتحة الباب نظرت فإذا جميع الخمسة الذين معي في العنبر يقدمون لهم هذه الوجبة وأمام كل غرفة الحقيبة التي يوجد فيها ملابس كل واحد منا وكل حقيبة عليها رقم السجين، وهذه هي الحقيبة التي رأيناها قبل يومين عندما قمنا بقياس الملابس والحذاء، أكلت ما أستطيع من الوجبة بسرعة ولم يمهلني الحارس لأكل باقي الوجبة وقال انتهى الوقت، أعطني ما تبقى منها أخذه ثم بدأ يناولني الملابس قطعة، قطعة، حتى انتهت الملابس وقال لا تضع أي شيء في جيوبك، حتى مناديل الورق- الفاين- قلت جيد قال مد يديك قيدهما ثم قيدو وسطي بالحزام واليدان إلى الأمام على البطن دون تقييد الرجلين ثم فك قيد الباب خرجت وقام الحرس بتفتيشي جيداً على باب الزنزانة مع أن كل ما ألبسه من ملابس كان معهم قبل دقائق وهم الذين سلموني هذه الملابس، قال أين القرآن؟ قلت هو في داخل الغرفة فتح لي الحقيبة وقال ضع القرآن داخل الحقيبة أغلقها ثم حملها أحد الحراس، وانطلقنا الخمسة خلف بعضنا البعض، شعرت العنابر المجاورة

بحركتنا وأصواتنا، عرفوا أن هذه المجموعة قد أفرج عنها وهي مسافرة إلى بلادها، بدءوا يرفعون أصواتهم في هذا الجزء من الليل، وكانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل يسلمون علينا والوداع ويطلبون منا المسامحة، مشينا إلى خارج العنبر وجدنا الباص ينتظرنا ركبنا الباص وكنا بعيدين عن بعضنا البعض، كل واحد منا في كرسي ويجلس عن يمينه حارس وعن يساره حارس، والباص مغطى لا نرى شيئاً خارج الباص، سار الباص لكن لا ندري إلى أين يسير وصلنا إلى حافة الماء- شاطئ- كما يبدوا شعرنا أن الباص قد دخل على ظهر سفينة سارت السفينة مسافة قليلة ثم توقفت، خرج الباص من على ظهرها، سار قليلا- دقائق ثم توقف، بدأ الحرس يفكون عنا كل القيود نزلنا من الباص واحد تلو الآخر نظرت وإذا بباصين آخرين يبدوا أن فيهما أشخاص مثلنا قد أفرج عنهم بدأنا نمشي نحو الطائرة والطائرة عسكرية كبيرة ذات أصوات عالية، وأثناء المشي كان هنالك مصورون يأخذون الصور، وعلى باب الطائرة وقف بعض الجنود يأخذون أرقامنا.

مغادرة كوبا

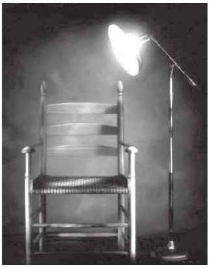

الموجـودة علـى أيدينـا، وقفت على باب الطائرة بـدون قيد، حرس الطائرة بـدأ يقيدني من جديـد، وهذا القيد مثل الذي حصل لنا عندما نقلونا من بجرام إلى كوبا لكنه أخف قليلاً تقيد اليدين مع الوسط واليدان، أمـام على جهة البطن

ثـم السلسلـة تنزل وتتصل بالسلسلـة التي تقيد الرجلان، العيـون مغطاة بنظارة سوداء لا ترى منها شيئاً، الأذنين مغلقتين، الآنف والفم مغلق بقطعة قماش، جلست على مقعد الطائرة الطولي قام الحرس وربطوا وسطك بسلسلة في مقعد الطائرة لتثبيتك على مقعد الطائرة وتم تقييد الرجلين بحلقة مثبتة في أرض الطائرة لكن الجديد في هذه الرحلة أن قائد الطائرة أعلن أن رحلته ستستغرق من ١٦-١٨ ساعة مـن هذه القاعدة- جوانتنامو- إلى قاعدة في تركيا، نسيت اسمها، صفق الجنود، ورفعـوا أصواتهـم موافقين أو قالوا هـذا سفر بعيد أو لا اعلـم بالضبط ما قالوه، أقلعـت الطائرة وكأن الوقت قريبا من الفجر كنـا نشعر بسرعة الطائرة الكبيرة، كان الكابـتن يكلمهـم بين حين وآخـر، عند الأكل والشرب، يقـوم الحارس بإنزال أو رفـع قطعـة القماش عن فمـك، ويعطيك الطعام ساندوش فـول سوداني يضعه بـين يديك، ترفع يداك قليلاً بالطعام، ثـم تنحني وتنزل رأسك قليلاً، حتى يصل فمك إلى الساندويش، وإذا احتجت إلى الماء يأتي الحارس ويرفع قارورة الماء إلى فمك ويسقيك منها، بعد انتهاء الأكل والشرب يقوم الحارس بإرجاع قطعة القماش (غطـاء الفـم) إلى مكانه على الفم والآنف، عند قضـاء الحاجة يقوم الحارسان

بفـك قيد مقعـد الطائرة، عـن وسطك، وفك قيـد الرجلين من الحلقـة المثبة في أرض الطائـرة، يمسك بك الحارسان، ويقودانك إلى حمـام الطائرة أنت لا ترى شيئـاً لكن لو حاولت ربما تـرى شيئاً، يجلسك الحارسـان على الحمام الإفرنجي أنـت مقيد اليدين والرجلـين يقومان بخلع ملابسك، تقضـي حاجتك ولا تستطيع أن تنظـف نفسـك، لأنـك مقيد ثـم هم لا يسمحون لـك أن تحمـل أي منديل ورق وهـم لا يقدمون لك أي مساعدة هذا الحمام ليس له باب تقضي حاجتك والجنود يجلسـون مقابلك بينك وبينهـم أمتار قليلة بعد انتهاء هذه العملية يقومان بإرجاع البنطال كما كان يلبسانك الثياب وترجع إلى مكانك على مقعد الطائرة، ويعود لك القيـد في وسطك وقدميك كما كان، كنا نصلي علـى حالنا دون وضوء ودون تيمم ودون معرفـة الوقت وأن سألنا الحرس عـن الوقت لا يجيبك أحد كنا نقدر الوقت بالتقديـر والظن، بعد هذا السير الطويل هبطت الطائرة لكن لا ندري أين هبطت نشعر أنها أنزلت أناساً لا نعرف من هم مكثت ساعة في هذا المكان.

ثـم أقلعت، لا ندري أين أقلعت، بعد ساعات هبطت الطائرة مرة أخرى وبعد أن توقفـت تماماً جاء الحرس وفكوا الرباط الذي يربطنا بمقعـد الطائرة وفكوا القيـد الذي يربطنا ويثبتـا بالأرض، أوقفونا على باب الطائـرة، أزالوا عنا غطاء العيون، وغطاء الأذن والفم والآنف وبقيت سلاسل الأيدي والأرجل.

الوصول إلى بجرام

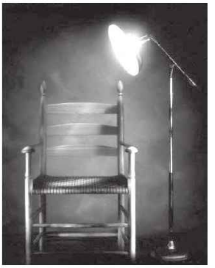

كان الوقت قريباً من منتصف النهار، لكن لا أعرف اسم هذا المكان أركبونا في سيارة صغيرة إلى مسافة قصيرة ثم أنزلونا إلى غرفة خشبية فيها أربعة أسرة بعد أن فكوا القيود والسلاسل عنا، فكان هذا الوقت هو آخر

عهدنا بالقيود والسلاسل والحمد لله رب العالمين، سألت من معي: ما اسم هذا المكان؟ أنا لا أعرفه قال لي إنه قاعدة بجرام الأفغانية.

قلت: أرجعونا إلى المكان الذي انطلقنا منه. عندما وصلنا، قال لنا الجنود: أنتم هنا في قاعدة بجرام القريبة من كابل وأنتم هنا ضيوف عندنا لمدة أيام، وستغادرون هذا المكان إلى بلادكم، لا علاقة لكم بقوانين وأنظمة هذا المكان لن تذهبوا إلى غرف التحقيق، لن يسألكم أحد عن أي موضوع، سياسي، أو أمني أو غيره...

كل من يطلق سراحه من جوانتناموا- كوبا- ويأتي إلى هذا المكان- بجرام- يجلس هنا أياماً، ثم يعود إلى بلده، كان أحد الأربعة الذين معي أعرفه كنا في باكستان لمدة سنين واعتقلنا في باكستان في ليلة واحدة، وكنا في سجن واحد، ثم كنا معاً عندما نقلنا من بيشاور إلى قاعدة بجرام، وكنا معاً عندما نقلونا من بجرام إلى كوبا، تجاورنا في معتقل جوانتناموا لفترة من الزمن، وأطلق سراحنا من معتقل جوانتناموا معاً، وعندما رأيته في بجرام، عندما نزلنا من الطائرة القادمة من كوبا فرحت به فرحاً شديداً، وسألته عن كثير من السجناء في كوبا،

وأخبرني أن الذين أطلق سراحهم في دفعتنا، وكنا في الطائرة من جوانتناموا إلى تركيا ثم إلى بجرام أثني عشر معتقلاً (١٢) اثنان من السودان، وواحد أردني، وعراقيان، وطاجيكيان، وتركي، كل هؤلاء نزلوا في تركيا، وبقينا نحن الأربعة نزلنا في بجرام وهم أردني (أنا) وسوري وإيراني وأفغاني، إن هذه القاعدة سبق أن نزلنا فيها معتقلين مقيدين بالسلاسل عندما رحلونا من باكستان إلى بجرام لكن مكان الاعتقال كان في داخل مبنى من الإسمنت، مكثنا فيه شهران، ولا يزال هذا المبنى إلى الآن فيه معتقلين، ممن تعتقله القوات الأمريكية، أو قوات التحالف الأفغانية، أو من تعتقلهم باكستان وما جاورها، لكن نحن الآن نزلنا في غرفة خشبية مجاورة لذلك المبنى الإسمنتي، وليس بيننا وبين السجناء الذين في داخل هذا المبنى أي علاقة، لا نلتقي بهم ولا نراهم، ولا نكلمهم، لكن سمعنا أن أحوالهم الآن أحسن من أحوالنا عندما كنا في هذا المكان قبل سنتين تقريباً، حياتنا الآن في قاعدة بجرام ليست كالحياة في قاعدة جوانتنامو، هنا الحياة أفضل لكنها حياة ليس فيها حرية تامة.

الطعام في بجرام

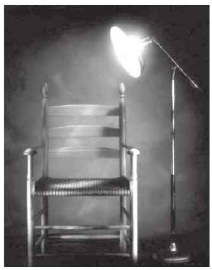

الطعام هنا متشابه، طيلة المدة التي قضيناها في بجرام، المدة التي قضيتها في بجرام بعد خروجي من كوبا أربعة أشهر ونصف تقريباً، من ١/٤/٢٠٠٤م إلى ١٢/٨/٢٠٠٤م الفطور والغداء والعشاء كان متشابهاً وجبة معلبة إما

أرز بقطع الدجاج الصغير والقليل، أو يكون مكان الدجاج لحم، وأما معكرونة أو أرز بالبازيلاء السوداء بقطع الدجاج الصغير، وإما بطاطا مع الطماطم وقطع الدجاج الصغير والقليل، أربعة أو خمسة من الوجبات المعلبة، كل وقت لك وجبة واحدة من هذه الوجبات، مع قطعتين من البسكويت وعلبتين صغيرتين من (الصن فلكس) نوع من البسكويت الخفيف وكيس صغير جداً من الفستق، مع كيس صغير جداً من لباب- بزر أقراص الشمس، أما الخبز قد نراه في كل أسبوع مرة، وقد لا نراه وهو أصلاً لا يأتي إلينا بل يأتي للمعتقلين في داخل المبنى القريب منا ولكن ربما طلبنا من الحارس أن يأتينا بقليل من الخبز من الداخل وقد يوافق وقد لا يوافق، أما الفاكهة فعندما وصلنا إلى بجرام وجدنا في الغرفة صندوق تفاح وصندوق ببسي كولا،وصندوق فيه أكياس مجففة من الموز، ثم اختفت الفاكهة بعد انتهاء هذه الصناديق، الشاي والحليب ممنوع، رأيناه مرة أو مرتين طيلة المدة، رفعنا شكوى للمسؤول أكثر من مرة بأن يغيروا لنا الطعام فكان الجواب بالرفض، كان الجيش له وجبة معلبة عسكرية-خاصة، به وكان له وجبة ساخنة يومياً بعد الظهر فيها دجاج أو لحم أو سمك ومشروب ببسي أو نحوه قلنا لهم تعطوننا وجبة

ساخنة يومياً أو وجبة عسكرية فرفضوا طلبنا لكن أيضاً حتى الوجبة التي تصرف لنا هي أصلاً تأتينا كاملة مغلقة في كيس لكنهم يفكون الكيس ويأخذون منها حاجات ويعطوننا الباقي، يأخذون منها كيس خاص لتسخين الوجبة إن كان الجو بارداً، يأخذوا منها الملح والشاي والكاكاو والقهوة، قلنا لهم لو تقدمون لنا هذه الوجبة كاملة ولا تأخذون منها شيئاً، فرفضوا ذلك حقيقة كنا نعاني من مشاكل في المعدة بسبب تكرار هذه الوجبة علينا يومياً، وثلاث مرات يومياً فكنا لا نأكل في اليوم إلا مرة واحدة.

لكن هنا في بجرام لا نمنع من تخزين الطعام، فكان عندنا كراتين من هذه الوجبات التي تقدم لنا، وأحيانا نعطيها للحرس يأكل بعضهم منها وبعضهم لا يأكل منها يردها إلى المخزن، أو يلقيها في صناديق القمامة، وأحيانا نأكل نحن من هذه الوجبات والمتبقي بعد الأكل نلقيه في صندوق القمامة مع أنه معلب لا يفسد بالتخزين، والقانون عندهم أن تأكل الوجبة والمتبقي تلقيه في سلة القمامة ولا يسمح لك بتخزينه.

الحياة في بجرام

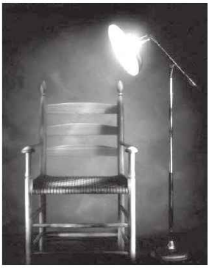

الغرفة التي نعيش فيها هي في الأصل غرفة معدة للجيش وهي غرفة مستطيلة تتسع لعشر أفراد تهويتها جيدة، لكنها في الشتاء باردة ونحن وصلنا بجرام آخر الشتاء كان هناك مدفئة كهربائية صغيرة لكنها لا تكفي لتدفئة الغرفة،

أما الصيف فالغرفة مجهزة بجهاز تبريد جيد، لكن كان يتعبنا الجلوس الطويل وعدم الخروج للمشي والرياضة، وكنا لا نخرج لحمام الاغتسال، أو حمام قضاء الحاجة، إلا بإذن من الحرس الموجودين معنا في الغرفة، وبمرافقة أحدهم أيضاً، والغرفة يتناوب على حراستها ثلاث مجموعات يومياً وكان حمام الاغتسال مرتين كل أسبوع وكنا نغسل ملابسنا مرة كل أسبوع، كل واحد منا له سرير مثل أسرة الجيش المتنقلة، مع قطعة سجاد أو قطعتين بعضها تحت الرأس (كوسادة) وقطعة تضعها تحتك ومعك بطانية جيدة تتغطى بها، كان في الغرفة طاولة متوسطة نأكل عليها أحياناً، أو نلعب عليها ورق.

كانت لنا الحرية داخل الغرفة نتحرك فيها كيف نشاء، الكلام مسموح به، القراءة والكتابة كذلك، القلم والورق متوفر القرآن الكريم موجود، الكتب الدينية وغير الدينية، كانت في البداية غير متوفرة، ثم أصبحت متوفرة، حيث أحضر لنا الصليب الأحمر بعضاً منها كما أحضر لنا الصليب سجادة صلاة ومسبحة وملابس باكستانية، بدلتين في البداية ثم زادها بعد ذلك بدلتين، أحضر لنا الملابس الداخلية وشبشب، فرشاة ومعجون الأسنان المياه الصحية متوفرة طيلة

الوقـت، للشرب فقط أما ميـاه، الوضوء فغير متوفرة بسبب نقص المياه ولذلك لم نتوضـأ مـرة واحدة طيلة مدة وجودنـا في بجرام (١٣٢) يوم تقريبـاً، وطيلة هذه المـدة كنـا نتيمم كنا في الغرفة أحرار ولكن غير أحـرار، أحرار لأننا لا نخضع لأي عملية تحقيق أو مسائلة من قبل المحققين أو غيرهم لا تنطبق علينا أنظمة السجن الموجـود في بجـرام، لا يوجد عندنـا نظام عقوبـات وسحب أغراض، كما هو في معتقـل جوانتنامـو أما كوننا غير أحرار، فلأننا لا نستطيع أن نخرج من الغرفة إلا بـإذن ويكون الحارس مرافقاً لنا، إننا نعيش في قاعدة عسكرية مراقبين وليس لنا الحريـة الموجودة للناس الآخرين خارج هذه القاعـدة، لقد قال الحرس في سجن جوانتناموا كوبا لبعض الأخوة المعتقلين، كل من خلع اللباس البرتقالي ولبس مكانه لباس الكابـوي الأزرق، وخرج من هذه الجزيرة كوبـا، فقد ثبتت براءته من تهمة الإرهاب (كما يسمونها)، ولم يعد له أي علاقة بالقضية التي جمعت أمريكا بسببها هؤلاء السجناء، ليس له علاقة بإحداث نيويورك وواشنطن، ليس له علاقة بقتل أو تفجير أو تخريب أو أي عداء للولايات المتحدة الأمريكية، أنه بريء من هذه التهم كلها براءة الذئب من دم النبي يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، لذلك قال لنا الحرس منذ اليوم الأول لوصولنا إلى بجرام أنتم عندنا ضيوف هنا لعدة أيام وستسافرون إلى بلادكم لكن مضت الأيام الأولى مضى الأسبوع الأول والثاني ولم نسافر، بعد أسبوع من وصولنا من كوبا إلى بجرام حضر إلى الغرفة التي نسكنها شخص يبدوا أنه مسؤول كبير، وسأل عنا وعن أحوالنا بسرعة وانصرف، لم نكن نعرفـه فلما أنصرف قال لنا الحرس إنه السفير الأمريكي في كابل قد يكون اسمه خليـل زي- أفغاني الأصل، يعيشـ في أمريكا منذ سنوات ومعه أشخاص من وزارة الخارجية الأفغانية، بعد أسبوع تقريباً عاد الشخص نفسه وسأل عن أحوالنا وقلنا لـه وجودنا هنا كم سيكون ومتى سنسافر؟ فقـال نحن نجري اتصالات مع الدول التـي ستذهبون إليها ونحن مهتمين بموضوعكم لسنـا ناسين لكم وأنصرف، بعد مضي شهر تقريباً أصبنا بيأس من السفر القريب أو الفرج العاجل، فقام الشخص

الإيراني الموجود معنا وأراد أن يشكل عملية ضغط وإحراج على المسؤولين في القاعدة ليسرعوا في تسفيرنا، وكان رجلاً مريضاً، أعصابه قلقة، يتصرف تصرفات غير عادية، كان لديه كمية من الحبوب (أقراص دواء) مختلفة الأشكال والألوان فبدأ يتناول كميات من هذه الأقراص، قدرت بخمسين حبة حتى تؤثر عليه تزيد في مرضه أو نقله إلى المستشفى فزع الحرس لما رأوه يعمل ذلك أسرعوا إليه، ثم جاء الطبيب ونقلوه إلى المستشفى القريب، مكث هناك أسبوعا ثم عاد إلى الغرفة معنا لكن بعد يومين تم نقله من غرفتنا إلى مكان آخر الحياة في هذا المكان دون الحياة في الغرفة معنا كان هذا الشخص يتصرف تصرفات عجيبة، كان يدخن وكان يضع النسوار، الشمة، في الفم كان يحصل على كل هذه الأمور من الحرس وهذا العمل مخالف لقوانين هذه القاعدة، كان يطلب من الحرس الإذن ليسمحوا له بالخروج خارج الغرفة ليدخن، كان يتعامل مع بعض الحرس معاملة ليست لينة، هذه المخالفات وغيرها، جعلت الإدارة تنقله من غرفتنا إلى مكان آخر غير جيد، وبقينا ثلاثة أفراد في الغرفة إلى أن خرجت، لكن بعد خروجي من بجرام بحوالي أربعة أشهر رأيته على إحدى القنوات الفضائية يجري مقابلة يشكوا فيها من المعاملة السيئة التي حصلت معه في السجن، كما سمعت أن الشخص الثالث السوري قد أطلق سراحه أيضاً، ورجع إلى أهله الموجودين في باكستان أما الأفغاني الرابع فلا أعلم عنه أي شيء.

الرسائل

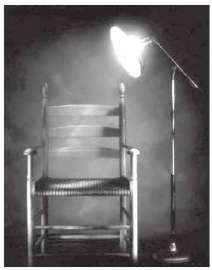

الرسائل من وإلى السجين لا بد أن تمر على قسم المراقبة في السجن ويقرأ كل كلمة يكتبها المعتقل إلى أهله بأي لغة كانت، وربما تتأخر الرسالة أياماً أو أسابيع من أجل كلمة واحدة لا يستطيع قسم الرسائل معرفة معنى هذه الكلمة

لأنها ربما تكون مكتوبة بلغة عامية، وربما يراجع صاحب الرسالة لفك اللغز أو الكلمة، الموجودة في رسالته ويفسر ويحلل معنى هذه الكلمة.

وطريقة إرسال الرسائل إما عن طريق الجيش، الذي يقوم بإرسال رسالتك عن طريق البريد، وتصل إلى عنوانك لكن بعد فحصها وتدقيقها وإما عن طريق الصليب الأحمر، الذي يحضر رجاله إلى عنابر السجن ويقدم لك الأوراق الخاصة بالصليب، وبعد كتابتها يتسلمها منك موظف الصليب، ثم يسلمها لإدارة السجن إلى قسم التدقيق والفحص، وبعد أن يوافق على الرسالة من قبل هذا القسم، يستلمها الصليب مرة أخرى، ويرسلها إلى عنوانك عن طريق كلها، تابعة للصليب الأحمر، حتى تصل إلى عنوانك أما وصول الرسائل إليك، إما عن طريق الصليب الموجود في منطقتك أو بلدك، يكتب أهلك الرسالة ويسلمها للصليب الذي يوصلها إلي السجن، عن طريق كلها تابعة للصليب يستلمها قسم التدقيق والفحص في السجن ويفحصها ويقرأها، وربما يوافق عليها وربما لا يوافق وربما يشطب منها كلمة أو سطراً أو سطوراً وربما يحجزها ولا يرسلها، وربما تصلك الرسالة عن غير طريق الصليب يكتب أهلك الرسالة ويرسلوها على عنوان خاص بالجيش، على

أمريكا، ثم تصل إلى كوبا إلى السجن إلى قسم التدقيق والفحص يشطب ما يريد كلمة أو سطراً أو سطور أو لا يوافق عليها وقد يحجزها ولا يسلمها لصاحبها.

والرسائل من وإلى السجين تخضع للتحقيق ويتحكم بها فمثلاً بعض المعتقلين وصله رسائل كثيرة جداً وبعضهم وصله رسائل قليلة، والبعض وصله كمية من الرسائل لا بأس بها، وبعضهم لم يصله أي رسالة من أهله أبداً رغم أنه كتب لهم الكثير، وبعضهم لم يصله أي رسالة أبداً لأنه لا يريد هو ذلك حيث لم يكتب لهم أي رسالة.

وكل رسالة تخرج من المعتقل إلى أهله، أو تصل من أهله إليه يأخذ منها قسم الرسائل نسخة يحتفظ بها، وعادة ما تتأخر الرسائل في الخروج من المعتقل إلى الخارج أو من وصولها من الخارج إلى أصحابها لأن الكتابة للرسائل بلغات مختلفة وكثيرة والألسنة التي يتكلم بها السجناء كثيرة ولأن هذه اللغات الكثيرة متفاوتة بين الوضوح والغموض وبين المفهومة وغير المفهومة وبين اللغة العامية واللغة الفصحى وهذا يحتاج إلى وقت كبير وجهد كثير لإنجاز وإتمام المقصود من هذه الرسائل وتدقيقها وفحصها.

الصليب

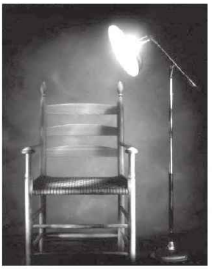

كان الصليب الأحمر في المعتقل يقدم بعض الخدمات للمعتقلين لمن أراد منهم منها، حمل الرسائل ذهاباً وإياباً، يقوم بحمل شكاوى المعتقلين إلى إدارة السجن وربما يحل بعضها مما يقع في دائرة اختصاصه، كان يعرض على كل

معتقل أن يكتب رسائله عن طريق الصليب ومن يرفض كتابة الرسائل عن طريق الصليب يكتب عن طريق الجيش، وفي معتقل بجرام كان الصليب هو الطريقة الوحيدة لحمل الرسائل من وإلى المعتقلين، كان يقدم لهم أموراً لا توجد في المعتقل، مثلاً تراهم يحملون برادات الشاي، وتقديم كأس شاي لكل معتقل، هم في الظاهر يتعاطفون مع المعتقل، لكن إن رفعت لهم شكوى عن وضعك في السجن العقوبات، التحقيق، مدة السجن، يقول لك نحن لا نستطيع أن نتدخل في سبب اعتقالك ولا نسأل عن جلسات التحقيق التي تكون معك ولا عن موعد إطلاق سراحك، نحن نعمل في مجال الرسائل، والمساعدة في حالتك الصحية، وضعك الغذائي، والطعام، اللباس، وهذه تتدخل فيها أو نساعدك فيها بحدود، وليس تدخلاً كاملاً، ندخل فيها أو نساعدك، سمعت من بعض الأفغان أن الصليب يقيم لهم دورات يقول لهم إنها دورات تثقيفية ولا يسمح لأي جنسية أخرى أن تشترك معهم لا من العرب ولا من العجم يقدمون لكل مشترك علبة من البيبسي أو العصير أو ... بعض الأفغان رفض الاشتراك فيها، وقال إنها دورات مشبوهة، والمعتقلين الأفغان معظمهم عوام، ليس عندهم تعليم عالٍ ويخشون أن يدخلوا لهم بعض المفاهيم الغير صحيحة، أو يسببوا لهم نوعاً من التشويش أو...

الصليب يظهر دائماً أنهم معك أيها المعتقل، وأن السياسة الأمريكية في المعتقل لا تعجبهم، لكن ليس بيدهم تغيير الأمور، بعض موظفي الصليب ربما يدافعون عن النظام المطبق في المعتقل مثلاً بعد شهر من وصولنا إلى كوبا، جاء الحرس وأخذوني إلى مكان جديد، غرفة فيها مقعد وكراسي، ليس زنزانة، ظننت أنه مكان تحقيق، جاء شخص وبدأ يتكلم معي لغة عربية غير واضحة، لكنها مفهومة على كل حال، وعليه إشارة الصليب الأحمر شكوت له ما تعرض له المعتقلين في بجرام من تعذيب وتضييق، وما نعانيه في كوبا من فقر في الوجبات الغذائية وقلتها، فقال لي ما هي وجبة الفطور فقلت له بيضة واحدة وقطعتين خبز قليل من الأرز المطحون... الخ فقال هكذا يأكل الجنود قلت هل يعقل هذا هل تصدق هذا أنت لا يمكن هذا إنك تسأل الجنود الذين تعودنا الكلام معهم عن وجباتهم الغذائية فيخبرونا بوجباتهم الغذائية هناك فرق كبير جداً بيننا وبينهم أنا لا أطلب أن نأكل مثلهم هذا لا يمكن أن يحدث لكن نطالب بشيء معقول بشيء يكفي المعتقل إن كثيراً من المعتقلين بعد تعاملهم مع الصليب لفترة طويلة وكما سمعت قرروا مقاطعة الصليب في كافة المجالات، مثل الرسائل، عرض المشاكل أو الشكوى له عدم طلب أي مساعدة منه لأنهم وجدوا أن الصليب عبارة عن معين ومساعد للأمريكان وإن ما لا يستطيع الأمريكان الحصول عليه أو معرفته فإن الصليب قد يحصل عليه أو يعرفه من المعتقل، إن كثيراً من هؤلاء المقاطعين للصليب، أدرك أن كثيراً من المعلومات التي رفض تقديمها للأمريكان استطاع الصليب بذكائه ودهائه، أو باعتباره طرفاً لا علاقة له بالتحقيق كما كان يظن البعض استطاع الصليب الحصول عليها بسهولة، وهذا سر زيارات الصليب المتكررة للمعتقلات والسجون وهذا سر إلحاح وإصرار الصليب على مقابلات الكثيرين وعلى طلبه المتكرر المرة بعد المرة من المعتقلين بكتابة الرسائل عن طريقة، وهذا سر تفقد الصليب بعض الرافضين للتعاون معه وزياراتهم وعرض خدماته عليهم والله أعلم بما يضمرون في قلوبهم ثم إن المعتقلين الرافضين للتعاون مع الصليب اسمعوا

رجـال الصليـب كلاماً شديـداً وقاسياً، مثلاً قالـوا لهم إن الصليـب والأمريكان شيء واحد إنهم يعملون في صف واحد،وخندق واحد ولولا استفادة الأمريكان من الصليب لم يسمحوا له بزيارة معتقلاتهم وسجونهم والصليب لا يتحرك قيد أنملة ولا يستطيـع تقديم أي شيء لك، ولو كان بسيطاً وعادياً، إلا بعد موافقة الأمريكان عليه.

الدعوة في كوبا

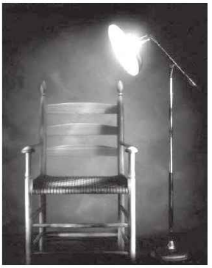

إني رأيت أن بعض المعتقلين ممن يجيدون اللغة الإنجليزية، قد أثر إيجابياً على بعض الحرس والجنود أن كثيراً من الحرس قد داخله شيء من الإنسانية كما يسمونها، وشعر أن هذا المعسكر -جوانتنامو- فيه كثير من المظلومين

الطيبين العاديين، لقد كان الكثير من الحرس يتعامل معك ونسي أنه جندي في الجيش الأمريكي، وأنت سجين معتقل، لقد كان بعضهم يقف الساعات الطوال، على نوافذ جدران غرف بعض المعتقلين ممن يجيدون اللغة الإنجليزية، هذا الجندي يحدثهم عن آلامه وعن مشكلاته يحدثهم عن عائلته، عن فقره وقلة حيلته يحدثهم عن ظلم المجتمع الذي يعيش فيه، وأنه لا يرحم أحداً لا بد أن تكون جيوبك أو محفظتك مليئة بالنقود، حتى تستطيع أن تعيش مستور الحال، إن الفقير لا يعرفه أحد في هذا المجتمع كم هو ظالم هذا المجتمع الذي يطحن ويسحق الفقير ويرفع ويعلي الغني أحد المجندات كانت تأنس وتحب مناقشة أحد المعتقلين، كان يكلمها عن الإسلام وعن احترام الإسلام للمرأة وقال لها لو كنت أنت مسلمة لكنت الآن في بيتك معززة مكرمة، بدل أن تكوني في هذا الجو الذي لا يتناسب أبداً مع أنوثتك لا يمكن لأبيك أو لزوجك أن يرضى أن تكوني بين هؤلاء الرجال تسمعين منهم الكلام البذيء وتجدين منهم الضيق والتحرش، إن هذا العمل- الجيش- لا يناسبك- ومن المؤكد أنك تكرهين هذا العمل، وتودين التخلص منه بأسرع وقت جلست على الأرض تود أن تسمع أكثر وتحب أن يزول عنها ما تكنه في قلبها من

الآلام والتعب، ومن الغربة والبعد عن أهلها، قالت إني أود الخلاص مما أنا فيه، ولقد غرر بنا الجيش وخدعنا لقد أعلن الجيش الأمريكي عندما بدأ الحرب على ما يسمى (بالإرهاب) وقال أن الجيش بيت من لا بيت له ومأوى من لا مأوى له إنه بيت الجميع فخدعنا بهذه الإعلانات ولما دخلنا الجيش وجدنا غابة وحوش يفترس فيها الكبير الصغير ويظلم فيها القوي الضعيف خاصة أصحاب الرتب القليلة وخاصة السيدات.

لقد كان جميع المعتقلين- إلا القليل- كباراً ومثاليين ونماذج مضحين في عيون الحرس والجنود، بل في عيون المترجمين والمحققين بسبب الصبر واليقين والرضا والتسليم لما هم فيه من البلاء، لقد عبر بعض الحرس عن هذا الموقف فقال لو كان هذا السجن في أمريكا ومرت عليه هذه المدة من الزمن، وكان بهذا الوصف والشكل لقتل السجناء أنفسهم وأقدموا على الانتحار خلاصاً من هذا الضيق، وقال أحد الحراس لو كنت أنا مكانكم لم أتحمل هذا الوضع إلا عدة شهور، ولقد دخل بعض الحرس مازحاً على غرفة أحد المعتقلين الفارغة لأن المعتقل كان في الاغتسال وأغلق على نفسه باب الزنزانة، فقال يا إلهي إنه شيء مفزع إنه مكان ضيق لا أحتمله، ولقد رأيت بعض الحرس يريدون أن يمزحوا مع بضعهم البعض بإدخال أحدهم عنوة إلى غرفة أحد المعتقلين الفارغة، هم يصرون على إدخاله إلى الغرفة، وهو يحاول منعهم من ذلك واشتد الأمر بينهم، ولم يقبل الحارس الدخول إلى الغرفة الفارغة مع أن الأمر لا يعدوا أن يكون مزاحاً، إنه يرفض الدخول إلى الغرفة ولو كان عن طريق المزاح.

لقد تأثر بعض الجنود خاصة الذين أصولهم وأجدادهم مسلمين، كالأسبان أو الأفارقة، من النقاش الذي كان يجري بينهم وبين المعتقلين، ووعد بعضهم بأنه سوف يسلم عندما ينهي مدة تعاقده مع الجيش، وعندما كان يسأل لماذا لا تسلم الآن لأن الموت ربما لا يمهلك حتى تخرج من الجيش، بعد سنة أو سنوات؟ فكان

يجيب إن التدين في الجيش غير مسموح به، لك أن تعتقد ما تريد بأي دين وبأي ملة لكن السلوك والعمل، التطبيق لما تحمله من دين لا يسمح به داخل الجيش، إنه جيش علماني لا يجوز أن يظهر فيه الجندي صلاته أو عبادته وإلا سيعرض نفسه للعقاب، إنك تسأل الجندي عن دينه، فيقول لك، إنه مسيحي لكنه لا يعرف أي شيء عن دينه، حتى المبادئ الرئيسية والخطوط العريضة في دينه لا يعرفها، يقول لك إن أبي أو أمي على هذا الدين، حتى الكنيسة لا يعرف طريقها إن في الإسلام فرائض كالصلاة والصوم، ومحرمات كالزنا والخمر هذه أمور معلومة من الدين بالضرورة لا أحد يجهلها حتى المسلم العامي الذي لا يقرأ ولا يكتب يعرفها. لقد كان بعض الحرس يريد أن يدخل إلى قلبك ويريد أن يجاملك فيقول لك لقد كان أبي مسلماً أو أذكر أن جدي قد ذهب إلى الحج قبل عشرات السنين مثال آخر أحد الجنود كان يسمع المعتقلين، يتكلمون عن الإسلام قال أنا مسلم لكنه لا يعرف عن الإسلام شيئاً ولا يمارس أي نوع من الشعائر ولا يطبق أي حكم من أحكام الدين، لكنه يقول إنني مسلم وبعد مناقشات بينه وبين المعتقلين، نشأت علاقة طيبة بينهم وحدث مزاح ومجاملات بينهم دخل رمضان فصامه، وكنت تشاهد أثار الصوم وعلامات الجوع والتعب والعطش ظاهره عليه قال هذا أول رمضان أصومه في حياتي، لكن بقدر ما أنت تكلم الحرس عن الإسلام بقدر ما يوجد في قلبه من جهل وتشويه، وحقد على الإسلام وبقدر ما يزرع في رأسه ويغرس في قلبه من مطاعن وشبهات حول الإسلام وما يتلقاه من ثقافة مسمومة عن الإسلام والمسلمين وأنهم خطر عظيم ووباء جسيم ضد الإنسانية وضد كل تقدم وتطور، إنهم يزرعون في قلبه باستمرار صورة الإسلام الهمجي، الذي يقطر سيفه من دماء الأبرياء، صورة الإسلام المتخلف الفقير الجاهل، ولا أدل على ذلك من بلاد العرب والمسلمين الفقيرة والمتخلفة، المتفككة إنهم يرون صورة الإسلام في أهله وفي بلاده، وفي رجاله الذين يشاهدونهم أثناء زياراتهم للغرب، وما يمارسونه من أعمال وما يقومون به من أفعال، تكفي للحكم على الإسلام والمسلمين من خلال هؤلاء الأشخاص.

فالتأثير على هؤلاء الحرس يكون بتنظيف عقول هؤلاء أولاً ثم إفراغ تعاليم الإسلام الصحيح في عقولهم ثانيا التخلية أولاً ثم التحلية ثانيا، جندي كان يناقش ويتكلم مع المتعقلين كثيراً كان يمازحهم استطاع الاندماج والدخول مع المعتقلين في مواضيع كثيرة، قال له أحد المعتقلين مرة وأنا اسمع، أتشهد أن لا إله إلا الله قال اشهد أن لا إله إلا الله، قال له أتشهد أن محمداً رسول الله تبسم وأنصرف، لقد كان بعض الجنود يأتي أثناء صلاة الجماعة الجهرية، صلاة المغرب والعشاء والفجر، ويقف بجانب غرفة الإمام الذي يرتل القرآن ويضع أذنه على جدار غرفة الإمام ليسمع القرآن الكريم، شاهده المعتقلون أكثر من مرة وكان تعليق الجندي بعد انتهاء الصلاة، هذا شيء رائع، جميل.

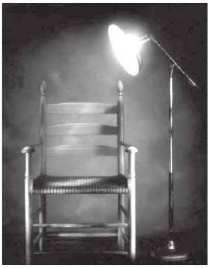

لكن بعض الجنود كان يقوم بالدعوة لما يعتقده يدعو للنصرانية خاصة للمعتقلين الذين يعرفون الإنجليزية، كنت ترى بعض الجنود يقف طويلاً في مناقشة بعض الجوانب في دين الإسلام، أو للنصرانية وربما يقوم هذا الجندي

بتقديم الإنجيل للمعتقلين، وقد حدث هذا أكثر من مرة، إن كثيراً من المحققين كان يشغل بالهم في التحقيق مع المعتقلين مدى تعمق معنى الجهاد والإرهاب في الإسلام وهل انتقلت هذه المعاني إلى عقول هؤلاء الشباب لينفذوها على أرض الواقع لقد سمعت من بعض السجناء مدى التعب الذي يجدونه من المحققين حول معنى الجهاد وما يسمونه بالإرهاب، وهل معنى الجهاد استباحه دماء الكفار وأعراضهم، وهل هذا دين أو عقيدة؟ إن هؤلاء الشباب أذا أمر خطير، لا بد من تغيير مفاهيمهم وتصحيح سلوكهم وأعمالهم.

ولقد سمعت من المعتدلين ومن المتشددين من هؤلاء الشباب عن الجهاد، وعن الدعوة وعن قتال من يقف في طريق الدعوة الإسلامية، وعن أهداف الجهاد في سبيل الله، ومتى يكون الجهاد فرض عين، ومتى يكون الجهاد فرض كفاية والخص ما سمعته منهم كما يلي:

١- الجهاد في الإسلام ليس معناه سفك دماء البشر حتى لو كانوا غير مسلمين.

٢- الإسلام لا يحمل السيف على الناس ولا يضعهم تحت تهديد السيف إنه لا يخيرهم بين الإسلام وبين القتل.

٣- الإسلام يعطي حرية الاختيار لغير المسلمين ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ (الكهف: ٢٩)، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، لقد اعتنق الناس الإسلام بالاختيار ولم يعتنقوه بالتهديد والوعيد.

٤- لن يرضى الإسلام أن تكون هنالك حواجز تكون حائلاً بين الإسلام وبين الشعوب التي تريد أن تدخل فيه.

٥- الجهاد في الإسلام شرع لإزالة هذه الحواجز التي تحول دون وصول الإسلام إلى الشعوب، وحتى لا تكون هذه الحواجز ضغوطاً وموانع على كل من يريد أن يدخل في دين الله.

٦- الإرهاب مصطلح يطلقه في هذه الأيام أناس غير مسلمين على الإسلام والمسلمين لتشويه الإسلام ولتنفير الناس من الدخول فيه وهذا المصطلح لا يستعمله المسلمون فيما بينهم ولا يتداولونه في معاملاتهم وأحكامهم.

٧- لا يحكم على الإسلام وأهله من خلال عمل شخص أو تصرف فرد، ولا حتى من عمل جماعة أو مؤسسة أو دولة مهما كانت.

٨- ما قام به الشباب في واشنطن ونيويورك في ١١ سبتمبر ٢٠٠٢ م لا يصح أن يحاكم عليه جميع المسلمين بغض النظر عن صحة ما قام به هؤلاء الشباب أو عدم صحته.

٩- كثير من المسلمين لم يعجبهم ولم يوافقوا على ما قام به الشباب في ١١ سبتمبر، ومنهم علماء ومشايخ لهم وزن وصيت بين شعوبهم.

١٠- تفاوتت الشعوب وتفاوت العلماء في حكمهم على ما فعله الشباب في ١١ سبتمبر وتباينت نظراتهم إلى هذا الفعل، لكن أنتم سمعتهم لمن أيده ورحب به ولم تسمعوا لمن عارضه وأنكره.

١١- كانت ردود الفعل من الولايات المتحدة الأمريكية أكبر بكثير من الحدث الذي وقع عليها وأخذت الكثير من المسلمين ممن لا علاقة له بالحدث لا من قريب ولا من بعيد، بجزيرة عدد قليل جداً ممن له علاقة بهذا الحدث.

١٢- الـردود الأمريكية على الحدث لم تكـن فقط في المجال الذي وقع فيه وبسببه الحدث بل تجاوزتها الردود الأمريكية إلى مجالات أخرى والى شعوب أخرى لا تعـرف عن الحـدث شيئاً، ولم تسمع به إلا كما سمعـه بقية الناس، وبعض النـاس لم يسمع بتنظيم القاعدة ولا بزعيمها أسامة بن لادن إلا من وسائل الإعـلام بعد وقوع أحـداث ١١ سبتمبر ولقـد قامت أمريـكا باستغلال هذا الحـدث لتحقيق وتنفيذ برامج ومخططات أخـرى، بعيدة عن الحدث تحت غطـاء وستار ما يسمى بالحرب على الإرهاب وظهر للناس وبعد مرور شهور أو سنـين أن الحـرب والردود علـى الحدث والتي تجـري الآن ليس المقصود بهـا حماية مصالحهم، أو بلادهـم، أو تصفية وتدمير هؤلاء الإرهابيين كما يسمونهـم ولا حتـى زرع الخـوف والرعب في نفس كل من تسـول له نفسه أن يقلدهم ويسير على نهجهم بل لقد كان الرد على ما وقع وحدث في واد وكان كل ما يجري ويقع الآن، في واد بعيداً جداً عن الواد الأول.

الأمريكان: يعجبهم، يحبون، يفضلون:-

١- المتعلم في كافة المراحل المدرسية والجامعية وما بعدها لكن أظن أنهم لا يرغبون ولا يميلـون إلى المتعلم تعليماً دينياً، خاصة في الدول أو الجامعات التي يقولون عنها أنها متطرفة وغير معتدلة لكن لا بأس أن يكون التعليم الشرعي للشخص قـد خرج من تحت أيديهم ومن خلال جامعاتهـم أو الجامعات الأوروبية التي تفتـح أقساماً في جامعاتها تسمى كلية الدراسات أو الأديان الشرقية، فيدرس الطالـب فيها أديان الشرق سواء كانت سماويـة كديانة موسى وعيسى وديانة محمـد خاتم النبيـين ﷺ أجمعين أو يدرسـون الديانات غـير السماوية التي

ظهـرت في اليونان ومصـر والعراق والهند وغيرها والتـي لا علاقة لها بوحي السمـاء من قريـب أو من بعيد ولو كانـت قائمة على الشـرك والوثنية وتعدد الآلهـة وحتى لو كانت قائمة على الظلـم والاستعباد ونشر الفواحش والموبقات وحتى لو كانت قائمة على النهب والسرقة والاعتداء على الآخرين.

عنـد ذلـك الإسلام يدَّرس في هـذه الأقسام كمـا يدَّرس أي ديـن آخر لكنه يدرس كثقافة وعلـم نظري ولا يدرسه كديـن عمل وتطبيـق أو كدين اعتقاد وسلوك للفرد والأسرة والمجتمع، ثم إن الطالب وكما سمعت لا يتخرج من هذه الأقسـام، إلا بعـد إن تكون رسالته أو بحثه الذي أعده للتخرج، قد احتوى على مطاعن ومثالب وسلبيات للدين، أو تهجمات على قواعده ومبادئه.

٢- العائلـة المتعلمـة زوجة كانت أو أولاداً -الذكـور- وخاصة الإناث يعتبرون عدم تدريس البنات في أي مرحلة من مراحل التعليم نقصاً وعيباً وعدم مسايره لما عليها الحياة اليوم.

٣- وسائـل الاتصـال والثقافة العالمية تلفزيون، قنـوات فضائية، إنترنت المجلات والجرائد والنشرات الدورية...

٤- معرفـة اللغـة الإنجليزيـة محـاورة وكتابة لأنهـا المدخل الأول لمعرفـة الثقافة المستوردة.

٥- الـذي ليس لـه أسبقيـات أمنية أو سجـلات قديمة، ولو انتهـت مدتها وقضى محكوميتها ونظف ملفاتها.

٦- غير المتدرب على السلاح والذي لم يدخل معسكرات التدريب، وخاصة صناعة المتفجـرات، كل من ليس لديه ثقافـة عسكرية أو قتالية، أو جهادية (إرهابية) كما يسمونها.

٧- الـذي لـه علاقات اجتماعية مـع غير المسلمـين، يهود أو نصـارى أو غيرهم، حضور ندواتهـم واجتماعاتهم مطالعة ثقافتهـم ومطبوعاتهم معرفة أسلوب حياتهـم ونمط عيشهم خاصة الجنس الثـاني- الإناث-أو الجنس الثالث كما هو موجود في بعض الدول.

٨- لم يدخل إيران أو سوريا أو لبنان، وغيرها من الدول التي يسمونها (الإرهابية) أو دول صناعية أو دول كانت أو لا تزال في عداء مع بلادهم.

٩- تعجبهم الدول التي يوجد فيها أنظمة ملكية غالباً أكثر من الدول التي تحكمها أنظمة جمهورية.

لأن الأنظمـة تعكس توجهها وسياساتها على الشعوب، والشعوب تتأثر وتقتبس كثيراً بأنظمة الحكم، وبالقيادات التي تحكمها.

١٠- أن يكـون من دول غنية فيها الرفاهية ورغـد العيش، ووسائل الحياة المريحة التـي يجد فيها الشاب ما يشغلـه ويشبع طموحاته وأهوائـه، لأن الفقر وقلة ذات اليـد قـد يدخله في طـرق التعنت والتشـدد والانشغال بأمـور السياسة وتغيير النظام، وقد يؤدي به هذا التفكير إلى أمور لا تحمد عقباها.

١١-المتـزوج وصاحب العائلة لأن هذا يشغله ويشده إلى الدنيا ويجعله أكثر حرصاً عليها من أجل أولاده، بخلاف الأعزب الذي لا يربطه عائلة، ولا يقيده نفقات أسره، لذلك تجد أكثر الأسرى هم من العزاب، ومن صغار السن.

١٢- لا يعجبهم التتلمذ على شيوخ المساجد وأئمة الكتاتيب بخلاف شيوخ الحكومات ورجال الدين الرسميين الذين يتقيدون بقرار الحاكم والسلطان، ويحسبون للوظيفـة والراتب والمنصب ألف حساب، وحسـاب لا يرغبون بالمشايخ الغير رسميـين الذيـن لا يرتبطون بوظيفة أو عمل رسمي مـع الحكومات، لأن هذا يجعلهـم أحـراراً في فتاويهـم، لا يتقيدون بقانـون جامعة أو نظـام دولة، لا يخشون من الفصل أو إنهاء التعاقد.

١٣- لا يحبون الشخصيات ذات المال والجاه والاستقامة، أصحاب الغني والمنتسبين إلى عائلات قوية وكبيرة ومعروفة بالصلاح، حتى لا يكون لهم نفوذ قوي، وحتى لا يقوموا باستخدام أموالهم في مشاريع تخدم الدين والبلد أو تدعم الجهاد والمجاهدين، أو تخفف معاناة المهاجرين أو الأقليات المسلمة في دول غير عربية أو إسلامية.

١٤- المؤسسات الخيرية والإغاثة الإسلامية لأنها تعرقل أو تأخر الكثير من أعماله المؤسسات الإنسانية غير المسلمة شرقية كانت أو غربية، أو لأنها ربما تسخر شيئاً من أموالها في غير الإغاثة الإنسانية تدعم العمليات الإرهابية (كما يظنون).

١٥- يرغبون العمل في مؤسسات مرتبطة بالحكومات حتى يكون عمل هذه المؤسسة ضمن سياسة البلد، أما المؤسسات والجمعيات الخيرية المستقلة (الغير حكومية) فربما تجلب الاتهام والنقد في اجتهادها في العمل (على حد زعمهم).

١٦- قلة أفراد العائلة، يحبون العائلة الصغيرة ذات العدد القليل المشابهة للعائلة في الغرب، لا يحبون صاحب العائلة الكبيرة حتى يضن أو يبخل صاحب العائلة القليلة بولدة على الموت، وحتى يزداد حرصه عليهم وعلى الحياة من أجلهم.

١٧- اسم أبو عبد الله، لا يرغبون في هذا الاسم لأن فيه ارتباط وتذكير وإشارة إلى الرجل الذي كان خلف ما جرى لهم ليس في ١١ سبتمبر بل ما جرى لهم في اليمن في ضرب المدمرة كول، وفي تدمير السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا- دار السلام ونيروبي كما يظنون هم أو كما يحللون أو يفسرون أو كما يعتقدون، لا يكرهون أحداً في الأرض مثل صاحب هذا الاسم، لا يحبون أن يكون هذا الرجل قدوة للآخرين لا في عمله وتصرفه ولا في ملبسه ومأكله

ولا في كلامه وعاداته ولا في أي شيء من نواحي حياته، يتمنون أن ينسى العالم هذا الاسم، خاصة العالم الاسلامي ولو قلت أنى ألبس قميصاً مثل قميصه أو أرتب شعر رأسي أو شواربي ولحيتي كما يفعلها هذا الرجل فإنهم يتضايقون من هذا التقليد وينزعجون من هذا التشبه ولو قلت أني معجب به وبعمله ومن حقه أن يعمل مثل هذه الأعمال، والذي فعله هو الرد الطبيعي لما يجري لكل إنسان، لكان هذا كافياً لأن تذهب إلى التحقيق عدة مرات، ولو كان قولك هذا مجرد كلام نظري واقتناع بما يقوم به دون أن يكون لك علاقة أو مشاركة بما يفعل أما لو قلت أني سمعته في محاضرة أو رأيته في الشارع أو في أي مكان أو قلت أني شربت معه القهوة أو تناولت معه الطعام أو كان في فصلي الدراسي المدرسي أو الجامعي فإن الشبه القوية والاتهامات الواضحة ستتوجه إليك وتنصب فوقه رأسك.

١٨- أكثر الدول كراهية عندهم الآن كشعوب وليس كأنظمة السعودية ثم اليمن سمعت من البعض أن أحد المحققين قال لأحد المعتقلين ماذا يظن هؤلاء اليمنيون أنفسهم إنهم شعب أمي جاهل جبلي، متأخر جداً عن ركب الحياة، فقير لا يملك من الاقتصاد والفن شيئاً إنهم يسمعون كلمة من شيوخهم لا يعرفون معناها ولا يدركون مغزاها يطبقونها دون أن يفكروا في نتائجها ولا يحللوا أو يفسروا ردود أفعالها.

إن أكثر الجنسيات العربية عدداً في معتقل جوانتناموا هم من السعودية ثم اليمن.

إنهم يرغبون في استمرار الأمن، واستقرار الوضع في دول الخليج يحاولون أن لا تكون هناك قلاقل أو احتجاجات على أنظمة الحكم في الخليج وفي غيره من الدول التي لهم بها علاقات اقتصادية، والتي تقدم لهم النفط وتضخ لهم الذهب الأسود، لا يحبون إنفلات الأمن في الدول التي لهم معها

مصالح وفيها لهم مشاريع اقتصادية إن ظهور موجة العنف والتطرف والتدمير والقتل والإرهاب (كما يسمونه) والذي ظهر في دول الخليج مؤخراً قد أزعجهم مما جعلهم خائفين من المعتقلين الذين ينتسبون لهذه الدول عندما تنتهي محكوميتهم، ويتم إطلاق سراحهم فيما بعد.

لقد كانت أشرطة بعض المشايخ خاصة من دول الخليج، تصل إلى كوبا ويعرضها المحققون على المساجين، هؤلاء المشايخ الذين تراجعوا عن فتاويهم في الجهاد ووجوب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

لقد كان المحققون متضايقين مما يجري من تفجيرات في جزيرة العرب حتى أن أحد المحققين غضب من أحد المساجين من جزيرة العرب وقال له ويحك هل يعجبك ما يجري في بلادكم لقد أصبحت البلاد كلها في حالة فوضى في حالة رعب وخوف.

١٩- كراهية المشايخ الذين تربي هؤلاء الشباب المعتقلين على أيديهم أو تتلمذوا على كتبهم وحلقاتهم ومحاضراتهم وتأثروا بفتاويهم أو التقوا بهم في مساجدهم ومدارسهم، خاصة المشايخ الذين لم يدخلوا إلى الجامعات الشرقية أو الغربية.

عودة إلى الحياة في بجرام بعد كوبا

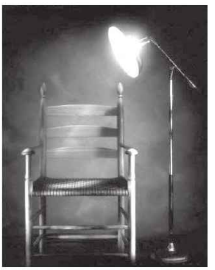

مضى الشهر الأول ولم نسافر شكونا الأمر للمسؤولين فقالوا أنتم سوف تسافرون، لكن متى سيكون هذا السفر؟ قالوا عليكم الانتظار، شكونا الأمر للصليب الأحمر الذي كأن يزودنا ببعض الرسائل من قاعدة بجرام إلى بيوتنا

ومن بيوتنا يحملها إلينا في القاعدة كان الصليب نافذتنا على العالم وكان يقول لنا كلاماً ليس فيه وعد أو وقت محدد للسفر، لكنه كان يقول سوف تسافرون.

بعد مضي شهر حضر وفد أفغاني وقابل الشخص الأفغاني ووعده بالخروج، وبعد مضي أكثر من شهر على هذه المقابلة عاد نفس الوفد وقابله مرة أخرى ووعده بالسفر، لكن خرجت من بجرام والأفغاني لم يسافر.

بدأ الأمل يتلاشى من نفوسنا بقرب الفرج خاصة أن المجموعات التي جاءت إلى هذا المكان قبلنا لم تمكث فيه كثيراً، أكثرها مكث أسبوعين وسافر.

لا ندري ما سبب تأخيرنا، قالوا أنتم تطلبون السفر لغير بلادكم، قلنا لهم بعضنا يريد أن يرجع إلى بلده مثل الأفغاني ومثلي والآخران، الأخ السوري والإيراني لا يريدان الرجوع إلى بلديهما لكن لا يزال اليأس عندنا من الخروج القريب.بعد مضي ثلاثة أشهر وبعد إلحاح وطلب منا لمقابلة المسؤولين قالوا لنا سوف يجلس معكم مسؤول كبير، ويحاول أن يجيب على أسئلتكم وطلباتكم، جاء المسؤول وجلس مع كل واحد منا على انفراد، طلب الاسم والبلد والجهة التي تريد

السفـر لها وإن كان لديك مشكلات أو طلبات سنجيـب عليها، لكن وعدنا بالسفر القريـب دون تحديـد الموعد وأنصرف، لكـن قبل أن ينصرف طلبنـا منه إن كان بالإمـكان أن تصورنا صورة كبيرة ونرسلها إلى بيوتنا حتى يطمأنوا على أحوالنا، قـال لا بأس أرسل شخصاً وقـام بتصويرنا صورة مكـبرة ٢٠×١٠سم وسلمناها للصليب الأحمر الذي قام وأرسلها إلى بيوتنا.

كان المسـؤول عنا نحن الأربعة سيدة مجندة برتبة كابتن، كانت تعاملنا جيداً كانت الفواكه والمشروبات ممنوعة علينا فكانت تأتينا في البداية يومياً أو يوماً بعد يـوم تضـع البيبسي والفاكهة في حقيبتها وتأتي إلى الغرفـة وتقدمه لنا، ولكن بعد ذلك انقطعت عنا ولا ندري أكان الانقطاع منها أو بأمر من فوقها، كنا نطلب منها الكثـير من الحاجات تلبـي بعضها وتعتذر عن البعض، كان وقت الصلاة يحيرنا لا نسمـع الآذان لا نعـرف متى تدخل أوقات الصلاة فأحضـرت لنا ساعة صغيرة وتقويماً بأوقات الصلوات الخمس حسب توقيت أفغانستان.

مضـت الأيام علينا ولا يكاد يمر يـوم إلا ونسأل فيه عن حالنا وموعد سفرنا، كنـا قلقين لأنهـم يقولون لنـا أنتم عندنا ضيـوف سترحلـون إلى بلادكم، انتهت علاقتكـم بالسجن أنتـم بريئون من الأحداث التي حصلـت ضد الولايات المتحدة الأمريكيـة، إذاً لماذا هذا الحجز؟ صحيـح أننا لسنا في السجن ولنا بعض الحرية والامتيازات التي لا توجد في السجن لكن لماذا هذا البقاء لنا هنا، لماذا لا يطلقون سراحنـا، منـذ أن خرجنا من كوبا مضى علينا مائـة وثلاثون يوماً في بجرام، بدأ عندنـا إحساس أننا سنبقى هنا ستة أشهر وبعدها سيكون الفرج إن شاء الله لكن كأن فرج الله أقرب مما توقعناه بعد مغرب يوم الاثنين جاء أحد الجنود وقال أين الشخصـ الأردني؟ قلت ها أنذا قال نريـد أن نأخذ لك صورة قلت ما الأمر؟ قال لا أدري طلـب مني المسؤول أخذ صورة لك، هيئـت نفسي أخذ صورة لي ثم صورة ثـم أنصرف الذين كانوا معي في الغرفة قالوا هذه الصورة لها علاقة فرج، سوف

تخـرج قريباً قلت إن شـاء الله تعالى، لم ننم تلك الليلة جميعنـا الثلاثة كنا نفكر لماذا هذه الصورة أخذت لي بالذات، أنا دون غيري، في اليوم التالي الثلاثاء وبعد صـلاة الظهر جاء أحد الحراس وقال اين الشخص الأردني ؟ قلت ها أنذا قال أنـت مطلوب للمسؤول، خرجت معه خارج الغرفة وجدت هذه السيدة الكابتن التي كانـت تزورنـا كثيرا ومعها ضابط آخـر برتبتها سبق أن جلس معنـا قبل شهر هو وهـذه السيدة قالا لي أنـت ستسافر غداً إلى بلدك واليـوم سنقوم بأخذ بصمات يـدك أخـذ صور لك وزنك طولك وإجـراءات أخرى وغداً عنـد الظهر تذهب إلى الحمام للاغتسال، رجعـت إلى الغرفة وجدت أصدقائي ينتظرون متلهفين لمعرفة الخبر، قلت لهم ابشروا جاء الفرج، غداً أن شاء الله بعد الظهر سجدت لله شكراً علـى هذه البشرى، بعد ساعتين جـاء الحارس وذهبت معه إلى غرفة داخلية أخذ مني الموظف المختص بصمات اليدين الكثيرة وبصمات الكفين وأخذ صورة الوجه من جميع الزوايا، صور العينين كل ذلك يظهر على الكمبيوتر، أخذ الطول والوزن ثـم انصرفـت إلى الغرفة بـدأت أرتب أغراضي في الحقيبة التـي قدمت معي من جوانتنامـو كان فيها بطانية متوسطة الجودة، منشفة لكن الأغراض التي جمعتها مـن بجرام كثـيرة لا تتسع لها هذه الحقيبة لكن ضغطتها حتى اتسعت وكانت هذه السيـدة الكابتن قد قالت لي بالأمس بإمكانك أن تأخذ معك جميع أغراضك التي جـاءت معـك من جوانتنامو، نمنا تلـك الليلة -ليلة الأربعاء- أهـدأ ليلة وفي ظهر اليـوم التـالي- الأربعاء-جاء الحارس وقال تذهب معـي إلى الاغتسال قلت له أنا اغتسلـت الليلـة الماضيـة وجسمي نظيف لأن الليلـة الماضية كان موعـد اغتسالنا الأسبوعـي، لأن الاغتسـال كان مرتين في الأسبوع، قال لا بـد أن تأتي وتغتسل قلت جيـد ذهبت واغتسلت ثـم أحضر لي هذا الحارس حقيبة وقـال هذه لك، فتحتها فإذا بها بدلتين باكستانيتين فرشاة ومعجون أسنان فرشاة ومعجون حلاقة قلامة أظافر إبريق بلاستيكي صغير وقال اجلس قليلاً [وثيقة براءة من الإرهاب].

جـاء ضابط وبدأ يقرأ على ورقة باللغة الإنجليزية والمترجم يترجم ما يقوله الضابط تقول الورقة لقد وقعت للولايات المتحدة الأمريكية.

حـوادث كبيرة وخطيرة تدمرت فيها البنايات والعمارات وقتل فيها الكثيرون ترملت النساء قتل أطفال ونساء، قامت أمريكا واعتقلت الكثيرين لم تكن تعرف أو تميز المتهم من غير المتهم ولما جمعنا المعتقلين وقمنا بالتحقيق معهم عرفنا البريء مـن غير الـبريء، وبعد اعتقالك والتحقيق معك تبين لنـا أنك بريء لا علاقة لك بالإحداث التي وقعت للولايات المتحدة الأمريكية لذلك قمنا بإطلاق سراحك وأنت الآن حـر لا يوجد عليك شيء وسترجع وتعيش في بلـدك كأي إنسان وتمارس كافة حقوقـك بسـلام ثم أنصرف هكـذا كانت الترجمة كما أظـن، وأتذكر رجعت إلى الغرفة وبعد الظهر جاءت السيارة وقال المسؤول حان وقت السفر ودعت أصحابي وركبت السيارة مع المترجم وكان في السيارة معي ثلاثة جنود ومجندة وفيها ثلاثة ضبـاط كنت أتوقع أن يربطوني بالسلاسل ويغطـوا عيوني كالمعتاد في كل سفر مع الأمريكان، لكن لم يكن ذلك، بقيت حراً طليقاً دون تقييد وصلنا إلى الطائرة وفي مدرج المطار طائرة نقل كبيرة عسكرية.

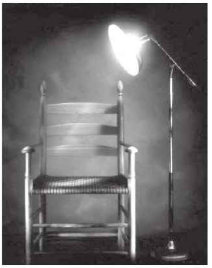

صعدنا الطائرة جلست بجانب المترجم لم يكن في الطائرة إلا طاقم أو حرس الطائرة كما رأيت بالإضافة إلى الجنود الأربعة الذين عرفت فيما بعد من المترجم أنهم حرس وأمنيات علي حتى يتم تسليمي إلى بلدي، أقلعت

الطائرة من قاعدة بجرام بعد العصر من يوم الأربعاء ٢٠٠٢/٨/١٢ م وقد أخبرني المترجم أنها ستنزل في قطر، وفعلاً بعد العشاء نزلت الطائرة في قطر لم أكن أعرف الوقت طلبت من الحرس أن يسمحوا لي بالوضوء والصلاة وعندما توضأت تذكرت أن هذه هي أول مرة أتوضأ فيها منذ (١٣٤) يوم وهي مدة وجودي في بجرام، إذ أن الماء هناك قليل فكنا نتيمم للصلاة، بعد الصلاة والاستراحة في قاعدة عسكرية لا أعرف اسمها ولم أسأل المترجم ولا الحرس عن اسمها، لكنها قاعدة كل ما فيها جنود وطائرات عسكرية لم أر فيها أحد إلا الجنود، عند منتصف الليل قال الحرس لي تفضل جاء وقت السفر ركبنا نفس الطائرة لم أر فيها ركاباً أو جنود ليس في الطائرة إلا الحرس الأربعة الذين خرجوا معي من بجرام وأنا والمترجم وطاقم أو حرس الطائرة، قال المترجم لي إن الطائرة ليس لها أي غرض في عمان توصلك الطائرة إلى عمان وترجع، حان وقت تناول الطعام أما الجنود فكان كل واحد منهم معه وجبته أو طعامه في حقيبة طلبت منهم وجبة عسكرية فأعطوني واحدة، وهذه الطائرة عسكرية ليس فيها ضيافة كالطائرات المدنية، وهذه الوجبات يأكلها الجنود لأنها طعام الجنود في حال السفر إذا لم

يتيسر لهم وجبات ساخنة وكان أمامي في الطائرة صندوق فيه كثير من أنواع البسكويت والشوكولاته آكل منه كلما أردت، وقبيل الفجر نزلت الطائرة على المطار، قال لي المترجم هذه عمان وهذا مطارها توقفت الطائرة فتحت أبوابها صعد ضابط أمريكي إلى الطائرة وبدأ يتكلم مع الحرس الذين سيقومون بتسليمي له، قدموا له أوراق وقع عليها ثم سلمني ورقة باللغة الإنجليزية، وكان يتكلم معي باللغة العربية المكسرة إلا أنها مفهومة تقريباً، الورقة التي سلمها لي هذا الضابط كانت ترجمتها كالتالي:

شهادة براءة من الإرهاب

وزارة الدفاع

القوات المشتركة الموحدة

قاعدة بجرام الجوية- أفغانستان

وثيقة للحفظ

الموضوع: إطلاق سراح حسين عبد القادر

هـذه الوثيقـة تؤكـد أن هـذا الشخـص تم توقيفه مـن قبل القـوات المسلحة الأمريكية منذ ١١ آب ٢٠٠٢م

الرقم الرسمي	المؤقت	الاسم	البلاد	الميلاد
PKgWE000715 DP	BT 171	حسين عبد القادر	الضفة الغربية	١٩٥٣م

لقد تم التثبت من أن هذا الفرد لا يشكل خطورة على القوات المسلحة الأمريكية أو مصالحها في أفغانستان ولا توجد أي تهمة موجهة إلى هذا الفرد من قبل حكومة الولايـات المتحدة الأمريكية لقد تم إطلاق سراح هذا الشخص في نفس مكان إلقاء القبض عليه وتريد الولايات المتحدة الأمريكية إعـادة هذا الشخص ليجتمع بأهله وهذه الوثيقة ليست لحمايته من أي تصرف سيئ مستقبلي قد يقوم به.

توقيع الضابط

SFCMP.CJTF 76 Detair-opsncoic

أما شهادة الصليب الأحمر، فتقول ترجمتها:

إلى من يهمه الأمر

إن اللجنــة الدولية للصليب الأحمــر تؤيد حسب هذه الوثيقة أن السيد حسين عبد القادر يوسف مصطفى مواليد ١٩٥٣م في سيلة الحارثية - فلسطين

وثيقة الصليب الحمر ٠٠١٤٨٦ وثيقة التسجيل PKg 000715 DP.

تم تسجيله من قبل لجنة الصليب الأحمر في ٢٠٠٢/٦/١٥م في مكان التوقيف الأمريكي الانتقالي في بجرام في محافظة بروان في أفغانستان وتم نقله إلى مخيم جوانتنامو-كوبا- في ٤ آب ٢٠٠٢ م حيث تمت زيارته من قبل الصليب الحمر عدة مــرات وبعد أن أعيد إلى أفغانستــان في ٢٠٠٤/٣/٣١م تمت زيارته في بجرام في القاعدة الأمريكية الانتقالية في بجرام تم إطلاق سراحه في ١١/ ٨/ ٢٠٠٤م

صدرت هذه الوثيقة في كابل ٢٠٠٤/١٠/١٩م.

التوقيع:

أندريه مكنزي/ الإداري في كابل أفغانستان

سلمني الحرس والأمنيات الذين كانوا يرافقوني طيلة الرحلة من بجرام إلى عمان، سلموني إلى الضابط الأمريكي، والضابط سلمني الورقة ونزل من الطائرة ودعت الحرس وشكرتهم على حسن صحبتهم لي، حيث لم يضايقوني طيلة الرحلة، وشكرت المترجم، ونزلت من الطائرة، بعد أن حملت حقيبتا السفر اللتان كانتا معي، استلمني الجنود الأردنيون من باب الطائرة، ذهبت معهم بالسيارة، وكان وقت آذان الفجر ليوم الخميس ١٢/٨/٢٠٠٤م على وشك الدخول وصلت إلى معتقل قريب لا أعرف اسمه ولم أدخل إليه ولم ادخل أي سجن آخر لا في الأردن ولا في غيرها إلا الاعتقال عند الأمريكان، وأنا الآن حديث عهد بالأردن إذ أني خرجت منها سنة ١٩٨٥م ولم أرجع إليها إلا اليوم بعد مضي تسعة عشر عاماً، وصلت المعتقل بدأ الضابط المسؤول يأخذ المعلومات عني، استلم مني ما معي من الأغراض والأوراق وفتشها ثم سلمني ملابس السجن الزرقاء جاء الحارس وأدخلني إلى غرفة الاعتقال.

جلست في هذا السجن من وقت آذان الفجر إلى الساعة الحادية عشرة تقريباً، جاء الحارس وأخذني إلى غرفة التحقيق، استغرق التحقيق معي ما يقارب ساعة كان التحقيق عادياً وكان المحقق هادئاً ومؤدباً وقال سنحاول إخراجك اليوم الخميس وإن لم نستطع فعليك الانتظار إلى يوم الأحد أي بعد ثلاثة أيام، انتهى التحقيق معي وبعد لحظات جاء الحارس وأرجعني إلى غرفة الاعتقال، بعد ساعة تقريباً جاء الحارس وأرجعني إلى غرفة التحقيق استملت أغراضي التي استلموها مني عندما وصلت فجر اليوم، وقال لي المحقق مع السلامة يا شيخ سترجع الآن إلى بينك إن شاء الله تعالى وأطلقوا سراحي عند آذان ظهر يوم الخميس ١٣/٨/٢٠٠٤م.

والحمد لله رب العالمين

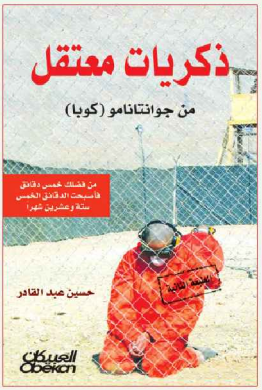

شهادة براءة من الإرهاب

وزارة الدفاع

القوات المشتركة الموحدة

قاعدة بجرام الجوية- أفغانستان

وثيقة للحفظ

الموضوع: إطلاق سراح حسين عبد القادر

هذه الوثيقة تؤكد أن هذا الشخص قد وُقِّف من قبل القوات المسلحة الأمريكية منذ ١١ آب ٢٠٠٢م.

الرقم الرسمي	المؤقت	الاسم	البلاد	الميلاد
PKgWE000715 DP	BT 171	حسين عبد القادر	الضفة الغربية	١٩٥٣م

لقد تثبتنا من أن هذا الفرد لا يشكل خطورة على القوات المسلحة الأمريكية أو مصالحها في أفغانستان، ولا توجد أي تهمة موجهة إلى هذا الفرد من قبل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، لقد أطلق سراح هذا الشخص في المكان نفسه الذي ألقي القبض عليه فيه، وتريد الولايات المتحدة الأمريكية إعادة هذا الشخص: ليجتمع بأهله، وهذه الوثيقة ليست لحمايته من أي تصرف سيئ مستقبلي قد يقوم به.

توقيع الضابط

SFCMF.CJTF 76 Detair-opsncoic

ISBN:978-603-503-470-8

موضوع الكتاب:

سجن جوانتانامو - التعذيب